كتاب
سعادة الأنام
بأقوال شيخ الإسلام

وهو كتابٌ نفيسٌ يحتوي على عدةٍ من خطب مولانا وشيخنا وسيلتنا إلى الله قطب الإرشاد وغوث العباد الشيخ إبراهيم انياس رضي الله عنه في مواسيم المولد النبوي وبعضٍ من كتبه في شتى الفنون وجزءٌ يسيرٌ من مجالسه في الوعظ والإرشاد ورسائل أخرى في الأجوبة والردود عن مسائل مختلفة

وقد قام بجمعه وطبعه
الشيخ التجاني علي سيس
لطف الله به آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الشركة الدولية للطباعة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد بن عبد الله وعلى ءاله وأصحابه أنصاره إلى الله ومن تبعهم بإحسان ونهج نهجهم إلى لقاء الله .

وبعـــد ..

الإهداء

أهدى إلى الشيخ رضى الله عنه وإلى كل تلامذته ومقدميه وأحبابه كتاب سعادة الأنام بأقوال شيخ الإسلام وهو كتاب نفيس يحتوى على عدة من خطبه رضى الله عنه فى مواسم المولد النبوى وبعض من كتبه فى شتى الفنون وجزء يسير من مجالسه فى الوعظ والإرشاد ورسائل أخرى فى الأجوبة والردود عن مسائل مختلفة وقد بذلت جهدى فى تحقيقه وتخريج الأحاديث النبويّة الواردة فيه هدية للشيخ وخدمة لجنابه رضى الله عنه وأسأل الله تبارك وتعالى أن يتقبله بقبول حسن وأن ينفع به الخاصّ والعامّ إنه ولى ذلك والقادر عليه وءاخر دعونا أن الحمد لله رب العالمين .

الشيخ التجانى على سيس

لطف الله به ءامين

لتسع بقين مـــــن رمضان

الإبـــــرك عام 1427 هـ

هذا كتاب الخطبة الجليلة ، الحاوية

على النصح القيمة الجميلة ، ألقاها شيخ الإسلام ،

وقدوة الأنام مولانا صاحب الفيضة التجانية

الحاج إبراهيم بن الحاج عبد الله الكولخي .

بمناسبة الاحتفال بالمولد النبوي

الشريف عام 1380 هـ

بمدينة كولخ حرسها الله

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد الفاتح الخاتم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم . الحمد لله الذي خصنا بالمختار من كل مختار ، فكفانا باختياره كل اختيار فقال : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران 110] وقال : ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة : 143] تفضلا من الملك الوهاب الذي ليس بغافل ولا ناس لا تأخذه سنة ولا نوم ولا نعاس ، والصلاة والسلام على هذا النبراس أفضل نبي ورسول بلا تردد ولا وسواس ، وعلى آله وصحابته القادة الأكياس .

أما بعد :

فإن الله تعالى بهذا العيد السنوي لأهل محبة سيد الأولين والآخرين وخاتم الأنبياء وإمام المرسلين ، أوجد لنا مؤتمرا يجمعنا مع أحبابنا من المشرق إلى المغرب ومن الشمال إلى الجنوب . بل ومن الأرض إلى السماء والإنس والجن والحيوان والجمادات فرحا بالحبيب المقرب وتعظيما وإجلالا له ﷺ . ومن أجل المحبة والتقرب فأرى أنه لمن الواجب المؤكد عليّ أن أضع لكم ما لا بد منه لكم في سبيل السلوك والتربية.

أولا : تصحيح الإيمان بالله الذي له ملك السموات والأرض لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ولا شريكا ولا ظهيرا ولا وزيرا ، تعالى عن ذلك علوا كبيرا ، وهو وحده الإله في السماء والإله في الأرض وهو المعطي المانع المذل الخافض الرافع الحي القيوم القادر المريد المتفرد بالقدم والبقاء والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام ، هو الأول والآخر والظاهر والباطن القريب ، أقرب إلى كلنا من حبل الوريد فعال لما يريد لا يحويه زمان ولا مكان وهو بكل شيء محيط لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ، ليس كمثله شيء ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [سورة

الإخلاص] ، ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء : 23] فأنزل الكتاب المعجز ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء : 88] فهدانا من الضلالة وأنقذنا من العمى والجهالة والحمد لله رب العالمين .

ثانيا : إتقان العبادة لله تعالى بالإخلاص كما أمرنا ، قال جل وعلا : ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة : 5] فإن الإيمان قول باللسان ، وتصديق بالجنان وعمل بالأركان يزيد وينقص . ومن علامات الإيمان أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك والحب في الله والبغض في الله .

ثالثا : المنافسة في محبة حبيبه ﷺ لأنه حبيب الله ، فمن أحب الله حقا أحب عبده وحبيبه ، ومعرفة حياته ﷺ وسيرته وأخلاقه من آكد الأشياء ، لأن معرفته ومعرفة قدره ، معرفة قدر دينه الذي جاء به . فالتصديق بدينه نتيجة لتصديقه وعظمته نتيجة لعظمته وإنه لا سبيل إلى السعادة الأخروية اليوم إلا دينه الحنيف الناسخ لسائر الأديان .

وعمل المولد نستنبطه من الآية الكريمة ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [هود : 120] فنحن نقص أنباء نبينا ليثبت الله قلوبنا على الإيمان به وبما جاءنا به ، لأننا نعرف يقينا أن الله عظمه ما لم يعظم به أحدا من خلقه من الأنبياء والمرسلين والملائكة وذلك باختيار آبائه وأمهاته من آدم إلى عبد الله وآمنة – أبويه – ما مسه شيء من أمر الجاهلية . وتبشير الله بمجيئه قبل مجيئه ، وذلك غاية في التعظيم ، وذكره في الكتب السماوية القديمة ومبايعة الأنبياء له قبل وجوده بأمر الله ، ونطق الحيوانات والجمادات بتصديقه ، وما وقع من الآيات والخوارق قرب مولده ونشأته وحسن صورته وخلقه وصلاة الله والملائكة عليه والمؤمنون إلى يوم القيامة ، ودعائه بالتحلية والكناية نحو : (يا أيها الرسول ، يا أيها النبي) بخلاف سائر الأنبياء – على جلالة قدر كل منهم عند الله فما نادى واحدًا منهم إلا باسمه لأنهم عبيده (يا آدم – يا نوح – يا إبراهيم – يا موسى – يا عيسى – يا داود) وما في القرآن البتة يا محمد أو يا أحمد نعم سماه باسمه ليعرف وصفه بما يفرق بينه وبين غيره نحو : (محمد رسول الله – وما محمد إلا رسول – ما كان محمد أبا أحد من

رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين) فهو عبد الله حقا واختار الله تعالى تعظيمه تعليما لنا فبتعظيمه تعظيم دينه ، وذلك يقتضي امتثال الأوامر واجتناب النواهي ، وبهذا نزداد محبة على محبة فيه ﷺ .

ومحبته ﷺ من أكبر أسباب السعادة بدليل : « المرء مع من أحب »[1] . وهذه التحركات نوع من خدمته ﷺ ، وخدمته سعادة ، وربما أثرت هذه المحبة فورثت رؤيته في المنام ، ورؤيته في المنام كرؤيته في اليقظة[2] ، وإن لم تكن رؤيته – لا حرمنا الله – فلا أقل من أن تتمتع حاسة السمع بسماع محاسنه . والحواس على درجة واحدة ، فالمحب حين يسمع ذكر محاسنه يكون كأنه رآه ، وكذا نتيقن أن ما نسمع من مكارم أخلاقه يجب علينا أن نتكلف الاقتداء به ، فنعف عمن ظلمنا ونصل من قطعنا ونعطي من حرمنا ، وهذا اتباعه وقال : ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران : 31] . وكذا ننفق مالنا ونطعم الجيعان ونقري الضيف ونكسو العراة ، ونعين ذوي الحاجات والفاقات كل هذا من سبيله ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف : 108] .

ونحذر من كل محدثة تميت السنة : وهي معنى بدعة الضلالة ونأمر بالمعروف ، وننهى عن المنكر لله بالله ، ونعرض عن الجاهلين ، ونتصامم عن تقولات المتقولين فينا ، ونتحمل إذاية الخلق ، فإن من تقول في كلنا أو في بعضنا إما أن يعيبنا بشيء وهو صادق فيما يقول فنستغفر الله ونتوب إلى الله ، ونتحقق أنه ستر علينا أكثر مما تقول به المتقول ، فهو غفار الذنوب وستار العيوب . والكمال لله فالنقص وصفنا الذاتي ، فلولا أنه أمدنا بشيء من كماله لكنا كما يقول المتقول فينا . وإن عابنا شيء مفترى يعلم ربنا أننا براء منه فعلم الله يكفينا ، وإلا فهذه مصيبة أكبر

---

(1) الحديث أخرجه البخاري عن عبد الله بن مسعود 2283/5 ، حديث رقم 5816 ، طبعة دار ابن كثير – بيروت ، تحقيق د. مصطفى ديب بغا ، ومسلم 2034/4 ، حديث رقم 2640 ، طبعة دار إحياء التراث العربي – بيروت ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .

(2) عن أبي هريرة رضي الله عنه : عن النبي ﷺ قال : « تسموا باسمي ولا تكتنوا بكنيتي ، ومن رآني في المنام فقد رآني حقا ، فإن الشيطان لا يتمثل في صورتي ، ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » . أخرجه البخاري في صحيحه 52/1 ، حديث رقم 110 ، 2290/5 ، حديث رقم 5844 ، 6/ 2567، حديث رقم 6592 ، ومسلم في صحيحه 1775/4 ، حديث رقم 2266 .

من تقول المتقول . ومثل المتقول ، في أصفياء الله كمثلناموسة نفخت على جبل عظيم لتزيله بنفختها ومثله مثل مجنون بال في البحر المحيط لينجسه ، ومثله مثل كلب عوى على القمر ليضره ويحطه عن سمائه :

لو نبح البدر كلاب الورى ما وصل النبح إلى البدر

وينبغي إمساك اللسان قدر الإمكان فإنه صغير الجرم كثير الجرم فما على وجه الأرض أحق بطول السجن من اللسان ؟

رابعا : تعلم الدروس التي ألقتها علينا حياة المصطفى ﷺ ، فهو المجاهد المكافح لتحرير البشرية من البهيمية ، فإنه ﷺ وصف في الكتب القديمة بأن سيفه على عاتقه ، ولكنه لم يقاتل ولم يقتل إلا البهائم : من ضل وخسر الإنسانية ولم يعقل إلا شهوتي بطنه وفرجه ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الفرقان : 44] فيجب قتالهم وقتلهم ، فمن لم يتدين بالدين السماوي الباقي الناسخ غير المنسوخ وهو الإسلام فهو من جنس الأنعام ، ودلائل صدق محمد ﷺ تكفي منها شريعته وآياته وبلده ونسبه ومولده ونشأته وكتابه وأصحابه وأمته والعلماء والأولياء والصالحين ومعجزاته وكراماتهم وهلم جرا ، وما سوى دينه المحفوظ دخله التحريف والتبديل قبل أن ينسخ ، والشيء المنسوخ كغير المشروع أصلا ، والحمد لله على حفظ شرعنا قال : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر : 9] .

يا أيها الأحباب الأعزاء إن علينا مسؤولية كبرى وعلينا أن نتحملها بجد وثبات وصبر وإخلاص وثقة بالله العلي العظيم الذي قال : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [النور : 55] وأخرجوا من قلوبكم الآفتين اللتين سببتا لنا التقهقر وصرنا غثاء كغثاء السيل . وهما : « حب الدنيا وكراهية الموت » (1) ، ﴿وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران : 189] .

---

(1) عن ثوبان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها ، فقال قائل : ومن قلة نحن يومئذ ؟ قال : بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل . ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن . فقال =

والإنسان لا يموت قبل أجله ولا يحيا بعده بحال من الأحوال ، ولابد لهذه المسئولية من تعليم الأولاد اللغة العربية بعد القرءان ، لأنها لغة القرآن وترجمان الدين ، ولابد من غرس محبة المسلمين في قلوبهم ومحبة العرب ، « فمن أحب العرب فبحبه ﷺ أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضه ﷺ أبغضهم » (1) وخصوصا الشرفاء من آل بيته الطيبين الطاهرين ، ما تمسكوا بالدين والسنة ، فمن حاد عن سبيله فليس من آله ، ولابد من اعتياد فعل الخيرات وبغض الكفر والسيئات وأهلها والغيرة للدين ، فإن من لم يتعلم يصير إمعة إن أحسن الناس أحسن ، وإن أساءوا أساء معهم (2)، وبنور العلم واليقين يخرج الإنسان من التبعية إن أحسن الناس أحسن معهم وإن أساءوا اجتنب إساءتهم . وقد يكون إهمال الولد سبب لانقطاع نسبه ، فإن أولاد الصالحين صالحون إن أصلحوا العمل وإلا فليسوا بأولادهم بدليل ﴿قَالَ يَـٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَـٰلِحٍ ۖ﴾ [هود : 46] . وهذا في حق كنعان بن نوح من صلبه ، فنعوذ بالله من أن نكون من الجاهلين .

خامسا : إنني أجدد لكم وصيتي بالجد والاجتهاد في المحافظة على الفروض والسنن والآداب والأذكار والأوراد ، فإنه كثر الإعراض عن الله والغفلة عن ذكره تشاغلا واكتفاء بقوت الأشباح عن قوت الأرواح ، فلا شرف للإنسان ولا كمال إلا بذكره لله تعالى ، إذ هو الحبل الذي يصل بين العبد وبين ربه وقد رفضوا صحبة الصالحين والمشايخ والأولياء والأتقياء .

= قائل : يا رسول الله ، وما الوهن ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت » . أخرجه أبو داود في سننه 2/ 514، حديث رقم 4297 طبعة دار الفكر - بيروت تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، وأحمد في مسنده 278/5 ، حديث رقم 22450 طبعة مؤسسة قرطبة - القاهرة .

(1) من حديث طويل عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أخرجه الحاكم في المستدرك 83/4 ، حديث رقم 6953 طبعة دار الكتب العلمية - بيروت ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، والطبراني في المعجم الكبير 455/12 ، حديث رقم 13650 ، طبعة مكتبة العلوم والحكم - الموصل ، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي .

(2) عن حذيفة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تكونوا إمعة تقولون : إن أحسن الناس أحسنا ، وإن ظلموا ظلمنا ، ولكن وطنوا أنفسكم ؛ إن أحسن الناس أن تحسنوا ، وإن أساءوا فلا تظلموا » أخرجه الترمذي في سننه 364/4 ، حديث رقم 2007 ، طبعة دار إحياء التراث العربي - بيروت ، تحقيق أحمد شاكر وآخرون .

وأنا أرى – أيها الأحباب – أن من تمسك بالأوراد اشتغل بذكر الله عز وجل ومحبة أوليائه المقربين ، ومن رفض الأوراد ترك ذكر الله وعادى أولياء الله ، قد خرّج البخاري [1] ورفعه « من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب » وأعني بالأوراد الاستغفار والصلاة على النبي ﷺ وذكر الله ، هذا بعد ما تيسر من القرآن فهو أفضل الأوراد فمن كفّركم أو بدعكم بهذه الأعمال فلا تلتفتوا لكلامه ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام : 117] فإن هذه سنن ، فمن عابكم باتباع السنة وادعى أنكم مبتدعون فعند الممات تعرف التركات .

سادسا : العمل والكسب للمعاش ، ولا بد من الكد ، « فإن أطيب ما أكل الرجل من كسبه » [2] ، « وإن الله لا يقبل إلا طيبا » [3] . ويروى عن سيدنا عمر رضي الله عنه « لا يجلس أحدكم ويقول يرزقني الله وقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا ورقا » [4] و« إن الله يحب المؤمن المحترف » [5] ، « ويكره العبد البطال » [6] . قال : ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ﴾ [الشرح : 7] .

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه 2384/5 ، حديث رقم 6137 ، عن أبي هريرة ، وابن حبان في صحيحه 58/2 ، حديث رقم 347 ، طبعة مؤسسة الرسالة – بيروت ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، والطبراني في المعجم الكبير 145/12 ، حديث رقم 12719 .

(2) عن عمة عمارة بن عمير أنها سألت عائشة رضي الله عنها : في حجري يتيم ، أفآكل من ماله ؟ فقالت : قال رسول الله ﷺ : « إن من أطيب ما أكل الرجل من كسبه ، وولده من كسبه » . أخرجه أبو داود في سننه 211/2 ، حديث رقم 3528 ، والنسائي في سننه 240/7 ، 241 ، حديث رقم 4449، 4451 ، 4452 ، طبعة مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب ، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة .

(3) من حديث طويل عن أبي هريرة ، أخرجه مسلم في صحيحه 703/2 ، حديث رقم 1015 ، وعبد الرزاق في مصنفه 19/5 ، حديث رقم 8839 ، طبعة المكتب الإسلامي – بيروت ، تحقيق عبد الرحمن الأعظمي .

(4) أخرج قول عمر الغزالي في إحياء علوم الدين 2/ 62، طبعة دار المعرفة بيروت .

(5) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط عن ابن عمر 380/8 ، حديث رقم 8934 ، طبعة دار الحرمين – القاهرة ، تحقيق طارق بن عوض الله ، وعبد المحسن بن إبراهيم ، والبيهقي في شعب الإيمان 88/2 ، حديث رقم 1237 ، طبعة دار الكتب العلمية – بيروت ، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول .

(6) ورد بلفظ : « إن الله يكره الرجل البطال » .

قال الزركشي : لم أجده . انظر : الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ، للشوكاني 146/1، طبعة المكتب الإسلامي – بيروت ، تحقيق عبد الرحمن المعلمي ، وكشف الخفا للعجلوني 290/1 ، وتذكرة الموضوعات للفتني 988/1 .

فلا بد من الطاعة والعبادة لأجل الآخرة التي ارتحلت مقبلة والعمل للدنيا قالوا : «اعمل لدنياك كأنك خالد فيها واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا »[1] والكسب بالحراثة لمن يقدر عليها والتجارة لمن يحسن القيام بها وسائر الحرف ، فالحياة عبارة عن العمل ، فمن لم يعمل فكأنه ميت .

وبصدق النية يصير عمل الدنيا للآخرة ، فالأعمال بالنيات ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [آل عمران : 186] .

سابعا : السياسة ، إن الإسلام ما فرق بين الدين والسياسة فرجال الدين يمكنهم أن يكونوا رجال السياسة ، ولكن المسلم سياسته في رفع الإسلام قولا وفعلا ، ومن أعان في سياسة تباين الدين لمال أو جاه فكأنما باع أخراه بدنياه .

الله الله عباد الله ، قل الحق ولو كان مرا ، هذا مع براءة العبد من كل حول وقوة ، والتسليم لمراده في كل مظهر والرضى بالقضاء .

ومن السياسة الموافقة مع أرباب الدول من ملوك وأمراء ورؤساء للحكومات في كل ما لا يمس كرامة الإسلام . فإنه « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق »[2] ، والمداراة صدقة ، والمداهنة حرام ، فالمداراة هي بذل ما في الوسع لسلامة الدين ، والمداهنة هي ترك مراد الشرع لسلامة الدنيا .

وفى الختام : أتضرع إلى الله ، وأسأله بلسان افتقار المسلمين أن يدرك أمة سيدنا محمد ﷺ ، وينصر الملة المحمدية ، ويوفق الجميع لما يحب ويرضى ويداوي بمنه قلوبنا المرضى .

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته . أ . هـ

وكتب إبراهيم بن الحاج عبد الله التجاني

بمدينة كولخ حرسها الله عام ١٣٨٠ هـ

---

(1) حديث ضعفه الألباني . انظر السلسلة الضعيفة للألباني 62/1 .

(2) رواه أحمد في مسنده 131/1 .

خطبة مولانا العارف الرباني والغوث الصّمداني سيدنا وممد أرواحنا الشيخ الحاج إبراهيم رضي الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على نبي الرحمة ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ الذي كتب على نفسه الرحمة وأرسل سيدنا محمدا الرؤوف الرحيم بالمؤمنين رحمة للعالمين ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ﴾ وافتتح كتبه المنزلة ببسم الله الرحمن الرحيم وقال : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ وجعل رحمته التي وسعت كل شيء قريبا من المحسنين بعد ما قال : ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ﴾ تعبيرا عن إحاطة رحمته تعالى بكل الكائنات . وهذه الرحمة لا تنحصر أنواعها وعناصرها : من تخليص من الضرر وإيصال للخير فعلمنا أيها الإخوة المؤمنون أن الإسلام هو دين الله الخالد : رائد الرحمة الربانية من بدء التشريع إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين وقد سجل القرءان تمسك الأنبياء بهذه العروة الوثقى واعتزازهم بإسلامهم لله فقد حكي عن نبي الله نوح عليه الصّلاة والسلام ﴿وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ وقال عن أبي الأنبياء والمرسلين ﴿مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ وقال : ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ وحكي عن يوسف عليه السلام دعاءه ﴿تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ وقال عن موسى عليه الصّلاة والسلام ﴿يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ﴾ وعن عيسى والحواريين ﴿نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ وعن سليمان عليه السلام ﴿أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ﴾ وعن بلقيس ﴿وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ وعن سائر أنبياء بني إسرائيل ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ﴾ وقال عن خاتم الأنبياء وسيد الأولين والآخرين : ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ .

أيها الإخوة المؤمنون إن التمسك بالإسلام هو التعرض للرحمة الإلهية ألا فتعرضوا لهذه الرحمة بالتمسك بهذا الدين الخالد الذي قال عنه الحق جل وعلا ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ﴾.

والإسلام أيها الإخوة هو رفض الشرك وعبادة الواحد الأحد الفرد الصّمد الذي ﴿لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾ وبالإخلاص قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾.

نعم إنه «لن يدخل أحد الجنة بعمله إلا إذا تغمده الله برحمته» كما ورد في الحديث الصّحيح [1] وكما في قوله تعالى: ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾ ولكن مع ذلك فلا بد من العمل امتثالا لقوله: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾.

أيها الإخوة تيقنوا جزما أنه بالإيمان بالله وحده وبالانقياد لأحكام الإسلام وبالإحسان في العبادة تتنزل الرحمة الإلهية كما أشارت إليه الآية ﴿إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ وقوله: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ وطاعة الرسول عليه السلام هي التمسك بالكتاب والسنة فقد كان خلقه القرءان ﴿الٓمٓ ١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾ وقال: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ﴾ وقال: ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا﴾.

فهذا أيها الإخوة هو سبيل ابتغاء الرحمة. هذا، ومما يثلج الصّدر أن رحمة الله

(1) أخرجه البخاري في صحيحه 2373/5، حديث رقم 6098، ومسلم في صحيحه 4/ 2168، حديث رقم 2816.

لا حد لها ولا غاية ولا طرف ، فقد ذكر الطبري [1] في كتابه : « إنه لما خلق الله الجنة قال لها : امتدي فقالت : يا رب كم ؟ وإلى كم ؟ فقال : امتدي مائة ألف سنة فامتدت فقال لها : امتدي فقالت : كم وإلى كم ؟ فقال : امتدي مائة ألف سنة فامتدت فقال لها : امتدي فقالت : كم وإلى كم فقال : امتدي مائة ألف سنة فامتدت فقال : امتدي . فقالت : كم وإلى كم ؟ فقال : امتدي مائة ألف سنة فامتدت فقال لها : امتدي . فقالت : كم وإلى كم فقال : امتدي مقدار رحمتي » . فهي تمتد أبد الآبدين فليس للجنة طرف كما أنه ليس لرحمة الله طرف والسبيل إلى ذلك هو تعلم الدين وتتبعه لذلك تعرفون وتقدرون قدر هذه التجمعات لذكرى بروز هذه الرحمة التي أهداها الرحمن الرحيم في هذا اليوم العظيم والعيد الجسيم والموسم الكريم عيد مولده ﷺ القائل (إنما أنا رحمة مهداة) [2] .

وإني أجدد وصيتى للشباب المسلمين لتعلم هذا الدين ، ثم بتعلم كل علم نافع : علم الآخرة والأولى ، وتذكروا قول الله جل وعلا : ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ ، وقد قالوا : إن الحكاية جند من جنود الله يؤدبه قلب من يشاء من عباده ، وعليكم جميعا بالتسلح بطرق الصّوفية ، عباد الله المقربين الأتقياء الذين أناروا طريق السنة المحمدية وحموا بيضة الإسلام عن أيدي الطغاة الغزاة المستعمرين باعتراف هؤلاء وإقرارهم والحق ما شهدت به الأعداء ومن المؤسف حقا أن يوجد اليوم متعالمون جهلة يشنعون على الصّوفية ويذكرون السنة ويدعون الغيرة عليها ، وهل السنة إلا ما جاء به الرسول ﷺ ، ومنهم من يتطاول على طريقتنا التي ما نسبت إلى الشيخ الختم التجاني إلا تجوزا وإلا فإن صاحبها قد كان يصفها بأنها محمدية إبراهيمية وهي : الاستغفار والصّلاة على رسول الله بأي صيغة ولا إله إلا الله تذكر صباحا ومساء :

أو كفر بالله أن قال عبد مخلصا لا إله إلا الله

---

(1) في تفسير الطبري 148/13 بغير هذا اللفظ ، وبهذا اللفظ في تفسير الثعالبي 383/1 ، طبعة مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت .

(2) أخرجه الدارمي في سننه 21/1 ، حديث رقم 15 ، طبعة دار الكتاب العربي – بيروت ، تحقيق فواز أحمد زمرلي ، خالد السبع العلمي ، والحاكم في المستدرك 91/1 ، حديث رقم 100 ، والطبراني في المعجم الأوسط 223/3 ، حديث رقم 2981 .

أو أن يستغفر الإله يرجى غفران ما جنت يداه
إن يكن ذا يا أيها الناس كفرا فالزموا الكفر تحمدوا عقباه

وإني أتضرع إلى الله تعالى ، وأسأله متوسلا بأكرم خلقه عنده سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ أن يعز الإسلام والمسلمين ، اللهم انصر من نصر الدين واخذل من خذل المسلمين ودمر أعداء الدين ، الذين كفروا من بني إسرائيل ، وطهر لنا بيت المقدس وحرر فلسطين وسيناء وردها إلى أهلها ، وانصر أمة مصر والأردن وسوريا وغيرها من بلاد المسلمين ، وأكف المسلمين العرب وغير العرب مكائد مؤامرات ودسائس أعداء الإسلام كلهم أجمعين ، وتقبل منا وهيئ لنا من أمرنا رشدا ، وختاما أرحب بالوفود المتجمعة هنا من سائر أنحاء إفريقية ، وما تجمعت إلا لحبه ﷺ وأشير بوجه خاص إلى الإخوة القادمين من الجمهورية العربية المتحدة (عن المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة) ومن المملكة العربية السعودية ، ومن المملكة المغربية ، وأرجو للجميع إقامة طيبة والعودة بسلام إلى بلادهم .

أيها الإخوة طاب عيدنا وعيدكم وكل عام وأنتم بخير .

والسلام إبراهيم نياس الكولخي

الخطاب السنوي الذي ألقاه في الاحتفال بالمولد النبوي الشريف شيخ الإسلام وسعادة الأنام المرشد الوحيد الداعي إلى صراط الحميد مولانا الشيخ الحاج إبراهيم نفعنا الله به آمين بمدينة كولخ سنغال عام 1384 هـ .

الحمد لله رب الناس ، ملك الناس ، إله الناس ، من جعل الناس كل الناس ، فقراء إلى واسع فضله وهو الغني الحميد المبدئ المعيد ، الغفور الودود ، ذو العرش المجيد ، فعال لما يريد ، أحمده تبارك وتعالى على وجود سيدنا محمد بن عبد الله ، عبد الله ورسوله ﷺ بلسان سيدنا محمد من علة وجوده الرحمة والهداية ، قال تعالى : ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ وقال : هدى للمتقين وبرهان من الله ونورا ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين وعلى التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد : فقد ثبت لهذه الأمة الفضل وحق لها الهناء بمولد الهدى ، مولد الإسلام ، مولد التحرر ومولد الشرف والعز والمجد والرفعة للإنسانية جمعاء ، ولهذه الأمة التي كانت خير أمة أخرجت للناس من عرب وعجم خاصة ، قال : « ولد الهدى فالكائنات ضياء » (1) ، « أهلا بيوم عيد ما مثله من عيد قد حل بالمولود فيه محل زحل » فهو عيد الأعياد ومؤتمر أرباب المحبة والوداد من سائر العباد ومن كل أقطار البلاد ، ويرى جميع المحققين عمل المولد على السنن المرضي من الأعمال الصّالحة وله فضائل جمة وعظيمة ويدل على إحساسات كريمة منها ذكرى ولادة المنقذ الأعظم وما كان ببعثته وهجرته من الخير العظيم ومنها إظهار ما تكنه القلوب من المحبة له والسرور به وبولادته وببعثته وهجرته ومنها الاشتغال بذكره ومدحه والصّلاة عليه وتلاوة سيرته وسيره في سبيل الفلاح وصلاح العالم وتوطيد دعائم السلام للأنام ، فثبتت القلوب على محبته وناهيك بها من سعادة ، فالمرء مع من أحب وتنبعث الهمم إلى نشر دعوته قال : ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ .

وهذا كله بشرط أن يكون عمل المولد خاليا من البدع والمنكرات والمحرمات التي تنافي دعوة صاحب الحفل نبي الهدى الداعي إلى الله بإذنه ﷺ ، فعمل المولد على هذا المنهج من أعمال الخير ، ﴿وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ .

أيها الإخوة لنأخذ دروسنا من تلك الحياة المباركة التي ما كانت إلا لرحمة الجميع . وهداية الجميع .

(أنموذج) :

من حياته الجامعة للخيرات زهده في المال : « ما لي وللدنيا »[1] « اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا »[2] فما بني قصرا ولا شق نهرا ولا غرس شجرا ولا ادخر درهما ولا دينارا ولا غير ذلك حتى لقي الله تعالى ودرعه مرهونة عند يهودي لقوت عياله بعد ما سيقت إليه الدنيا بحذافيرها وعرضت عليه مفاتيح خزائن الأرض ، ومجاهدته في سبيل الوصول إلى مراده وقوة عزمه ، وسياسته في دعوته وما أعطي من المعجزات التي أكبرها هذا القرآن الذي بأيدينا ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ والذي تحدى به العالمين ، وصبره على أذى قريش وجراءة قريش عليه ، وحلمه وإغضاؤه « اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون »[3] ، قال : ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ ، وعلمه :

كفاك بالعلم في الأمي معجزة   في الجاهلية والتأديب في اليتم

وعفوه وجوده وكرمه وسخاؤه وسماحته وشجاعته : ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ﴾ ، ونجدته وحياؤه ، وحسن عشرته مع أهله وأصحابه وشفقته ، ورفعته ورحمته وخوفه وعدله وأمانته وصدق لهجته وعفته ووقاره وسمته وخوفه لله تعالى وطاعته لله وشدة إقباله على

---

(1) أخرجه البخاري 922/2 ، حديث رقم 2471 .

(2) أخرجه البخاري 2373/5 ، حديث رقم 6095 ، ومسلم 730/2 ، حديث رقم 1055 .

(3) ورد بلفظ آخر « اللهم اغفر ، رب اغفر » ، أخرجه البخاري 1282/3 ، حديث رقم 3290 ، 2539/6 ، حديث رقم 6530 ، ومسلم 1417/3 ، حديث رقم 1792 .

عبادة الله تعالى إلى غير ذلك من سيرته ومكارم أخلاقه « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » (1) .

أيها الإخوة عديم الجدوى أو قليل الجدوى نقرأ هذه الخصال ولا نقتدي بصاحبها فيها وقد أمرنا أن تكون لنا فيه أسوة حسنة . لابد من التخلق ولو ببعض من هذه الخصال الكريمة التي لم تكن معجزة فإن أكبر عامل من عوامل انتشار الإسلام هو كون القائم بالدعوة إليه في غاية الطهارة وكمال الأخلاق ، فيجب على دعاة الإسلام وكلنا دعاة الإسلام أن نحسن الدعوة بالاتصاف بالصّفات الكاملة والتخلي عن كل ما يزرى كما قال الحكيم :

يا أيها الرجل المعلم غيره ... هلا لنفسك كان ذا التعليم

لا تنه عن خلق وتأتي مثله ... عار عليك إذا فعلت عظيم

وقد قلت : وكلنا دعاة للإسلام لأننا كلنا مكلفون بتبليغ هذه الدعوة ، ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ . فندعو من تنصر من العرب إلى العودة إلى حظيرة الإسلام الذي جاء به النبي العربي ﷺ وندعو إفريقيا وآسيا وأوربا والأمريكتين إلى دين الفطرة والإنسانية دين الحرية والمساواة . والإسلام دين الله الخالد ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾. ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ﴾ ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا﴾ .

ثم إني أيها الإخوة أقول بكل صراحة : إن الإسلام هو الدين عند الله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ ، ومن مات على دين غيره كما قال رسول الله ﷺ فهو في النار (2) . الإسلام هذا أيها

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك 670/2 ، حديث رقم 4221 ، والبيهقي في سننه 10/ 191طبعة الهند .

(2) انظر فيه ما رواه الطبراني في الأوسط 317/7 . عن أبي هريرة وورد أيضا : « من مات وهو يشرك بالله دخل النار » . أخرجه أحمد 382/1 ، 425 ، 443 ، 79/3 ، 391 ، 392 ، 322/4 ، 346 ، 404، والبيهقي في السنن الكبرى 44/7 .
=

الإخوة كما بين الرسول الصّادق الأمين ﷺ : « شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ﷺ وإقام الصّلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت من استطاع إليه سبيلا » (1) . وإني أرى في بعض البلدان داخل العالم الإسلامي شبانا ألسنتهم ناطقة بالإسلام ويتكاسلون على أداء ما فرض عليهم من الصّلوات وهي الفرق بيننا وبين اليهود (2) وهي من الدين بمنزلة الرأس من الجسد (3) وحياة مقطوع الرأس مستحيلة فمن تعمد ترك الصّلاة فقد خرج من الدين بالكلية وتسأل أهل الآخرة أهل النار ، ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ وذكر عن بني إسرائيل أنهم أضاعوا الصّلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا ، واد في جهنم كمثل ويل وقال : ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ . والسهو عن الصّلاة تركها تمام ليس كالسهو في الصّلاة .

أيها البنون والبنات كالبنين لابد من إتقان الطهارة وإتقان الصّلاة وأدائها في وقتها المحدد لها ، ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ . فلكل جمع شعار ، وشعار المسلمين الصّلاة ، الله الله لابد من تعلم الفرائض وما زاد فهو خير ، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ .

ولابد من اجتناب المنهي ، ومنهيات ديننا مبينة تماما في الكتاب ولنكتف هنا بهذه الآية الجامعة : ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ

= وورد أيضا : « من مات كافرا وجبت له النار » . أخرجه ابن الجوزي في العلل المتناهية 322/2 .

(1) من حديث عمر رضي الله عنه : « بني الإسلام على خمس ... » أخرجه البخاري 12/1 ، 29، 45 ، 195 ، حديث رقم 8 ، 53 ، 87 ، 500 ، ومسلم 45/1 حديث رقم 16 .

(2) ورد بلفظ : « العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة ». أخرجه الترمذي في سننه 13/5 ، حديث رقم 2621 ، والنسائي في سننه 231/1 ، حديث رقم 463 .

(3) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط 383/2 ، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ .

هذه أعمال من يريد الآخرة ، ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا ومن ضل سعيهم وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا . المبين أمرهم في الآية : ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ .

ثم إني أرحب بضيوف رسول الله ﷺ الكرام القادمين من شتى أنحاء إفريقيا ، وأرجو الله أن يكتب لهم التوفيق والنجاح ويحقق لنا ولهم الأمل كما أسأله تبارك وتعالى أن يعين المسلمين المظلومين في سائر أنحاء العالم في فلسطين والجنوب اليمني وكشمير وفي سائر بقاع العالم فيعم التحرر والأخوة والمساواة مبادئ الإسلام ويرزقنا الله مطرا مباركا عزيزا .

وكل عام وأنتم بخير

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

انتهى الخط بتاريخ يوم السبت 1374/4/14 هـ

هذه قصيدة قالها شيخ الإسلام ومرشد الأنام

الشيخ الحاج إبراهيم الكولخي

وأمر الأحباب بقراءتها والتوسل بها والعمل بما تضمنت من النصيحة .

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين . قال الشيخ الإمام ، والمرشد الكامل الهمام ، رافع أعلام الإسلام ، وخافض ألوية الظلام ، بعون الملك العلام ، شيخنا الحاج إبراهيم بن الشيخ الحاج عبد الله الكولخي التجاني أيده الله بنصره ومتعنا بدوام نظره آمين .

الحمد لله :

استغاثة وردت على أحرف ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ ليلة الجمعة لثمان بقين من شوال 1375 في ضمنها توصية الأحباب الذين بعدوا عنا وتبشير :

وليكم أولياء الله إذ مكروا ... مكرا هو الله مولى الخلق فاصطبروا

إنا نلوذ به أنى أحصنكم ... به وبالذكر والقرءان إذ مكروا

فوضت أمري إلى باري البرية ... قهار الملوك ومخزي كل من كفروا

وقد وثقنا به واعتصمنا فما ... يأتي به الغير لا نفع ولا ضرر

وتلك عروته الوثقى أحبتنا ... فلتمسكوا بعرى الإيمان تنتصروا

ضر الذي رام ضيرا للأحبة في ... سر وجهر ولا ينحو لنا الضرر

أصاب في نحره سهم المهيمن جـ ... ـبار السماء فما يبقى وما يذر

ما سام ضيما جنابي المعتدون وءا ... وه للكريم فما ذلوا وما خسروا

رب يمزق أعدائي يبيدهم ... به استجرت طول الدهر أنتصر

يريهم كل حين عبرة وهم ... في غيهم وعما هم ليتهم بصروا

أرى بأن لا سواه فاعلا أبدا ... وكل شيء جرى يجرى به القدر

لا لا ترى مانعا لنا عطاه ولا ... معط سواه ولو جلوا ولو قدروا

أستغفر الله من خوف ومن طمع ... فيما سواه فحسبي من له قدر

الله الله يا قومي فلا أبدا ... توقظ بكم فتنة بالصبر فانتصروا

لا تضربوا أبدا لا تشتموا أبدا وإن ضربتم فصبرا إنكم صبر
إذا نظرتم إلى من قبلكم من تقا ة قد عفوا وصفوا إذ غيرهم مكروا
هديتم لصراط النصر فاصطبروا فالنصر في الصبر والأعلون من غفروا
إذ منعنا مساجد الإله فما هذا بأوله والقوم قد صبروا
نحذو كحذو الذين قبلنا فلنا بالمصطفى أسوة والحق ينتصر
نعم قد أخرج هادينا وأسرته وبعد صدوه حين جاء يعتمر
أجل وهل ضر ذا دين النبي كذا فلا يوسوسكم أفعال من بطروا
لله جند قوي غالب فنرى فوق العدى أبدا بنصره فذروا
أستودع الله أحبابي يحوطهم بحفظه حيثما كانوا بدوا وقروا
هو الحفيظ لنا وهو المبيد لهم إن يخسروا فإلهي حسب من سخروا
به انتصرنا ونقفوا سنة الأميـ ـن الوحي نشكر ربنا حيثما كفروا
صفا لنا الوقت في ذكر الإله كما كان الصّحابة إن غابوا وإن حضروا
يسوءهم سردكم ذكر المهيمن تقفـ ـون الرسول الذي طابت له السير
ربى يثبتنا مدى الدهور على ذكر الإله وحتى تلتقي الزمر
بالمصطفى المنتقى المنصور دولته صلى الإله عليه حيثما نصروا
أجب دعاء عبيد خائف وجل تحزبت لأذاه البدو والحضر
لا لا له حيلة أو ناصر وكفا ه من براه إذا يخشى به خطر
علي سترك مسبول وعينك نا ظر إلي فلا أخشى إذا مكروا
بدد وشتت ومزق جمعهم وأدم ما قد حبوت لنا بالذكر ننتصر
أجب دعائي وعجل يا كريم ويا جبار فعال يا قهار من قهروا
دمرت أعداء خير الخلق أجمعهم صلى الإله عليه فهو لي الوزر

وعلى ءاله حق قدره ومقداره العظيم

انتهى

يوم الخميس لثلاث بقين من شهر ربيع الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

جذب الأحباب إلى حضرة رب الأرباب
خطبة ألقاها فضيلة شيخ الإسلام
الحاج إبراهيم نياس الكولخي رضي الله عنه . 1971 م

وقد ألقاها الشيخ في مدينة كادونا نيجريا بتاريخ 12 ذي القعدة عام 1391 هجرية .

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين .

وبعد : قال الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ﴾ .

هذه الكيفية لا يوجد ابن آدم إلا من هذا الطريق . الإنسان إذا نظرت في خلقه تعلم أن لله صنعا عجيبا وجعل له أعضاء متساوية ، كل ما يحتاج إليه من عضو في حياته أكمله فيه قبل بروزه من بطن أمه : له رجلان يمشي بهما ، له يدان يبطش بهما ، له عينان يبصر بهما ، له أذنان يسمع بهما ، له لسان يتكلم به ، وغير ذلك من الأعضاء .

وخلقه الله خلقا متينا ليتحمل مسؤوليته في الخلافة عن الله تبارك وتعالى : ﴿نَّحْنُ خَلَقْنَـٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ﴾ يعني : شدد أعضاءه قوي اليدين ، لا ترى إنسانا يمشي وتسقط إحدى يديه أو تسقط إحدى رجليه أو أذنه أو عينه . لا يخاف أحدكم على هذا . نجد السيارة تمشي وتنفصل إحدى عجلاتها ، هذا هو الفرق بين خلق الله وخلق الإنسان .

الإنسان له سمع وبصر وله عقل يميز به الأشياء ، سمعه ليس كسمع البهائم . سمع الإنسان يميز الأصوات المختلفة يسمع فيعرف أن هذا كلام الإنسان ، وهذا صوت البهيمة ، وهذه لغة الوحوش ، وهذه لغة الطيور ، هذه لغة أفهمها ، وهذه لغة

لا أفهمها : هذا كلام موجه إلي ، وهذا كلام موجه إلى غيري . هذا كلام محتاج للجواب ، وهذا كلام لا يحتاج للجواب ، هذا كلام أحبه وهذا كلام لا أحبه . سمع الإنسان فقط هو الذي يدرك هذا .

البهائم تكون الأصوات سواء عندها . ليس عندها تمييز ، وبصر الإنسان كذلك يبصر : هذا بياض وهذا قصر ، وهذه جماعة من الناس ، هذا حسن وهذا قبيح ، وهذا أحبه وهذا لا أحبه ، بصر الإنسان فقط هو الذي يدرك هذا . وأكرم الإنسان لما كان في بطن أمه : بدل دم الحيض لأمه بدله لبنا يعيش عليه ما دام في بطن أمه – الله يحفظه ، ينبته شيئا فشيئا حتى أخرجه إلى الدنيا يخرجه إلى الدنيا ليس عنده شيء – ولا وسيلة واحدة وهو يعلم أن الدنيا تحتاج لشئ لكنه لم يأتي بشيء ، حتى أن الإنسان عندما يولد يمد يديه هكذا .. .. يرى أنه ليس عنده شيء استقبله الله بلطفه وكرمه جعل له لبنا في ثدي أمه يرضع ما دام في زمن الرضاعة حتى يفطم ويستطيع الأكل وقبل ولادة الإنسان تكون كل أعضائه كاملة إلاّ الأسنان . الإنسان يولد ليس عنده سن ، لأن الله يعلم أن معاشه حين ما يولد من ثدي أمه . ولو ولد ومعه سن لأضر ثدي أمه . وعندما يقوى شيئا فشيئا تخرج الأسنان شيئا فشيئا حتى يستكمل أسنانه قبل احتياجه إليها هكذا كله من اعتناء الله للإنسان ، أليس معتنيا به تبارك وتعالى ؟ والله ملك والملوك في الدنيا إذا كان عندهم عبيد أو خدم يقسمونهم إلى ثلاثة أقسام : قسم يعملون له لزيادة رزقهم وقسم يشتغلون بالطبخ وصنع الشراب والأكل وقسم يجالسونهم ويكرمونهم ويتضاحكون معهم والله تبارك وتعالى قال : ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ القسمان الأولان لا حاجة له بهما ، لا يريد من يطعمه ويسقيه . بقي قسم واحد هم الذين يحضرون عنده تبارك وتعالى ويعظمونه . أولئك هم المؤمنون بالله ، الله خلق بني آدم كي يؤمنوا به ويعبدوه . والعبادة ما جاءت به الرسل عن الله تبارك وتعالى وكل الرسل اجتمعوا على شيئين ، كل الشرائع تتضمن هذا الشيء ، الأول : تعظيم الخالق جل وعلا ، والثاني : الشفقة على الخلق ، تعبدون الله ولا تشركوا به شيئا ، إن الله لا يقبل الشريك ، والشرك لا يغفره الله لصاحبه أبدا : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ .

لابد من الإيمان بالله وحده ، لابد من إفراد العبادة لله تبارك وتعالى . وبعد ذلك ، الإحسان إلى الخلق : جميع خلق الله الآدميين أولا وجميع خلق الله ، حتى الهرة . دخلت امرأة النار بسبب الهرة [1] ودخل واحد الجنة بسقي الكلب [2] . وأكبر خلق الله حقا على العبد والده ، وأكبر حق بعد حق الله حق الوالدين : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ ومن بر الوالدين الإحسان إلى الأقارب ، وبعد ذلك الإحسان إلى الجيران ، والجار على ثلاثة أقسام : جار له ثلاثة حقوق ، وجار له حقان ، وجار له حق واحد : جار قريب مسلم له ثلاثة حقوق (حق الجوار وحق الإسلام وحق القرابة) ، جار ليس بقريب لكنه مسلم له حقان ، حق الجوار وحق الإسلام ، وجار ليس بقريب ولا مسلم له حق المجاورة [3] .

ولابد أن لكل ذي حق حقه والإحسان إلى كل مخلوق .

هذه هي العبادة : الصلاة والصوم والذكر وقراءة القرءان والحج ، هذا بينك وبين الله . الصدقة والإنفاق والإحسان هذا بينك وبين الخلائق وكما يجب الإحسان إلى الخلائق يجب الهرب من ظلمهم .

الله تبارك وتعالى لا يغفر الشرك ، والحسنة بعشر أمثالها والسيئة بمثلها . أما ظلم العباد فلا يغفره الله إلا إذا تحلل من أرباب الحقوق .

ومن جاء يوم القيامة وعنده مظالم ، لابد أن يردها كلها يوم القيامة ، وهناك لا درهم ولا دينار فكيف يردها ؟ يأخذ الله من حسناته ويدفع للمظلومين ، إن لم تبق له حسنة يأخذ سيئات المظلوم ويجعلها للظالم ويدخل النار [4] . وعلى هذا احذروا من الظلم ، والظلم إن استطعت أن تنفع جميع المخلوقين فانفعهم وإن لم تقدر فإياك أن تؤذي أي مخلوق من المخلوقين ، « الخلق عيال الله أحبهم إلى الله

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه 1205/3 ، حديث رقم 3140 ، ومسلم في صحيحه 4/ 2023، حديث رقم 2619 .

(2) أخرجه البخاري في صحيحه 75/1 ، حديث رقم 171 ، 2238/5 ، حديث رقم 5663 ، ومسلم في صحيحه 4/ 1761، حديث رقم 2244 .

(3) أخرجه أبو نعيم في الحلية 207/5 ، والطبراني في مسند الشاميين 256/3 .

(4) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة 2394/5 ، حديث رقم 6169 .

أنفعهم لعياله » (1) . أحسنوا عباد الله تبارك وتعالى بالطهارة والصلاة والصيام ، وأحسنوا إلى الله كل مخلوق ما استطعتم . من فعل هذا فهو من الصالحين ومن يشتغل بعبادة الله ولا يبالي بظلم المخلوقين فهو مفلس يوم القيامة ، يقول الرسول : « هل تعرفون المفلس ؟ قالوا : من أخذ ديناره ودرهمه . قال : لا . المفلس من أمتي رجل يأتي يوم القيامة عنده صلوات وعنده صدقات وعنده صيام وحج ، كلها أنوار تسطع وقد سب هذا وشتم هذا وغصب مال هذا واغتاب هذا ، فأخذ الله جميع حسناته وقسمها بين أولئك ، إن تمت فذاك ، وإن لم تتم يأخذ من سيئات هؤلاء ويجعلها عليه » (2)

الرسول الكريم يقول : « إن ربكم واحد وإن أباكم واحد » (3) ، وكلنا أبونا واحد ، كلنا من آدم .

إذا المسلمون وغير المسلمين كلهم إخوة من أب واحد وأم واحدة ، والمسلمون على وجه الخصوص قال الله تعالى فى حقهم : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده] (4) المسلم لا يظلم أخاه ولا يخذله أي يتركه بغير إعانة ، ولا يسلمه لمن يظلمه ، هذه شروط الذي أتاكم الرسول به (5) .

أتاكم بهذا الدين لتعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وتحسنوا الخلق مع كل مخلوق . وطريق ذلك أن تنزل الناس منازلهم ، ولا ترى عبدا لله أيا وتعتقد أنه خير منك ، وتشتغل بعيب نفسك دون عيب غيرك ، أكثرنا يشتغلون بذكر عيوب الغير

---

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير 86/10 ، حديث رقم 10033 ، وأبو يعلى في مسنده 6/ 65، حديث رقم 3315 ، طبعة دار المأمون للتراث - دمشق ، تحقيق حسين سليم أسد .

(2) أخرجه مسلم في صحيحه 1997/4 ، حديث رقم 2581 ، والترمذي في سننه 613/4 ، حديث رقم 2418 .

(3) أخرجه أحمد في مسنده 5/ 411، والبيهقي في شعب الإيمان 289/4 .

(4) أخرجه البخاري في صحيحه 13/1 ، 2379/5 ، حديث رقم 10 ، 6119 ، ومسلم في صحيحه 65/1 ، حديث رقم 41 .

(5) أخرجه مسلم في صحيحه 1986/4 ، حديث رقم 2564 ، والترمذي في سننه 4/ 325، حديث رقم 1927 ، وأحمد في مسنده 68/2 .

ولا يتكلمون عن عيوب أنفسهم ، والإنسان يعلم عن نفسه ما لا يعلم عن غيره لأن الله تبارك وتعالى ستار ، وكل ما ذكرت عن عيب إنسان إنما سمعته أو ظننته فقط ، ليس عندك تحقيق ، الذي تعلمه حقا عيب نفسك ، مع ستر الله الجميل ، أنت تعلم ما عملت وتعلم ما في قلبك ، وعيب غيرك لا يضرك ، وعيبك هو الذي يضرك ، ولم تترك عيبك وتذكر عيب غيرك ؟

قال الله تعالى لموسى - كان يتكلم مع الله تبارك وتعالى - قال له : « يا موسى ثق برزقي الذي ضمنته لك مادامت خزائني مملوءة وخزائني مملوءة أبدا » إن الله خلق الإنسان فرغ من خلقه وفرغ من رزقه ، لو فر أحدنا من رزقه لتبعه رزقه ، حتى « لا يموت أحدنا حتى يستكمل رزقه » [1] ، ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ﴾ الإنسان يخبره الله ويقسم ولا يصدقه هذا ضعف في الإيمان . الرزق مضمون ، لهذا قال الله لموسى : « ثق برزقي المضمون ما دامت خزائني مملوءة » قال له : « يا موسى ، لا تخف السلطان في سلطان مادام سلطاني موجودا ، وسلطاني موجود أبدا ، لا تخف قائم سلطان ما دام لم تظلم » .

أما الظلم فليس لك أن تظلم لا سلطان ولا غيره ما دمت لم تظلم لا تخف أحدا وسلطان الله قائم . الثالث : قال له : « يا موسى لا تشتغل بذكر عيب غيرك ما دام فيك عيب . والعبد من عيب أبدا » . الرابع : قال له . « يا موسى لا تأمن مكر الله ما لم تر نفسك في الجنة ، وفي الجنة كان أبوك آدم ، وقد خرج منها . لا تأمن أبدا » . الخامس : « لا تترك محاورة إبليس ما دام يحاورك ، وهو يحاورك أبدا » هذه وصية الله لكليمه موسى ، الشاهد منها : لا تذكر عيب غيرك ما دام فيك عيب . كلنا له عيب ما سوى الأنبياء ، الناس كلهم له عيوب . الأنبياء معصومون ، لا يعصون الله ما أمرهم ، لا يستطيعون لو أراد نبي أن يعصي الله ما استطاع ، ولا يريدون أيضا ، والله غفر لهم ما وقع منهم ولو قدرنا أنهم يفعلون ، أكرمهم رسول الله ﷺ ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ۝١ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ .

---

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك 5/2 ، 361/4 ، والبيهقي في السنن الكبرى 265/5 .

ونحن في آخر الزمان الله أكرمنا وسهل لنا كل شيء كان من واجبنا أن نزيد إيماننا ولكن العكس هو ما حدث ، إن الله سخر لداود الحديد وسخر لسليمان الريح وسخر لموسى البحر . ونحن سخر لنا هذه كلها : نسافر في الجو ولين لنا الحديد نصنع كل ما شئنا ، وسخر لنا البحر : سفن البحر وسفن الجو وسخر لنا الكهرباء ، كان من حقنا أن نزداد إيمانا وطاعة لله تبارك وتعالى .

وثلاثة أشياء هي الموجودة : الله تبارك وتعالى والإنسان والكون ، والكون عند الإنسان كلوح يدرس فيه ، كل يوم سطرا في أول تعلم كان الناس إذا أرادوا يطلبون من بلد إلى بلد ، ما عرفوا الكبريت في ذلك الوقت ، وبعد ذلك وصل علمهم إلى الكبريت ، وصاروا يوقدون النار في كل محل ، وبعد ذلك ظهرت الكهرباء - هذه لا تحتاج شيء - وسخر السفن في البر والبحر والجو ، وكان من حقنا أن نعود إلى الله بالشكر ونزداد إيمانا ، وهذا كله ببركة رسول الله ﷺ ، هو الذي أعطاه الله خزائن الأرض وزهد فيها ولكن تركها لنا نستعين بهذه الأشياء في عبادة الله والإيمان به والإحسان إلى الخلق .

لولا ما سخره الله لنا من المواصلات ، لما كان هذا المجلس ، أنا في بلد بينكم وبينه مسافة شهر على الأقل ، والآن أغدو هناك وأروح عندكم ، ألا نحمد الله تبارك وتعالى ونزيد في الإيمان ونزداد تضرعا ونعلم أن يوم القيامة آت لا ريب فيه ؟ الدرجات في الآخرة أعظم من الدرجات في الدنيا . وهذه الدنيا كما ترون . من كان عنده نقود كثيرة يظهر ذلك في حياته ، ويظهر في مساكنه وملابسه وطعامه ومناكحه ومراكبه . ومن لم تكن عنده هذه النقود ظهر ذلك أيضا فيه ، ويظهر في مسكنه وملبسه ومنكحه ومركبه وكل أرض الله لها نقد خاص بها : الدراهم في السنغال غير الدراهم هنا ، وكذلك الدراهم في الدنيا غير الدراهم في الآخرة، ومن كانت عنده الدراهم ينال بها ما أراد في الدنيا ، وأيضا النقود التي في الآخرة ، من كانت عنده كثيرة يجد مساكن طيبة ومناكح ومطاعم ومشارب وملابس ، ومن لم يكن عنده يبقى في السجن فقط ، وسجن الآخرة النار فقط ، أتعلمون ما هي النقود التي تروج في الآخرة ؟ الإيمان بالله وطاعته ، ومن كانت عنده الدنيا وما فيها من الذهب ، والفضة لا يجد فيها شربة ماء إلا إذا كان قد قدمه في حياته قبل موته . نرجع إلى

الطهارة وإقام الصلاة ، هذا بعد ما قلنا « لا إله إلا الله محمد رسول الله » نقولها مرة أخرى نجدد إيماننا ، كان الرسول الكريم يقول : « جددوا إيمانكم بلا إله إلا الله محمد رسول الله » (1) هذه الكلمة مرة واحدة منها يستوجب دخول الجنة والسلامة من النار . هذه تحتاج التجديد في كل وقت ، الرسول يقول : « أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله » (2) أكثروا من قول لا إله إلا الله تفوزوا في الدنيا والآخرة ، ومن قال لا إله إلا الله محمد رسول الله يجب عليه أن يحافظ على الصلوات الخمس ، والفرق بين المسلمين وغيرهم الصلاة وترك الصلاة ، من صلى فهو مسلم ومن ترك الصلاة فهو غير مسلم ، وكثير من أهل هذا العصر يتغافلون عن الصلاة أوصيكم بالمحافظة على إقامة الصلاة والصلاة في الجماعة : اركعوا مع الراكعين ، والصلاة في الوقت ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾ الصلاة لله بالخشوع .

الرابطة بين العبد وبين الله أن يعتقد أنه يصلي لله تلك النية هي التي تجعلها عبادة ، وأما إذا تحرك ولم ينو شيئا فهذه ليست بعبادة ، اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وأفضل ما يتعبد به ، الصلاة ، بعد الصلاة الصيام ، بعد ذلك الإنفاق ، وبعد ذلك الحج لمن استطاع إليه سبيلا ، وبر الوالدين ، من أحسن إلى والديه قال الرسول الكريم : « الجنة تحت أقدام الأمهات » (3) من رضي عنه أمه وأبوه وكان من أهل الإسلام إذا مات دخل الجنة ، ومن أكثر من الطاعة وعاق والديه لا يدخل الجنة ، حتى يرضيهما ، كان في زمن رسول الله ﷺ رجل حضرته الوفاة ولقنوه كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله فأبى ، ومعلوم أن من كان آخر كلامه لا إله إلا الله فهو من أهل الجنة . فأبى أن يقول ، فدعوا رسول الله ﷺ ، قال : « ما تعلمون من دينه ؟

---

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك 285/4 ، وأبو نعيم في حلية الأولياء 357/2 ، وعبد بن حميد في مسنده 417/1 ، حديث رقم 1424 ، طبعة مكتبة السنة – القاهرة ، تحقيق صبحي السامرائي ، ومحمود الصعيدي .

(2) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه 378/4 ، حديث رقم 8125 .

(3) أخرجه القضاعي في مسند الشهاب 102/1 ، طبعة مؤسسة الرسالة ، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي .

قالوا : لا نعلم إلا خيرا ، قال : هل له والدان ؟ قالوا : له أم . قال : نادوا لي أمه . فأتت الأم فقال : هل ترضين عن ولدك هذا ؟ قالت : لا ، لا لعنة الله عليه وجعله في النار . قال رسول الله ﷺ : اسمحي له ، قالت : لا أسمح له أبدا قال : إن لم تسمحي له يدخل النار . قالت : لا أبالي . قال لهم الرسول الكريم : آتوني بحطب ، فجمعوا حطبا كثيرا وأوقدوا نارا ، قال الرسول : خذوه وألقوه في النار ، لما أرادوا إلقاءه في النار ، قالت أمه : يا ويل ابني سامحته ، فقال : لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ »[1] ، هذا لو مات ولم تسمح له أمه لدخل النار ، إياكم وعقوق الوالدين ، أسعد الناس من كانت له قدرة وأبواه على قيد الحياة أو أحدهما وصار يحسن إليهما هذه كرامة يكرم بها الله من شاء من عباده ، وحق الأم مقدم على حق الأب لأن الأم حملته كرها كما قال الله ﴿وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ الأم التي حملت بك تسعة أشهر أنت راقد في بطنها تتوسد كبدها ، أتى يوم من الأيام أخذها القلق حتى خرجت منها بالعملية الجراحية الإلهية ، ثم بعد ذلك ترضعك عامين كاملين تترك النوم لنومك أنت وتترك الأكل لأكلك أنت وإذا مرضت تكون هي أشد مرضا منك شفقة بك ، هذه من لم يحسن إليها لا يحسن إلى أي مخلوق ، والأب هو الذي أنفق ماله حتى تزوج أمك ، هيأ لها دارا ، ينفق عليها من ماله حتى ولدت وصرت رجلا فإن لم تحسن إليه فلا يرجى أن تحسن على مخلوق .

فحافظوا على حقوق الله وعلى حقوق الوالدين ، وبعد ذلك أحسنوا إلى كل مخلوق . الولاية ليست لها علامة . ولهذا يقولون : لا يعرف الولي إلا الله ، ولكن لو كانت للولاية علامة لكانت حسن العبادة وحسن الخلق مع كل مخلوق ، المسلم للمسلم هذا أكثر قرابة ، ولكن غير المسلم أيضا إخواننا في الأب والإحسان إليهم واجب ، ومع هذا كله لابد من إنزال الناس منازلهم . جعل بعضنا أمراء وبعضنا ملوكا وبعضنا سلاطين ، وأمرنا الرسول الكريم أن ننزل الناس منازلهم [2] .

---

(1) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد 8/ 148بغير هذا اللفظ ، وقال : رواه الطبراني وأحمد باختصار كثير .

(2) أخرجه مسلم في صحيحه 4/1 ، وأبو يعلي في مسنده 246/8 ، والبيهقي في شعب الإيمان 7/ 462.

ولابد من طاعة الله تبارك وتعالى ، إن الله تبارك وتعالى لما خلق الخلق ، خلق الحرف ليشتغل بها الناس في معاشهم ، وأهم هذه الحرف أربعة : الحراثة والنسج والبناء والحكومة ، هذه الأشياء لابد منها ، الحراثة أولا : لأن الإنسان لابد له من أن يأكل ، ﴿وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾ ولهذا لابد من الحراثة لطلب المأكل هذا من أصل الواجبات ، والثاني النسج ، نسج الملابس . الله تبارك وتعالى خلق البهائم تمشى متجردة لا تبالي . بنو البشر ليسوا كذلك . الإنسان لابد له من أن يستر جسده ولهذا يجب النسج . ولابد من البناء ، الإنسان لا يبقى فقط في الهواء كالبهائم ، كلنا لابد له من بيت يأوي إليه . لهذا يجب البناء أيضا .

أما الأمر الرابع فهو الحكومة : فالإنسان لا يستطيع العيش منفردا ، لا يعيش الإنسان إلا بين الناس ، لابد أن يجتمعوا حتى يكونوا قرية ويستعينوا ببعضهم بعضا . ثم تجتمع القرى حتى تكون بلدا ، الناس إذا اجتمعوا لابد من ظلم بعضهم بعضا ، ولهذا لابد من الحكومة . أيضا السلطان ظل الله في أرضه [1] ، يأوي إليه من ظلم ، وهو الذي يأخذ للمظلوم من الظالم ، وطاعته واجبة . الحكومة والملك يمكنهما أن يكونا للمسلم ولغير المسلم ولكن لابد من العدل . الملك يستقيم مع الكفر ولا يستقيم مع الجور ، الدنيا ملكها أربعة رجال ، كلهم ملك الدنيا كلا في زمنه ، ليس له منازع : سليمان بن داود وذو القرنين ونمرود وبختنصر ، اثنان مؤمنان واثنان كافران ، نمرود بقي فى ملكه أربعمائة عام وما هلك إلا بعد ظلم إبراهيم ، وبختنصر كذلك ، ولهذا الملك لا يتقيد بالدين ، إنما العدل فقط ، والملك إذا عدل أو لم يعدل فطاعته واجبة على الرعية ، سألوا الرسول ﷺ : إذا وجدنا أمراء يأخذون منا حقوقهم ولا يعطوننا حقوقنا ؟ قال : « أعطوهم حقوقهم واطلبوا حقوقكم من الله تبارك وتعالى » [2] هذا دليل على أن الملك ولو كان ظالما يجب طاعته . وهذا الزمن - الحمد لله زمن مشاورة - الحكومات تقوم بالمشاورة . إذ الحكومة هي لنا جميعا ، نختار الرئيس ونختار الوزراء .

---

(1) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان 15/6 ، 17 ، والقضاعي في مسند الشهاب 201/1 .

(2) ذكره ابن حجر في فتح الباري 13/ 6من طريق مسند عمر للإسماعيلي .

إذن وكلنا رئيس ، وإذا جاء الخير يكون لنا جميعا ، وكل شر يضرنا جميعا ، نحن كجسد واحد «إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسم بالحمى والسهر »[1]. تعاونوا واعملوا لدنياكم كما تعملون لآخرتكم خلف حكومتكم ، واعبد الله تبارك وتعالى . يقول الرسل كما في الطبراني : «ليس بخيركم من عمل لدنياه دون أخراه أو عمل لأخراه دون دنياه ، حتى يعمل لهما معا »[2] قال بعض الحكماء : «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لأخراك كأنك تموت غدا »[3]. هذا قول الحكماء وليس بحديث ، ولكن الآية تصدقه ، قال الله تعالى في القــرءان : ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ﴾ إذا فرغت من عمل الدنيا فانصب لعمل الآخرة .

الحياة عمل ومن لم يعمل فكأنه ميت ، إما عبادة الله وإما عمل لطلب المعاش ، لا تترك أي يوم يمضي إلا وأنت تعمل للقمة العيش أو لزيادة الآخرة . ومن تفرغ لم يعمل للدنيا ولا للآخرة كأنه ميت ، والدنيا هذه تنقضي عاجلا ، لم يبق إلا الآخرة ، فإذا لقينا الله في الآخرة لا ينفعنا هناك إلا الطاعة ، وما دمنا في هذه الدنيا فنحن محتاجون لمعاشنا ومعاش عيالنا ، إذا لابد من العمل ، والعمل في كسب الحلال يعد من الجهاد ولهذا المسلم عمله كله خير إن عمل للطاعة فهذه طاعة ، وإن عمل لكسب الحلال لعياله وللفقراء والمساكين فهذا جهاد .

الله تبارك وتعالى أنزل علينا هذا القرآن ، وهذا القرآن يهدى للتي هي أقوم ، القرآن فيه تسعة فنون من فنون العلم ، وتلك الفنون هي أمهات الفنون الباقية : وفي القرآن : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ الحمد لله ثناء على الله تبارك وتعالى .

هذا فن من فنون القرآن لأن كل ما في القرآن أوجزه الله في فاتحة الكتاب ، كل ما في القرآن من الثناء على الله جاء في فاتحة الكتاب ، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ثناء على الله . ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ توحيد ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ وعد بالرحمة . ﴿مَٰلِكِ

(1) أخرجه البخاري 2238/5 ، حديث رقم 5665 ، ومسلم 1999/4 ، حديث رقم 2586 .

(2) رواه ابن عساكر عن أنس . كنز العمال 427/3 .

(3) أخرجه الهيثمي في زوائد مسند الحارث بن أبي أسامة ، مرفوعا عن عبد الله بن عمرو بن العاص 983/2 . وهو حديث لا أصل له وإن اشتهر على الألسنة كما قال الألباني في السلسلة الضعيفة 1/ 63 .

﴿يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ وعيد ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ شريعة . ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ حقيقة . ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ دعاء . ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ قصة ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ تذكير .

وإذا رجعنا إلى الثناء على الله فإنه إذا قال العبد : ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ ، فكأنما أثنى على الله بجميع محامده وإذا قال : رب العالمين هذا توحيد أثبت وجود الله ، و« كان الله ولا شيء معه » (1) وأوجد هذه الخلائق بقدرته ومشيئته وحكمته وسيفنيها كلها كما شاء . من علم أن لهذا الكون ربا هذا هو التوحيد الرحمن الرحيم : وعد من الله تبارك وتعالى إنه تبارك وتعالى أوجدنا لأي شيء ؟ أوجدنا للإسلام فقط ، وأوجد الإسلام لأي شيء ؟ ليعطينا الرحمة فقط . الإسلام جاء بالرحمة . نبي الإسلام قال الله في حقه : ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ ، إذ الرحمة هي الأصل .

و« بسم الله الرحمن الرحيم » رأس كل كتاب ، الكتب المنزلة من الله تعالى كلها افتتحت ببسم الله الرحمن الرحيم ، كما أن لكل دولة نشيد تمتدح به فما هو نشيد الله تبارك وتعالى ؟ الرحمة . « وكل أمر ذي بال لابد أن يبدأ ببسم الله الرحمن الرحيم » (2) . تعلمون أن بسم الله الرحمن الرحيم هو نشيد دولة الله تبارك وتعالى ، الله تعالى يقول : ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ﴾ وقال : « سبقت رحمتي غضبي » (3) ولهذا نرجو من رحمة الله تبارك وتعالى أشياء كثيرة ، قال الرسول ﷺ : « لو علم الناس ما عند الله من الرحمة لما يئس الكفار من دخول الجنة . إن الله خلق

---

(1) الحديث أخرجه ابن حبان في صحيحه 7/14 ، 10 حديث رقم 6140 ، طبعة مؤسسة الرسالة ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، وبرقم 6142 ، والحاكم في المستدرك 371/2 .

(2) نص الحديث : « كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بحمد الله فهو أقطع » .

أخرجه ابن حبان عن أبي هريرة 173/1 ، 174 ، حديث رقم 1 ، 2، والدارقطني في سننه 229/1 ، حديث رقم 1 ، والطبراني في المعجم الكبير 72/19 ، والبيهقي في شعب الإيمان 90/4 ، وفي السنن الكبري له 208/3 .

(3) أخرجه مسلم في صحيحه 2107/4 ، حديث رقم 2751 ، وأحمد في المسند 242/2 ، 381 ، وابن حبان في صحيحه 13/14 ، والطبراني في المعجم الأوسط 42/1 ، 189/3 .

الرحمة من مئة قسم ، وضع جزءا واحدا في الدنيا . كل ما في هذه الدنيا من النعم من بداية الخليقة إلى آخرها كلها من ذلك الجزء ، حتى رحمة الأم لولدها وحتى رحمة البهيمة بولدها . وبقي عنده تبارك وتعالى تسعة وتسعون فإذ انقضت هذه الدنيا وضم هذا الجزء إلى التسعة والتسعين الأخرى صارت مائة ، فيقول تعالى : « سبقت رحمتي غضبي » يرحم الله عباده رحمة لا تخطر ببال أحد ، لا سيما أمة محمد إن الله لما أراد إيجاد الخلق وخلق القلم والدواة (ن ، والقلم) أقسم الله بهما وقال للقلم : « اكتب . قال : ما أكتب ؟ قال : اكتب ما كان وما سيكون إلى يوم القيامة ، اكتب أن أول الأنبياء نوح عليه الصلاة والسلام . أبعثه إلى الخلائق ، من آمن به أدخلته الجنة ومن لم يؤمن به أدخلته النار . ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى إلى محمد ﷺ » (1) .

الأنبياء مائة وأربع وعشرون ألفا . كلهم يقول القلم : من آمن به أدخلته الجنة ومن لم يؤمن به أدخلته النار حتى وصل إلى أمة محمد ﷺ ، كتب : أرسل محمدا إلى الخلائق ، من آمن به أدخلته الجنة ومن كفر به أدخلته النار .

فزجره الحق تبارك وتعالى : تأدب يا قلم هذه أمة حبيبي وفزع القلم حتى انشق هذه الهيئة التي ترى القلم عليها إنما من زجر الله تبارك وتعالى . قال : ماذا أكتب ؟ قال الله تعالى : اكتب : « أمة مذنبة وأنا رب غفور وسبقت فيهم رحمتي غضبي » .

الحمد لله ، من كان من أمة محمد وهذا القرآن بيده يذكر الله ويصلي على النبي ﷺ إن شاء الله تعالى لا يرى في الآخرة إلا الخير . والذنوب كثيرة ، ولكن الاستغفار موجود كالصابون والماء . من أكثر من الاستغفار لا يبقى له ذنب . من صلى على النبى ﷺ صلاة ... يقول الله تعالى : عبدي هذا ، لا يعذبه أحد وهو

---

(1) انظر حديث القلم مع اختلاف ما أورده الشيخ في سنن الترمذي 4/ 457، حديث رقم 2155، 5/ 424 ، حديث رقم 3319 ، والحاكم في المستدرك 492/2 ، والطيالسي في مسنده 79/1 ، وابن أبي شيبة في مصنفه 259/7 ، والبيهقي في السنن الكبرى 10/ 204 ، وأبو نعيم في حلية الأولياء 5/ 248، والطبراني في مسند الشاميين 57/1 ، 58 ، 397/2 ، 138/3 .

المعذب . وإذا كان إلهه يطلب أن لا يعذب ولا إله إلا الله من قالها مرة مصدقا بها فهو من أهل الجنة . لا شك إذا قد نصحكم الذي جعل لكم وردا وهو الاستغفار والصلاة على النبي ولا إله إلا الله . هذه الأشياء أمر بها القرآن : ﴿وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ﴾ هذا قرآن ﴿صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ هذا قرآن . فلا إله إلا الله : ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ .

الورد صباحا ومساء : ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةً وَأَصِيلًا﴾ ، إذا يوجد أناس علمهم قليل وفهمهم ، ويغارون على الإسلام ثم يقولون : هذه الطرق القادرية والتجانية وغيرهما ليست كما قالوا . دليلهم : الله قال : ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ ورسول الله أتى بالدين . ما خرج من الدنيا حتى استكمله ، أتى بكل الدين ، لم يبق شيء ، ولكن لو أتى إنسان بشيء خارج القرآن أو عن كلام الرسول لقلنا أنه زاد في الدين ، وهذا غير مقبول . أما من أتى بشيء نص في القرآن ، نص في الحديث ، الذي أتى به اسمه عبد القادر وأحمد التجاني ، ويقال أنها بدعة ، هذا كذب .

الأوراد أوراد رسول الله ﷺ ، كله من القرآن كلهم ألهمهم الله وردا ينفع أصحابه وتمسك به ونصح أصحابه ليتمسكوا به .

الاستغفار والصلاة على النبي ولا إله إلا الله أمر الله به في القرآن . من لم يكن تجانيا واستغفر الله وصلى على النبي وذكر لا إله إلا الله يجد ثوابها . إذا فعليكم بأورادكم والمحافظة عليها . فأوراد المشايخ تحفظ من حافظ عليها وتضيع من ضيعها ومن التزم وردا ، هذا نذر . يقول الله : ﴿وَلۡيُوفُواْ نُذُورَهُمۡ﴾ لا يحملكم أحد على ترك أورادكم ، يعني ترك ذكر الله فيقول الله : ﴿وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ﴾ .

« من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب » [1] هكذا قال الله في الحديث القدسي ، ومن يحاربه الله يهلكه .

هما طريقان . الطريق الأول : ترك ذكر الله ومعاداة أولياء الله وغيبتهم والإنكار

---

(1) أخرجه البخاري 2384/5 ، حديث رقم 6137 ، وابن حبان في صحيحه 2/ 58، والطبراني في المعجم الكبير 145/2 ، والبيهقي في السنن الكبرى 346/3 ، 219/10 .

عليهم ، والطريق الثاني : ذكر الله ومحبة أولياء الله . ويقول الله في الحديث القدسي :

« أنا جليس من ذكرني وأنا معه ، إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير من ملئه » (1) . هذا واحد ، ذكر الله من ذكر الله ذكره الله ، والثاني محبة أولياء الله من أحب ولي الله من أجل أنه ولي الله اتخذه الله وليا .

إذ نحن نلتزم محبة أولياء الله وذكر الله تبارك وتعالى ، ومن اختار ترك ذكر الله ومعاداة أولياء الله فإذا دعانا إلى ذلك فلا نطيعه ، وغدا عندما نلقى الله سيعلمون لمن الكرم يوم القيامة ؟ يتجلى الله بجلاله وعظمته ويجلس على كرسي القضاء ويقول : « سكت وتكلمتم ، اليوم اسكتوا وأنا أتكلم ، فسكت جميع الخلائق لا تسمع كلمة . يقول الله : سيعلم أهل الجمع لمن الكرم اليوم . أين الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون الله خوفا وطمعا ؟ فتقوم جماعة ، فيقول الله : ادخلوا الجنة . سيعلم أهل الجمع لمن الكرم اليوم . أين رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ؟ فتقوم جماعة ، فيقول الله : ادخلوا الجنة بغير حساب . أين الذاكرون الله كثيرا ؟ أين الحامدون الذين يحمدون الله على كل شيء : إذا أكلوا حمدوا وإذا شربوا قالوا : الحمد لله وإذا لبسوا قالوا : الحمد لله ، وإذا ركبوا قالوا : الحمد لله ، وإذا دخلوا أو خرجوا قالوا : الحمد لله ؟ فتقوم جماعة فيقول الله : ادخلوا الجنة بلا حساب . سيعلم أهل الجمع لمن الكرم اليوم » (2) . ونحن إذا لازمنا ذكر الله وأحببنا رسول الله وأولياء الله فعندما يدعى أهل الكرم سيعلم الناس لمن الكرم لنا أم للمتكبرين ؟ وذلك آت لا ريب فيه .

أكثروا من الصلاة على النبي ﷺ لا سيما في ليلة الجمعة ، ويوم الجمعة فإن

---

(1) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه 108/1 ، 73/7 ، والبيهقي في شعب الإيمان 451/1 ، 458 ، وأبو نعيم في حلية الأولياء 37/6 ، 42 ، 217/8 .

(2) أخرجه الحاكم في المستدرك عن عقبة بن عامر الجهني 432/2 ، والبيهقي في شعب الإيمان 453/1 ، 169/3 ، 170 ، وأبو نعيم في حلية الأولياء 9/2 ، 106/6.

الملائكه يدورون في الأرض ، كل من صلى على رسول الله ﷺ يبلغه أن فلان ابن فلان في البلد الفلاني صلى عليك كذا مرة يوم الجمعة . وفى ليلة الجمعة يخرج النبي ويسمع بنفسه من صلى على النبي يوم الجمعة وليلة الجمعة منكم فقد جعلها في أذن المصطفى ﷺ . هذا إذا لقينا الله فسيعلمون أن هذا هو الكرم .

الوقت قرب . أشكركم على حسن الاستماع أدعوا لكم الله أن يجعلنا وإياكم من أهل السعادة في الدنيا والآخرة ، ويرزقنا العاقبة في الدنيا ويحفظنا ويحفظ أولادنا ، الله يبارك فيكم ويبارك في أعمالكم ويبارك في أولادكم ويبارك في أموالكم ويبارك في أرضكم ويبارك مهامكم ويبارك في كل ما رزقكم . الله يرزقنا أولادا كثيرين ومالا كثيرا ويبارك في كل ما أعطاكم ويجعلكم من عباد الله الذين يتحابون في الله ، من ليس في قلوبهم غل ولا حسد لأحد .

الرسول الكريم على جلالة قدره كان يقول : « لا يبلغني أحد عن أحد شيئا قبيحا ، أنا أريد أن أخرج منكم سليم القلب » (1) ، الله يقول في القرآن الكريم : ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ : قلب ليس فيه غل ولا حسد لأحد .

جلس الرسول يوما في مسجده وقال : « يدخل من هذا الباب رجل يدخل الجنة ! الناس كلهم ينظرون إلى الباب ، فدخل عبد الله بن سلام فتلقاه الصحابة ، سألوه أي عمل تعمل ؟ قال الرسول : إنك من أهل الجنة ، قال لهم : ليس بصلاة كثيرة ، ولا بصيام ولكنني إذا أصبحت أنوي أني لا أجعل لأحد في قلبي غلا ، وإذا أمسيت أنوي أني لا أجعل غلا لأحد في قلبي حتى أصبح ، ولا أذكر أحدا بقبيح حتى أصبح هكذا مدة حياتي ، قالوا : بهذا وجبت لك الجنة » (2) .

الرسول يقول : من أتى الجماعة وفرحوا به جميعا : مرحبا ، فهذا له عند الله كذلك ، ومن دخل على الجماعة وكلهم غاضب عليه ويلعنونه فهو عند الله

---

(1) أخرجه الترمذي في سننه 710/5 ، وأحمد في مسنده 395/1 ، وأبو يعلى في مسنده 266/9 ، والبزار في مسنده 406/5 .

(2) أخرجه مسلم في صحيحه 1930/4 ، حديث رقم 2484 .

كذلك ، وأنتم شهداء الله وأنتم أقلام الحق ، كل ما تشهدون في الناس فهذا هو الذي لهم عند الله ، وحسنوا أخلاقكم وأقوالكم مع كل إنسان بارا كان أو فاجرا ، لا يكون فاجرا أقبح من فرعون الذي كفر بالله وادعى الربوبية ، ولا يكون أحدا أجل قدرا من موسى عليه السلام وهارون ، قال الله لهما لما أرسلهما إلى فرعون : ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا ﴾ ، فإن كان موسى مع جلالة قدره يأمره أن يتأدب ويلين الكلام مع هذا الفاجر المدعي للربوبية فأولى نحن . أحسنوا عبادتكم أحسنوا أخلاقكم ، يعطيكم الله خير الدنيا والآخرة . السلام عليكم ورحمة الله . وإني أشكركم ، أشكر أهل كدنوه على هذا الاستقبال وهذه الحفاوة وحسن الضيافة والمحبة . أشكركم جميعا شعبا وحكومة ورئيسا ، أشكركم جميعا وأدعوا الله لهم وأحبهم جميعا كما يحبونني ، وعلى وجه الخصوص المسلمون منهم ، مع أنهم كلهم أحبابي . وأنا كثيرا ما أقول : إنني واحد من أهل نيجيريا ، وكل ما جئتكم يظهر ذلك ، وكل بلد جئته وجدت هذا فيه : كنو ، جسء ، وزاريا ، وكدنوه . كلما أحضر إلى بلد في نيجيريا أجد نفسي في بيتي وبين أهلي بل في بيت خير من بيتي وأهل خير من أهلي . وذلك مكتوب عند الله تبارك وتعالى . وأشهد على ذلك ، أؤدي تلك الشهادة عند الله تبارك وتعالى وهو تبارك وتعالى يسأل عن صحبه ساعة واحدة ، ومن صحب أهل الله ساعة واحدة ينفعه ذلك . وأختم بالحكاية ، حيث كان الأولياء يربون بالحكاية : مر أبو يزيد البسطامي ، ببلدة في سفر ، فلما كان في وسط البلدة سقط سوطه الذي كان يزجر به دابته ، فأخذه رجل وناوله إياه ، ثم بعد ذلك مات الرجل ولم يعمل خيرا قط ، وجاءته ملائكة العذاب فقال لهم : أنا واحد من تلامذة أبي يزيد البسطامي ، وأهل البرزخ كلهم في محل واحد فالتفتت الملائكة إلى أبي يزيد البسطامي : أحقا هذا من أصحابك ؟ قال : لا أعرفه ! قال الرجل : يا أبا يزيد أتنسى أنسيت لما كنت في سفرك ومررت بالبلد الفلاني وسقط سوطك الذي تزجر به دابتك وناولك إياه رجل ؟ قال أبو يزيد : تذكرت ذلك . قال : أنا ذلك الرجل الذي ناولك إياه . قال أبو يزيد : خلوه . أهـ

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على النبي الكريم

هذه خطبة مولانا القطب الربانى والغوث الصمدانى

صاحب الفيضة

التجانية الشيخ / الحاج إبراهيم نياس الكولخي

التي افتتح بها موسم المولد النبوى

الشريف عام ألف وثلاثمائة وخمس وثمانين 1385

رضي الله عنه وأرضاه

وعنا به آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي شرفنا ومنّ علينا بأن أرسل إلينا سيدنا محمدا الذي بشر به الأمم قبلنا وخصّنا به ، وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين . أنزل عليه وبلغنا : ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كلّه ولو كره المشركون ولو كره الكافرون ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحابته الهادين المهتدين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد : فبمناسبة هذه الذكرى ، ذكرى مولد النور والهدى والأمن والسلامة والسعد الحقيقي في الدارين أجدّد الدعوة الجفلى إلى التمسك بالإسلام دين الله الخالد الذي ارتضاه لنا ، ولن يقبل منّا غيره ، فالقرءان يوضح أن الإسلام هو الدين الوحيد المقبول عند الله تعالى : إن الدين عند الله الإسلام ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ ، والإسلام هو الإيمان بالإله الواحد ، وتوطيد العدالة بين الناس .

والإسلام هو التسليم لإرادة الله دون أيّ مقاومة وقد تبيّن لنا من القرءان أنّ الرسل كلهم عليهم الصلاة والسلام استعملوا كلمة الإسلام اسما لدياناتهم فالإسلام إذا هو التعبير الشامل الذي يطلق على كل ديانات سماوية لم تتناوله يد الإنسان بتغيير أو تبديل : ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ .

والأديان التي ذكر القرءان أنّ أهلها حرفوا وبدّلوا فقدت هذا الإسلام من قبل أن تنسخ ، ثم جاء نسخ دين محمّد ﷺ لكل ما قبله من الأديان ، ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾ فنحن ندعو غيرنا إلى هذا الخير ، أيها الإفريقيون ، أيها الأروبيون ، أيها الأسويون ، أيها الأمركيون ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ .

لا إله إلا الله محمّد عبده ورسوله . الناس إخوة سواسية لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى ، وهي : امتثال الأمر واجتناب النهي . فالإسلام واجبات على الفرد ، وكذا تجاه الأسرة والمجتمع ، وتجاه العالم أجمع . فواجبات الفرد في الإسلام رجلا كان أو امرأة : التزام الخُلق الرفيع . يقول الرسول ﷺ : « أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خُلقا » (1) . وحسن الخُلق من أكبر الصفات التي يُمتدح بها ، وناهيك أن الله تبارك وتعالى أثنى على النبي الجامع لمكارم الأخلاق والأعمال الصالحات . فقال : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ . وقالت عائشة رضي الله عنها : « كان خُلقه القرءان » (2) .

ثم طلب العلم ، « فطلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » (3) ، ثم يمضي في التخلق بمكارم الأخلاق حتّى يحب لأخيه ما يحبُ لنفسه (4) ، ويجتهد في كماله وإكماله لغيره وإحسانه إلى كل الناس إلى كل مخلوق على وجه الأكمل .

أما تجاه الأسرة ، فالإسلام بنى الأسرة على المحبة والرحمة فتجب المحبة والرحمة ، وناهيك بهذا فقال تعالى : ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ . وقال : ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ وفسروا هذه الدرجة بأنها الإدارة ، ولابد لكل شركة من إدارة . أما في نطاق المجتمع ، فإن الإسلام جعل المجتمع كأعضاء الجسد

---

(1) أخرجه أبو داود في سننه 632/2 ، حديث 4682 ، والترمذي في سننه 466/3 ، 9/5 ، حديث رقم 1162 ، 2612 ، وأحمد في مسنده 250/2 ، 472 ، 527 ، 47/6 .

(2) أخرجه أحمد في مسنده 91/6 ، 163 ، 216 ، والبخاري في الأدب المفرد 115/1 ، طبعة دار البشائر الإسلامية – بيروت ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، والطبراني في المعجم الأوسط 30/1 ، والبيهقي في شعب الإيمان 154/2 .

(3) أخرجه ابن ماجه في سننه 81/1 ، حديث رقم 224 ، طبعة محمد فؤاد عبد الباقي ، والطبراني في المعجم الكبير 10/ 195، وفي المعجم الأوسط 7/1 ، 289/2 ، 297 ، 57/3 ، 245/4 ، 96/6 ، 8/ 195، 258 ، 347 ، وفي المعجم الصغير 36/1 ، 58 .

(4) نص الحديث : عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، » أخرجه البخاري 14/1 ، حديث رقم 14 ، ومسلم 67/1 ، حديث رقم 45 ، والترمذي 4/ 667، حديث رقم 2515 ، والنسائي في سننه 115/8 ، 125 ، حديث رقم 5016 ، 5017 ، 5039 ، وابن ماجه في سننه 26/1 ، حديث رقم 66 .

الواحد فلهذا يجب سد حاجات الفقراء والمحتاجين هذا إلى جانب ما يجب من التعاون في ميدان الخير. قال تعالى : ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾ .

وفي نطاق الحكومات ، قال تعالى : ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ .

وبيّن صفات رئيس الدولة بقوله تبارك وتعالى : ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ﴾ .

وتجاه العالم أجمع ، «إن ربكم واحد وإن أباكم واحد» [1] .

أيها المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها فالتمسك بهذا الكنز العظيم فإنه كفيل لنا بكل ما نصبوا إليه من سلام ورفعة وتقدم وازدهار ، ولا سلام ولا أمن ولا استقرار ما لم نتمسك بهذا الحبل المتين ، ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ﴾ . ومن حسن الدعوة إلى الإسلام أن نتمسك به قبل أن ندعو غيرنا قال :

يا أيها الرجل المعلم غيره   هلا لنفسك كان ذا التعليم

ومن العجب أن المسلمين أو جلهم أدركوا تماما أن ما يعانون من ويلاتٍ قد جاءهم بسبب ابتعادهم عن تعاليم دينهم ، والتشبه بغيرهم من الذين طغت فيهم المادّة ، فأهملوا جانب الروح وهم ساقطون ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ . وقد صلحت أمور هذه الأمة في الصدر الأول حينما تمسكوا بالكتاب : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ﴾ . فقد جاءكم التغيير من قبلنا ولن يجئ التغيير المنتظر إلاّ منا كذلك ، ونرجو أن نغير الأسلوب ، ونقود غيرنا فنصل جميعا إلى الخير .

والدعوة إلى الإسلام وإلى الخير بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على كل عالم : ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ

(1) أخرجه أحمد في مسنده 411/5 ، وأبو نعيم في حلية الأولياء 100/3 .

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ . أخرج رزين عن علي كرم الله تعالى وجهه رفعه : « كيف بكم إذا فسق فتيانكم ، وطغى نساءكم قالوا : يا رسول الله وإن ذلك لكائن قال : نعم وأشد . كيف بكم إذا لم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر ؟ قالوا : يا رسول الله وإن ذلك لكائن قال : نعم وأشد . كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف قالوا : يا رسول الله وإن ذلك لكائن ؟ قال : نعم وأشد . كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكرا والمنكر معروفا » (1) .

ولأبي داود والترمذي أن أبا ثعلب سأل النبي ﷺ عن هذه الآية : ﴿عليكم أنفسكم﴾ ؟ فقال : « ائتمروا بالمعروف وانتهوا عن المنكر حتى إذا رأيتم شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه ، فعليكم بِخُوَيْصَةِ أنفسكم » (2).

ويجب إرسال مبشرين بالإسلام كما يفعل غير المسلمين ، وربما سمعت من يقول : أن لا تبشروا في الإسلام ، وهذا يرده حديث الطبراني عن عمرو بن العاص [رفعه] : « لقد هممت أن أبعث معاذ بن جبل وسالما مولى أبي حذيفة وأبي بن كعب وابن مسعود إلى الأمم كما بعث عيسى الحواريين ، فقال رجل : ألا تبعث أبا بكر وعمر فإنهما أبلغ ، فقال : لا غنى لي عنهما إنما منزلتهما من الدين منزلة السمع والبصر » (3) [كبير] . فواجب كل مسلم ولا سيما العلماء القيام بهذه الرسالة رسالة دعوة الناس كافة إلى ما ينفعهم ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ . وعلى رؤساء الدول الإسلامية أن يسعوا جادين في جمع كلمة المسلمين وتوحيد صفوفهم من غير تمييز لجنس أو لون ، فقرابة الدين أمس من كل قرابة ، والمسلمون أكثر وأعز من كل جنس فيكون الإسلام تحته أنواع القوميات ولا حرج . وأدعو رؤساء الدول الإسلامية والرؤساء الذين يحكمون في بلاد المسلمين أن لا يتخذوا قوانين تخالف حكم القرءان صريحا ، فإن ذلك يمس بشرف

(1) أخرجه ابن المبارك في كتاب الزهد 1/ 484، طبعة دار الكتب العلمية – بيروت ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي .

(2) أخرجه ابن ماجه 1330/2 ، حديث رقم 4014 .

(3) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط 178/5 .

الإسلام وصبر المسلم على هذا . وليضعوا حدا للتعامل بالربا فإن الله أحل البيع وحرّم الربا فقال : ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ .. وهذا المحق ظهر في الاقتصاد في كل البلاد .

أيها المسلمون ، لقد حصل كثير من شعوب آسيا وأفريقيا على الاستقلال السياسي ، ولم يحصل لكثير من الشعوب الأمن والاستقرار ، وقد بقي الظلم والطغيان يلعبان دورا كبيرا لا سيما في أوساط المسلمين ، وإنه لما يدعو إلى الأسف الشديد ظلم بعض الحكام المنتسبين إلى الإسلام حتى يقول بعض العامة : ليت لنا حكاما غير مسلمين . وما ذلك الجور من الإسلام في شيء ، وإنما هو من الحكام المنحرفين ويالله للمسلمين . والظلم كما أخرج البزار عن أنس [رفعه] : « الظلم ثلاثة : فظلم لا يغفره الله ، وظلم يغفره الله ، وظلم لا يتركه الله . فأما الظلم الذي لا يغفره الله ، فالشرك ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ . وأما الظلم الذي يغفره الله ، فظلم العباد لأنفسهم فيما بينهم وبين ربهم . وأما الظلم الذي لا يتركه ، فظلم العباد بعضهم بعضا حتى يدين الله لبعضهم من بعض » (1) . فإياكم والظلم فإنه إن دام دمر . والدولة تستقيم مع الكفر ، ولا تستقيم مع الظلم . وكثير من المسؤولين جعلوا جهاز الحكم آلة للظلم والطغيان . فالله ، لا أنهي كلمتي قبل أن أتلو على حضراتكم هذه الآية الجامعة التي تغني عن كل دستور : ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ . فقد تضمنت عشرة من المبادئ الإسلامية التي لا غنى لفرد أو المجتمع عنها .

هذا وإني لفخور بمشاركة إخواني المسلمين العرب كل عام معنا في الاحتفال بالأعياد الإسلامية ، ولا غرو فقد آخى الإسلام بيننا . فالعمل المشترك ، والآمال ، والآلام مشتركة ، فأرجو من الله لي ولهم مزيدا من التوفيق .

---

(1) أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده 1/ 282، وعبد الرزاق في مصنفه 183/11 ، وأبو نعيم في الحلية 6/ 309 .

وختاما : أسأل الله تعالى أن يصلح أمة محمد ويفرج عن أمة محمد وينصر أمة محمد ويعلي أمة محمد ﷺ أينما كانوا في سائر أنحاء العالم حتى يستعيدوا أمجادهم ويحكموا بما أنزل الله .

أيها المسلمون طاب عيدكم وكل عام وأنتم بخير ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

إبراهيم نياس الكولخي

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على النبي الكريم

هذه خطبة مولانا القطب الرباني والغوث الصمداني

صاحب الفيضة

التجانية الشيخ / الحاج إبراهيم نياس الكولخي

التي افتتح بها موسم المولد النبوي

الشريف عام ألف وثلاثمائة

وست ثمانين 1386

رضي الله عنه وأرضاه

وعنا به آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الواحد الأحد الصمد ، الملك القدوس السلام ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير المهيمن العلام ، أحمده سبحانه على ما أسبغ من النعم والفضل والكرم ، وأجل نعمه تعالى أن بعث فينا نبي الرحمة والسلام ، سيدنا محمد بن عبد الله بالحنيفية دين إيمان وإسلام ، فاختاره مشرع الشريعة ومقرر الحكام محلل الحلال ومحرم الحرام ، أرسله بالهدى والدين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . فهدى به بعد الضلالة وأرشد بعد الجهالة وألف بين المسلمين بعد التفرق والعداوة . فقال : ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ . وقال : ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْۚ﴾ فصار المسلمون كالجسد الواحد وكالبنيان المرصوص . فشعوب المسلمين كلها أمة واحدة هي خير أمة أخرجت للناس . ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾

أما بعد : فإنه بمناسبة ذكرى مولد الشريف ﷺ أجدد دعوتي لجميع شعوب العالم إلى السعادة التي هي التمسك بدين الله الخالد ، دين الإسلام ، دين السلام والحرية والأخوة والمحبة والمساواة .

وأقول كما قال المولى جل شأنه : ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ .

وأجدد دعوتي للمسلمين الذين يبلغ تعدادهم اليوم زهاء سبعمائة مليون نسمة إلى زيادة التمسك بهذا الدين وتفهم مراد الله ورسوله ﷺ . فقد أكثر في القرءان من الدعوة إلى الذكر والفكر والنظر والتدبر ، وإلى طلب المزيد من العلم وإلى العمل بالعلم . فإن الإسلام قد تكفل بمطالب الخلق إن تمسكوا بمبادئه : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ

ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ . ووعد الله لا يتخلف .

وإن كان المسلمون قد تأخروا فالعلة منهم لا من الوعد . وقال في آية أخرى : ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ . فإن وجدوا إلينا أو إلى بعضنا سبيلا فالعلة منا أيضا لا من الوعد الإلهي . فالكتاب الذي نطق بهذا الوعد لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

أيها الإخوة : إن الإسلام لا يصح إلا بشرطين أساسيين هما العقيدة والشريعة . ولابد من إعلان العقيدة : ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ . فثمرة العقيدة الإيمان ، وثمرة الشريعة العمل الصالح وحسن الخلق . والأعمال هي : الصلاة والصيام والزكاة والحج : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ ، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ .

والإسلام يدعو جميع الناس إلى الأخذ بهذه العقيدة وهذه الشريعة بقطع النظر عن العنصر والجنس واللون والطبقة أو أية فروق . والناس جميعا متساوون أمام الله الملك الخلق : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ ، ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ .

وهاتان الآيتان تظهران بجلاء ووضوح أن ليس لأحفاد أي رسول أو أقاربه حقوق

عند الله أكثر من أي مؤمن آخر . فالرسول ﷺ « جد كل تقي » (1) ولو كان عبدا حبشيا ، وهذا ليس بحديث مرفوع ولكن معناه صحيح ، يدل عليه كون « العلماء - في كل أمة - ورثة الأنبياء » (2) .

هذا وإن للمرأة في الإسلام مكانتها المحترمة « فالنساء شقائق الرجال » (3) ، وعليهن من تبعات الدين مثل ما على الرجال سواء بسواء . قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ .

ولن يفيدها القرين الصالح إن قصّرت في تبعات الدين ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾ كما أن صلاحها لن يفيد قرينها المقصّر كل مجزي بعمله إن خيرا فخير وإن شرّا فشرّ . ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ .

أيها الإخوة :

إن الله خلق الخلق وحده ليعرفوه ويعبدوه مخلصين له الدين ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ خلقهم ليربحوا به لا ليربح هو ﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ﴾ حكمة بالغة فما تغني النذر . وقد أرسل رسله لإقامة الحجة على الناس والإيمان بالله ورسله يتضمن الإيمان بكل الأنبياء والملائكة والجنة والنار . كما جاء في القرءان الكريم : ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ

---

(1) حديث : « أنا جد كل تقي » . لا أصل له ولا يعرف . انظر : كشف الخفا للعجلوني 1/ 233، والسلسلة الضعيفة للألباني 1/65 .

(2) أخرجه أبو داود في سننه 2/241 ، حديث رقم 3641 ، والترمذي في سننه 5/ 48 ، حديث رقم 2682 ، وابن ماجه في سننه 1/81 ، حديث رقم 223 .

(3) أخرجه أبو داود 1/111 ، حديث رقم 236 ، والترمذي 1/189 ، حديث رقم 113 ، وأحمد في مسنده 6/ 256.

وَٱلْمُؤْمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ وأول هؤلاء الرسل نوح عليه السلام وآخرهم محمد ﷺ اصطفاهم الله وأهلهم لتلقي العلم من الله لهداية الناس رحمة من الله تبارك وتعالى . ومفتاح الإسلام : لا إله إلا الله ، وهي مفتاح الجنة ومن أبى أن يقر بالشهادة فهو كافر . ومن أقر ببعض ما تضمنت أو أبى أن يقر ببعض فهو كافر . فالإيمان هو : التصديق والكفر هو التكذيب ، تكذيب القرءان أو تكذيب النبي قولا أو فعلا . أما من ارتكب محرما وهو مقر فلا يكفر وتجب عليه التوبة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ . والتوبة قطعا مقبولة ، « فالتائب من الذنب كمن لا ذنب له »[1] . وشرطها الندم والإقلاع ، ونية أن لا يعود ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ .

أيها الأخوة : إن الإقرار بالشهادتين هو أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ثم الخضوع للشريعة الإسلامية بعبادة الله دون إشراك . والله المعبود هو الباري هذا الوجود بعمله وقدرته . وقد « كان ولا شيء معه »[2] فهو القديم بلا بداية والباقي بلا نهاية هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم .

أيها الشبيبة : إني أشكركم على كلماتكم الرائعة وإلى الأمام . فإن مستقبل كل وطن إنما يتوقف على شبانه ، ولكن لا على كل الشبان ، بل الشباب المثقفين ذوي الأخلاق الحميدة والهمم العالية . فأما الشباب بلا ثقافة ولا أخلاق فكغرس بلا ثمرة . فجدوا واجتهدوا في تحصيل العلم . ليس علم الفرائض والنوافل فحسب وليس علم اللغة والصرف والبلاغة بفروعها فحسب ، ولكن شاركوا من ترقت هممهم إلى علم أسرار الكون . قال تعالى : ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ﴾. ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾ .

---

(1) أخرجه ابن ماجه في سننه 594/1 ، 1419/2 ، حديث رقم 1851 ، 4250 ، والطبراني في المعجم الكبير 150/10 ، 306/22 ، والبيهقي في شعب الإيمان 388/5 ، 436 ، 439 ، وفي السنن الكبرى 10/ 154، وأبو نعيم في حلية الأولياء 210/4 ، 318 ، 78/8 ، 398/10 .

(2) سبق تخريجه .

وأشكر كذلك الشاعر اللبناني المفلق الأستاذ / الشيخ إبراهيم حاوي على قصيدته الطنانة ، وما هي بأول بركاتكم يا أبا خالد . وأشكر المشتركين .

أيها الإخوة : إننا على دين نتيقن أنه الدين الذي ارتضاه الله ، ودليلنا هذا القرءان الذي يتلى في صدر الإسلام وهلم جرا ، لم يقع فيه تغيير ولا تبديل ولا تحريف ، والذي تحدى به محمد النبي الأمي كافة البشر . ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾. معجزة تستمر إلى أبد .

دامت لدينا ففاقت كل معجزة   من النبيئين إذا جائت ولم تدم

أيها الإخوة : إن الصحابة الكرام رضوان الله عليهم قد سادوا كل من عداهم إلى يوم القيامة لما تحلوا به من الصدق والصبر وارتباط القلب ، وثبات الأقدام ، ولا فضل لأحد على أحد إلا بالديانة والتقوى . قال الزهري : « قدمت على عبد الملك بن مروان ، فقال : من أين قدمت يا زُهري فقلت : من مكة . قال : فمن خلفت فيها يسود أهلها ؟ قلت : عطاء بن رباح . قال : من العرب أم من الموالي ؟ قلت : من الموالي . قال بما سادهم ؟ قلت : بالديانة والرواية . قال : أهل الديانة والرواية يجب أن يسودوا الناس . قال : فمن يسود أهل اليمن ؟ قلت : طاووس بن كيسان . قال : من العرب أم من الموالى ؟ قلت : من الموالي . قال : بما سادهم ؟ قلت : بما ساد عطاء بن رباح . قال : من كان كذلك ينبغي أن يسود الناس .. قال : فمن يسود أهل مصر؟ قلت : يزيد بن أبي حبيب . قال : فمن العرب أم الموالي ؟ قلت : من الموالي ، قال كما قال في الأولين . ثم قال : فمن يسود أهل الشام ؟ قلت : مكحول الدمشقي . قال : من العرب أم من الموالى ؟ قلت : من الموالى . فقال كما قال في الأولين . ثم قال : من يسود أهل الجزيرة ؟ قلت : ميمون بن مهران . قال : من العرب أم من الموالى ؟ قلت : من الموالى . فقال كما قال في الأولين . ثم قال: فمن يسود أهل حرمنا ؟ - يعنى القدس الشريف - قلت : الضحاك بن المزاحم . قال : من العرب أو من الموالى ؟ قلت : من الموالى . فقال : كما قال . ثم قال : من يسود أهل البصرة ؟ قلت : الحسن ابن أبى الحسن . قال :

من العرب أم من الموالي ؟ قلت : من الموالي . قال : ويلك فمن يسود أهل الكوفة ؟ قلت : إبراهيم النخعي . قال : من العرب أم من الموالي قلت : من العرب . قال : ويلك فرجت علي يا زهري ، والله ليسودن الموالي على الأكابر ، حتى يخطب لها على المنابر وإن العرب تحتها . !! قلت : يا أمير المؤمنين إنما هو أمر الله ودينه ، فمن حفظه ساد ، ومن ضيعه سقط » [1] .

وهذا العيد العظيم ، والموسم الجسيم لذكرى هذا النبي المبارك يزيدنا قوّة ويملأ قلوبنا إيمانا ويقينا ، وعزما وحزما . قال تعالى مخاطبا هذا الرسول العظيم : ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ . وفيه ﷺ أسوة حسنة فقد أعطى كله لهذا الدين ، نفسه وماله وأهله وأصحابه . فأقامه ودعمه ودافع عنه ، وقاتل في سبيله ، وهاجر حتى أمست كلمة الله هي العليا . وكلمة الذين كفروا السفلى ﷺ وجزاه الله خير ما جازى نبيا عن أمته .

أيها الإخوة : لا أنهي كلمتي حتى أحمد الله إليكم على تحرير البلاد الإسلامية والعربية وأفريقيا وآسيا ، كما أسأله تعالى أن يحرر البقية الباقية فتحررها التي هي كبرى قضايانا معاشر المسلمين ويعود إليها بنوها المشردون . ويرجع الحق إلى نصابه ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ، وكذلك الجنوب العربي المنكوب وكشمير الباسلة .

الشيخ / الحاج إبراهيم نياس

كولخ السنغال

---

(1) انظر حديث الزهري مع عبد الملك بن مروان في : تاريخ دمشق لابن عساكر 394/40 ، 56/ 305 طبعة دمشق ، وتهذيب الكمال للمزي 81/20 ، 82 ، طبعة مؤسسة الرسالة – بيروت ، تحقيق بشار عواد معروف .

الخطبة السنوية
لمولانا شيخ الإسلام الحاج إبراهيم نياس
بمناسبة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف بمدينة كولخ

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على أشرف المرسلين . الحمد لله نحمده تعالى ونشكره ، ونستهديه ونستعين به ، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، ونصلّي ونسلّم على من أرسله بشيرا ونذيرا بين يدي الساعة ؛ سيدنا محمّد ، سيّد ولد آدم ، وأشرف الخلق على الإطلاق ، نحمده سبحانه على أن هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، ألهمنا الاحتفال بالحقّ بذكرى مولد النور والهدى ، والحقّ والرحمة ، مولد سيّدنا محمّد الذي نزل في حقه قوله تعالى : ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الأنبياء الآية : 106] فكان وجوده ﷺ أمانا للعالم أجمع قال تعالى : ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ﴾ [سورة الأنفال الآية : 33] وكان الإيمان به والعمل بتعاليم دينه أمانا للمؤمنين إلى الأبد قال في ختام الآية : ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾ هذا في الوقت الذي يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلاّ أن يتمّ نوره ولو كره الكافرون .

أما بعد : فيا أيّها المؤمنون إنّ الإسلام يقى ببقاء العرب ويقوى بالمسلمين غير العرب ، وهذه الحقيقة ظاهرة للعيان ، وليس بعد العيان بيان ، ولابدّ من الوحدة بين العرب ، ولابدّ من التضامن بينهم وبين المسلمين ، ولابدّ من البر وصدق العزيمة ، ولابدّ من أن نراجع أنفسنا ، ولابدّ من أن نعاتب أنفسنا ونقوم بالتدارك والإصلاح والتزكية ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ . ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢﴾ ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ﴾ .

أيها الإخوة المؤمنون إن قوى الشرّ المناوئة للمسلمين وللعرب قد كشّرت أنيابها بل اعتدت علينا وغزتنا في عقر ديارنا . والظروف شديدة قاسية علينا جميعا بيد أني أرى المحن وفي طيّها المنح ، وأرى يسرا بعد هذا العسر إن شاء الله فقد استيقظت

الضمائر ، وأصبح المسلمون هنا وفي كلّ مكان يشعرون بأن العدوان المسلّح الذي تعرّض له الشرق العربي ، إنّما هو عدوان علينا جميعا رجالا ونساء ، كبارا وصغارا بدون استثناء وهذا الشعور القويّ الشامل إنّما هو من آثار العقيدة ومن ثمار الإيمان بالله الواحد القائل : ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ﴾ [سورة المائدة : 82] .

وإنني أرى في هذه الأيام العصيبة مخايل وحدة العرب ، وبشائر التضامن بين المسلمين أجمعين ، من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب ، وهذا التضامن الذي ظهرت بشائره بفضل العدوان الإسرائيلي ، إذا تحقق وقام فعلا ، فسوف يكون كنزا لا ينفد وقوّة لا تقهر . ولا جرم لأنّ المسلمين يملكون طاقات لا حدود لها ، ولكنّهم عطلوها بالتنازع والتناجش .

وعادة السيف أن يزهى بجوهره   وليس يعمل إلاّ في يد البطل

أيّها الإخوة : إنّ الإسلام الذي ارتضاه الله لنا دينا ورضينا به ، هو دين كامل يشمل العبادات وكلّ الشعائر الدينية التي تهدف إلى الوصول إلى الله تعالى وهو ما يؤديها المسلم لبلوغ درجة الكمال ؛ فالمسلم يصلى خمس مرات ، ويؤدي الصلوات كما شرعت .

والقصد من هذه العبادة هو التقرب إلى الله ، وتطهير الروح ودفع الإنسان إلى البحث عن السعادة والكمال . فمن واظب على الصلاة في كلّ وقت ، فإنّه يسير لا محالة وفق الأحكام الإلهية ويتجنّب الشرّ كلّ الشر : ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ﴾ فيحصل الفلاح الدنيوي والأخروي . وكلّ مجتمع يضمّ أفرادا مثل هؤلاء يسير حتما في طريق الكمال .

ويصوم المسلم شهر رمضان إيمانا واحتسابا وهو الإمساك عن الأكل والشرب والمعاشرة الجنسيّة من الفجر إلى الغروب .

هذا ، وللصيام بعد التقرب إلى الله فوائده البدنيّة والروحيّة تعود إلى الفرد والمجتمع ، ويزكّي المسلم ماله . والزكاة : عبارة عن جزء يؤخذ من أموال الأغنياء للفقراء . والإنفاق في سبيل الله من أفضل القربات ، ونفعه في المجتمع ظاهر .

ويحج المسلم بيت الله بمكة المكرمة ومن فوائده اجتماع المسلمين من شتى أنحاء العالم الإسلامي ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله ، ويعرفوا عدوهم من صديقهم ، ويتعاونوا على قضاياهم ومشكلاتهم (والجهاد) .

أيها الإخوة ، فريضة إسلامية فإذا وقع هجوم على بلد إسلامي ، وجب على كل مسلم للذود عن ذلك البلد الذي تعرض للخطر يجاهد بالنفس أو بالمال حسب المستطاع . ومن العبادات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولابد من التمسك بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ في كل ما يتعلق بالعبادة ، فباب العبادة لا ينفع فيه إلا ما جاء به الرسل عن الله تعالى . وأذكر هنا حديثا أخرجه مسلم [1] عن زيد بن أرقم قال : قام رسول الله ﷺ فينا خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال :« أما بعد : ألا أيها الناس فإنما أنا بشر مثلكم يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب وإني تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به » . قال فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال : « وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي ثلاثا ، وفي رواية : كتاب الله وهو حبل الله من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على ضلالة » .

هذا ، وتلاوة القرآن أفضل أنواع التقرب لأنها جمع بين التعبد والتعلم .

أيها الإخوة إنكم اجتمعتم هنا من كل أقطار إفريقيا محبة وتعظيما وسرورا بهذا العيد المبارك وللاشتراك معنا في هذا الاحتفال ، ، فأسال الله تعالى أن ينوب عن حبيبه ﷺ في مكافأتكم أحسن مكافأة .

أيها الإخوة العرب نحن شركاء في الآلام والآمال ، وما حل بوطنكم إنما حل بنا جميعا ، ونسأله تعالى أن ينصر الحق كما وعد وهو أحكم الحاكمين وأكرم الأكرمين ، وكل عام وأنتم بخير والسلام .

إبراهيم نياس الكولخي في ربيع الأول عام 1387 هـ .

* * *

(1) أخرجه مسلم 1873/4 ، حديث رقم 2408 ، وأحمد في مسنده 366/4، وابن خزيمة في صحيحه 62/4 ، والطبراني في المعجم الكبير 5/ 183، والبيهقي في السنن الكبرى 148/2 ، 30/7 ، 5/ 51.

إفريقيا إلى الإفريقيين

بقلم شيخ الإسلام السيد الحاج إبراهيم نياس الكولخي

أستاذ الشريعة الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والشكر لله وما بكم من نعمة فمن الله ، وما توفيقي إلا بالله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . والسلامان على عبده سيدنا خير خلق الله ، وعلى آله وصحبه ما قال مسلم ربي الله .

أما بعد : - وفي كل حي بنو سعد - فإني وقفت على خطاب مفاجئ كتبه رئيس أساقفة دكار «لفيقر» ونشرته مجلة (فرنسا المسيحية) في شهر ديسمبر الجاري عام 1959 الميلادية ، بمناسبة عيد الميلاد المحترم ، خطاب يمس كرامة الإسلام وكرامة الوطن أعني : أفريقية السوداء . وقد أمعنت النظر في بعض فقراته فإذا هي في غاية التعصب والتعسف ، وأبدأ في رد تلك الفقرات بذكر شيء من آي الذكر الحكيم دستور الملة الإسلامية الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد : ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ، ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ، ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ ، ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ .

فبالآية الأولى يتحقق الإنسان أن الملك لله في أفريقيا وغيرها يولي من يشاء ويعزل من يشاء . وكذلك بالآية الثانية وزيادة أن العاقبة للمتقين ، وبالثالثة ، رفض كل ما سوى الله سواء في ذلك الكوكب والقمر وأحرى الصليب ، وبالآيات الأخيرة أنه تعالى الواحد الفرد الأحد الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤا أحد .

وبهذا يتحقق أن البارئ تعالى هو المنان لإفريقيا وغيرها وهو الشافي والمعافى . ولكل وطن قوم ، ولكل قوم وطن . ونحن قوم أفريقيا ، فإفريقيا لنا ونحن لإفريقيا . وكل وطن سوف يحكم فيه أبناؤه إن عاجلا أو آجلا ، مهما تآمر أعداء الجنسية الأفريقية .

فهذا القرن العشرون تدفق فيه تيار الحرية والوطنية ولا يقف أمام هذا التيار شيء . فإذا البلاد كلها سوف يتولى حكمها أهلها سواء كانوا مسلمين أو مسيحيين أو شيوعيين . والشعوب أقوى من الحكومات فعلى كل حال : حكم الأجانب في بلاد الأجانب مضى إلى غير رجعة . فإفريقيا للإفريقيين .

على أن تولى حكم شيء ، والتمسك بالديانة شيء آخر . إن رجعنا إلى الديانة فهذا إعلان القرآن آخر كتاب جاء من عند الله : ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ . ومن لم يؤمن بإعلان القرآن فيؤمن بالله وحده كما قدمنا : يؤمن بشيء لا يسمع ولا يبصر جماد من صنع الله أو من صنع الإنسان نفسه كالصليب والصور المجسدة ، الله أكبر .

ومن أراد أن ينصف يعرف الرجال بالحق ولا يعرف الحق بالرجال ، فالرجال في كل دين فيهم الكمل والناقصون . وإن ألحقت نقائص بعض المسلمين بالإسلام ، فذلك جور وتعد ظلم وعدوان .

وأما أن الشيوعية توجد حيث يوجد الإسلام فإن ذلك بهتان عظيم . فإن الشيوعية أشد انتشارا في البلاد التي لم تعتنق الإسلام بعد . والحق هو أن الإسلام ضد الشيوعية والشيوعية ضد الإسلام .

وهل الشيوعية في أروبا سببها الإسلام ؟ كلا . فالشيوعية ما طرأت في أفريقيا – إن فرضنا أنها طرأت فيها – إلا من تلك البلاد التي أهلها غير المسلمين . وبلادنا هذه دخلها الإسلام – إن لم ينشأ فيها – عدة قرون قبل دخول الأروبيين ، وما دخلتها الشيوعية بل المسيحية إلا بعد تمكن الأروبيين فيها . فعلى هذا فتحرر البلاد من حكم غير أهلها لا يحقق وجود الشيوعية فيها بل العكس .

وأما استعباد الناس فنتسائل : هل بعض الأروبيين المسيحيين الذين غزوا إفريقيا ، واستعمروها ، هم الذين حاولوا استعبادهم أم العكس ؟

وإن كان بعض بني الإنسان يستعبد بعضا ، فهذا إعلان القرآن دستور الإسلام : ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ .

وإن كان بعض الامتيازات لبعض أبناء الجنس من ملوك وشيوخ هو المعبر عنه باستعباد الناس فإن الامتيازات في غير أفريقيا وفي غير المسلمين سواء من جهة الملك والحكم أو الدين ، أشد وأعظم خطرا على الضعفاء والعمال .

قال كاتب مسيحي : هل أقيم حد المساواة في الغرب بعد الثورة الفرنسية وإعلان حقوق الإنسان ؟ ثم قال : ألا يزال للملوك امتيازات ، وللأشراف امتيازات ولأصحاب الرتب والألقاب امتيازات ، ولرجال الدين امتيازات ، ولحاشية الملوك والأشراف تفضيل وامتيازات أمام القانون العام ؟

ألا ينسج لهؤلاء أمام القانون العام أثواب غير الأثواب التي تنسج للشعب المسكين ؟

إن هؤلاء لا يدفعون المكوس والضرائب . ثم قال : ألا تحسون أن تلك الدول الغربية تميز فريقا كبيرا من رجال الدين ، يملكون ثلث أرض البلاد ، وثلث عقارات الوطن .. .. .. أرضهم معفاة من مكوس الجمرك يعفون منها وتحمل إليهم مستورداتهم ضعف أضعاف . ليتاجروا بالزيادة ويجمعوا ذهبا .

هذا هو ما قاله مسيحي . وهكذا استعباد الناس ، فالعمال المساكين ، والفلاحون البائسون يدفعون الضرائب المتزايدة والرهبان الكسالى البطالون توفر أموالهم لهم ، حتى أن لكل واحد منهم أكثر مما عند ألف مواطن من أبناء الشعب . هذا مع دعوى العدل والإنصاف والمساواة .

لا تهجون أسن منك فربما يهجو أباك من حيث لا تدري

فشتان ما بين هذا وبين فرض الزكاة على الأغنياء وردها للفقراء .

وأما التعليم والتربية والثقافة التي بذلها رسل المسيحية - كما يدعي الكاتب - فعشرة في المائة بالنسبة إلى تعليم مشايخ الإسلام في أكثر نواحي إفريقيا ، اللهم إلا إذا كان لا تعليم إلا تعليمهم ، ولا تربية إلا تربيتهم ، ولا ثقافة إلا ثقافتهم ، وإلا فالمساجد والجوامع والمدارس التي يدرس فيها المتطوعون ضعف أضعاف الكنائس .

ولا يوجد في كل هذا مساعدات الحكومات ، بل اعتماد المسلمين في كل

ذلك علي الله وعلى أنفسهم ، بخلاف مدارس غير المسلمين ، فهكذا المساواة ومراعاة حقوق الإنسان . ولقد صرح كاتبه من غير استحياء بما نصه : (فالتقليد الأعمى والتبعية الحمقى ، واستعباد الضعفاء هي تقاليد الإسلام) .

فحبك الشيء حجاب عن مساويه ، وبغضك الشيء حجاب عن حسناته ، ولهذا وصف الإسلام بوصف دينه ، فهم الذين قالوا : الدين فوق العقل ، حبا منهم لانقياد الناس لهم . ولا يبحثون عن حقائق دينهم ، بل تقليد أعمى ، وتبعية حمقى .

وكنت إذ قوم رموني رميتهم   فهل أنا في ذا آل همدان ظالم

وإن تعودوا نعد ، والبادئ أظلم ، وباقي خزعبلاته لا يحتاج لجواب .

والسلام على من اتبع الهدى ، والعذاب على من كذب وتولى .

شيخ الإسلام / إبراهيم ابن عبد الله الكولخي

1959 **بمدينة كولخ حرسها الله آمين**

رسالة إحياء ليالي المولد المعظم
من صاحب الفيضة التيجانية
مولانا الشيخ الحاج إبراهيم نياس

بسم الله الرحمن الرحيم

والصّلاة والسلام على رسول الله

رسالة إحياء لليالي المولد المعظم

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على النبي الكريم .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ... الخ اللهم صلّ على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق ... الخ اللهم صلّ على سيدنا محمد في المهد صبيّا اللهم صلّ على سيدنا محمد شابا زكيا اللهم صلّ على سيدنا محمد كهلا مرضيا اللهم صلّ على سيدنا محمد في الأولين اللهم صلّ على سيدنا محمد في الآخرين اللهم صل على سيدنا محمد في الملإ الأعلى إلى يوم الدين اللهم صلّ وسلّم على من فاتحيّته لبديع الإيجاد براعة الاستهلال ومن خاتميّته براعة المختم والكمال ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ .

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ ، ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ، ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ ، ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ﴾ .

هذه الآيات تنطق بالثناء على رسول الله ﷺ لم يترك لبليغ مقالا بعد هذه الآيات وقد مدحه ﷺ في مجلسه عمّه الكريم عباس بن عبد المطلب بقوله :

من قبلها طبت في الظلال وفي   مستودع حيث يخصف الورق

هذه ليلة ذكرى مولد النبي ﷺ أفضل خلق الله وأكمل نبيّ أرسله الله تبارك وتعالى من لدن آدم إلى آخر الدهر وهو محمّد بن عبد الله الذي اختاره الله تبارك وتعالى من خير بني هاشم واختار بني هاشم من قريش كما اختار قريشا من كنانة واختارهم من بني آدم فهو مختار من مختار من مختار وهو « سيّد ولد آدم ولا فخر »(1) الحديث « آدم فمن دونه تحت لواءه ولا فخر »(2) ، هو رسول الله ﷺ ولد بمكة ومكة أفضل القرى وتوفي في المدينة والمدينة أفضل القرى ، واختلفوا في أيهما أفضل وقيل مكة وقيل المدينة ، المالكية يفضلون المدينة والشافعية يفضلون مكة ، على كل حال اختار الله محلّ مولده ومحل وفاته واختار نسبه فهو أفضل نسب في العالم .

قال ابن عباس : « كتبت خمسمائة أب لرسول الله ﷺ فما وجدت فيه ولدا نشأ من سفاح كلهم من نكاح صحيح من نشأة أبينا آدم إلى عبد الله »(3) ، ولمّا ولد ﷺ كما سيأتي ذكره ظهرت من الخوارق والمعجزات ما بيّنت أنه أفضل نبي أرسله الله تبارك وتعالى .

ولما بعثه الله تبارك وتعالى أعطاه من المعجزات ما لم يعط نبي من قبل .

يكفيه أربعة أشياء التي هي عماد أموره ﷺ :

أتى بدين جديد في العالم وعمّ ذلك الدنيا في مدة عشرة أعوام .

ونصب للعرب مملكة ما كان لهم مملكة قطّ فصارت مملكة الإسلام المستمرة

---

(1) أخرجه مسلم 1782/4 ، حديث رقم 2278 ، وأبو داود 630/2 ، حديث رقم 4673 ، والترمذي 308/5 ، 587 ، حديث رقم 3148 ، 3615 ، وابن ماجه 1440/2 ، حديث رقم 4308.

(2) انظر تخريج الحديث السابق .

(3) ورد عن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي » . أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط 80/5 ، وعبد الرزاق في المصنف 303/7 ، وابن أبي شيبة في مصنفه 6/ 303، والبيهقي في السنن الكبرى 7/ 190.

وأخرج قول ابن عباس وروايته ابن سعد في الطبقات الكبرى 60/1 ، 61 ، وابن عساكر في تاريخ دمشق 403/3 .

إلى يوم القيامة ، فإذا وصلت اليوم إلى بلاد العرب تجد العرب هم ملوك الدنيا وأفضل الملوك . وتلك المملكة فرسول ﷺ هو الذي أسسها في مدة عشر سنين .

نصب لهم شريعة وحكما يرجعون إليه ويقتدون به كل هذا في مدة عشر سنين .

وجعلهم أمة متحدة واحدة أمرهم واحد ومرجعهم واحد ، كل هذا جعله في عشر سنين .

وموسى أتى بدين ولكن بعث في مدة أربعة آلاف سنة وما أثر عشر عشر ما أثره النبي ﷺ في عشرين سنة وعيسى كذلك .

فإذا كل النّاس يعلمون أن أكمل رسول أرسله الله تبارك وتعالى وأكمل رجل وطأ الثرى هو محمّد رسول الله ﷺ .

فمن شكّ في نبوته فلا يشك في أنّه أكمل رجل ، ولا يقول عاقل أنّ غير الرسول يكون أفضل من الرسول ﷺ وأن غير الرسول يكون أكمل من الرسول ﷺ .

فعلى هذا لا خلاف في نبوة محمّد ﷺ ولا في رسالته ، فهو أفضل الأنبياء .

وهذه الليالي ليالي ذكراه ﷺ ، فاستمعوا لذكره ومدحه وسيرته وأخلاقه الطيّبة تجدون فيها أمورا هامة منها :

أولا : تجدون رجلا هو أعظم رجل أرسله الله تبارك وتعالى .

ثانيا : وتعظمونه أعظم تعظيم وبتعظيمه ﷺ يجد الإنسان سعادة الدنيا والآخرة ، لأن من عظمه عظّم الشريعة التي جاء بها ﷺ وتعظيم الشريعة تعظيم امتثال أوامر الله تبارك وتعالى واجتناب نواهيه وذلك موجب للسعادة . وإذا ذكرنا أخلاقه وسيرته كما ستستمعون تجدون أنّه أعظم رجل خلقه الله تبارك وتعالى ، والإنسان جُبل على حب الحَسن . بنو آدم إذا رأوا شيئا حسنا يحبونه ومحمّد ﷺ أحسن ما خلقه الله تبارك وتعالى فيحبونه لهذا ومحبته موجبة لسعادة الدنيا والآخرة .

ثالثا : إذا ذكرنا أخلاقه (ﷺ) ومواهبه الرّبانية ، تعلمون أن كلّ ما وجده الأكوان فمن إحسانه ﷺ والإنسان جبل على حب من أحسن إليه فتجدونه هو المحسن إلى سائر الأكوان .

ومع ذلك فهذا نوع من خدمته ﷺ ، فرجال اجتمعوا في صعيد واحد أتوا من آفاق متفرقة من بلاد بعيدة تعظيما للنبي ﷺ ينفقون أموالهم لذكرى ذلك الميمون فذلك لا شك أنّه خدمة له ﷺ وخدمة النبي موجبة لسعادة الدنيا والآخرة .

فإذا ما الجناب كان عظيما مدّ منه لخادميه لواء

من خدم النبي ﷺ ينصب له اللواء في الملأ الأعلى . وإذا ذكرنا سيرته ﷺ ، فتستمعون أوصافه كما أنّكم لو أدركتم زمانه ترونه بأعينكم فالرؤية بالعين والسماع بالسمع سواء ، كلها نوع من الاتصال وهذا يوجب أيضا أن تجدونه في الرؤيا في المنام ، ومن رآه في المنام فسيراه في اليقظة ، ومن رآه في المنام فهو سعيد سعادة لا شقاوة بعدها أبدا . هذه هي نتيجة هذه الليالي والله تبارك وتعالى يقول لنبيّه ﷺ في القرآن العظيم : ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ إذا كان قصص أنباء الرسل يثبّت قلب النبي ﷺ فقصص سيرة النبي ﷺ علينا لابد أن يثبّت قلوبنا نحن ضعفاء القلوب . هذه ثمرة هذه الأشياء في هذا الزمان الذي صار الإسلام غريبا لم يبق من الإسلام إلاّ اسمه ولم يبق من القرءان إلاّ رسمه لم يبق لنا شيء إلاّ شيء من محبة ذلك الميمون الذي محبته موجب للسعادة في الدنيا والآخرة .

وهذه المجالس وهذه الليالي تزيد في محبته ﷺ وتزيد في ذكره وتزيد في التعلق به ومن تعلّق به وأحبّه فقد صحّ أنّه ﷺ قال : « المرء مع من أحبّ » (1) . فاستمعوا لإنشاد مدحه ﷺ وذكر شيء من سيرته ﷺ وصلّوا عليه في أثناء ذلك وأكثروا من التضرع والدعاء إلى الله تبارك وتعالى لأنفسكم ، لآبائكم ولأمهاتكم ولإخوانكم ولجميع المسلمين من حضر ومن غاب من الأحياء والأموات ، هذا هو العمل في هذه الليلة ، فإنّ الدعاء في هذا المجلس مستجاب قطعا ، لأنّه صحّ أنّ النبي ﷺ يحضر هذا المجلس حضورا خاصا عندما يجتمع المسلمون لذكر أمداحه ﷺ ، وعند ذكر البردة ومثلها من الأمداح يحضر النبي ﷺ حضورا خاصا وذلك موجب لإجابة الدعاء . وجماعة المسلمين إذا اجتمعوا كذلك أيضا موجب لإجابة الدعاء ، وهذه البقعة المباركة . كل هذا موجبات للإجابة فاستكثروا من الدعاء فيه

(1) تقدم تخريجه .

مع إنفاق ما أمكن من أموالكم تعظيما للنبي ﷺ سرورا به ﷺ ومحبة وفرحا بمولده . هذا هو عمل المولد .

اللهم صلّ على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حقّ قدره ومقداره العظيم .

* * *

الكلمة التي ألقاها
شيخ الإسلام الحاج إبراهيم نياس
في المؤتمر الإسلامي بمكة المكرمة
عام 1382 هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على رسول الله

الحمد لله سيادة الأمين العام ، أيها السادة ، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

تحية وتهنئة لهذه الرابطة الإسلامية ، ونرجو ونعتقد أنّها حركة إسلامية محضة .

وأعضائها هم علماء الأمة ، فتكون لها السيطرة على كل مسلم بما في ذلك الملوك ورؤساء الدول الإسلامية كافة بمقتضى قوله تعالى : ﴿وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ﴾ . وأولي الأمر كما قال المفسرون : هم العلماء والأمراء الشرعيون .

فيجب على العامة طاعة الأمراء ، وعلى الأمراء طاعة العلماء .

فعلى هذا الأساس يمكن أن نجنّد أنفسنا لخدمة الدين دعاة إلى الخير كما أمر الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز : ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ .

وبذلك نكون خير أمة أخرجت للناس ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ . فبتلك الخصال وحدها لا بالدم أو العنصر ، تكون الخيرية حتى لو كان المؤمن بها من أهل الكتاب فما عندنا شك من أن عبد الله بن سلام في الصف الأول من هذه الأمة ، وليس أبو لهب منها فالهاشمي الكافر خارج من الأمة والإسرائيلي المؤمن داخل فيها .

بل إن ذهبنا إلى أبعد من ذلك ، فقلنا : أن سلمان الفارسي من آل البيت فالتفرقة العنصرية تعاكس دعوة النبي العربي الذي أعلن على رؤوس الأشهاد : « أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ألا لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى ، خيركم عند الله أتقاكم » (1) .

---

(1) تقدم تخريجه .

على أن الإسلام يقتضي حب العرب ، وتقديرهم لأن النبي عربي ، والقرآن عربي ، والحكم الإسلامي عربي . ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ .

أيّها الإخوة ، إننا قد ورثنا هذا الدين الحنيف منذ عدة قرون ، ورأينا كيف قام سلفنا على دعم الدين بالجهاد بالأموال والأنفس بذلوا النفوس والنفيس .

وقد رأينا في الوقت الحاضر أعداء الدين يقومون بجهود مستمرة وتضحيات مدهشة لهدم أركان الحق وإقامة الباطل .

ومن الأسف نرى أن جهود المسلمين ضئيلة جدا بالنسبة إلى غيرهم .

فلابد من دعم الحركات الإسلامية ، ولابد من قيام الدول الإسلامية ، والأغنياء من الأفراد بواجبهم من نصرة دعاة الإسلام بالمال والتأييد .

ولتنفيذ ذلك أقترح عليكم ما يلي :

أولا : تشكيل لجنة تقوم معي أو على الأقل على أثري فورا بالاطلاع على أحوال المسلمين في أفريقيا لمساعدة الدعاة والمرشدين وللدعوة ، لأن الأكثرية الساحقة في أفريقيا مسلمون رغم محاولات الاستعمار وأخص بالذكر السنغال .

بيد أن الجهل والفقر يعرقلان سيرهم في ركب السابقين لخدمة هذا الدين .

وإني إذ أتحدث عن السنغال أقول : ليس فيه إسرائيلي واحد وأن غير المسلمين أقل من ثلاثة في المائة ، ومع ذلك فإن الكنيسة تقوم ببناء الكنائس في كل عدة أميال وكل هذه الكنائس لا يذكرها ذاكر ولا يزورها زائر .

والمساجد في السنغال بكثرة مدهشة يبدأ جلها ببناءات لا تليق ببيوت الله لقلة الإمكانيات وعدم مساعدات الدول الإسلامية لضعفاء المسلمين .

هذا وبينما خزائن الكنائس مليئة بأنواع النفقات والملابس ، والسيارات تدور في الشوارع باسم صدقات الكنيسة حتى وصل الأمر إلى اقتراح يقتضي بأن أقبل تولّي تقسيم الصدقات على أتباعي ، لكني لم أرد عليهم جوابا ، ولكنّي أخذت بغيرة دينية وتمنيت لو أن جاء الاقتراح من أخ مسلم أو من دولة إسلامية .

ثانيا : تقوم الرابطة الإسلامية ببذل خدمات لتنظيم الحج عونا للحكومة

السعودية التي تبذل كل جهد لراحة وصحة الحجاج داخل المملكة وخارجها ، وذلك بأن تبعث الرابطة مع المسئولين في كل قطر على تنظيم رحلات بمئات الحجاج وذلك بتكوين بعثات للحج تكون لها كفاءة كاملة .

ثالثا : محاولة جمع المؤتمرات الإسلامية وضمّها إلى الرابطة إذا أمكن ذلك ، فيشترك الجميع في الخدمات ، وتكون المؤتمرات واحدة .

رابعا : تشكيل لجنة من العلماء من شتى التخصصات لوضع منهج دراسي للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

فإن الدين كما يعلم الجميع هو كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ أو فهم أوتي لرجل مسلم ، والجماعة رحمة ، واختلاف الأمة في الفروع رحمة .

خامسا : انعقاد المؤتمر العام للرابطة كل عام بمكة بعد موسم الحج مباشرة تخفيفا على الرابطة من تحمّل توصيل الأعضاء إلى الحجاز من شتى أنحاء العالم لأن الرابطة منظمة ولدت حديثا ، فإن قام المسلمون والدول الإسلامية بتأييدها ومساعدتها لربما تستطيع تحمل المسئولية كاملة فيما بعد لأن التعاون يخفّف التكاليف .

سادسا : قيام علماء الرابطة بإصلاح ذات البين فيما عسى أن يقع من فساد بين المسلمين .

وقد قال تعالى : ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ . ووقوع الفساد بين الناس ليس بشيء غير مألوف ، فقد وقع في كل طبقة وفي كل عصر فالله الله في أداء الواجب ، وأتمنى للرابطة كل توفيق ونجاح ، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

إبراهيم نياس الكولخي

ذي الحجة عام 1382 هـ

الكلمة التي ألقاها مولانا شيخ الإسلام والطريقة
زعيم المسلمين في إفريقيا
الشيخ / إبراهيم الكولخي
في شأن الدجاجلة بأكرا
يوم الأربعاء 80/11/11 الهجرة النبوية
أفضل الصلاة والسلام
على صاحبها

أكرا يوم الأربعاء 1380/11/11 هـ

الكلمة التي ألقاها مولانا الشيخ / الحاج إبراهيم بن الحاج عبد الله الكولخي في شأن الدجاجلة بأكرا ونصها :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين خاتم الأنبياء وإمام المرسلين وعلى آله وصحابته والتابعين بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد : أيها المسلمون أيها السادات أيها الأحباب الأعزاء ، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

الطريقة الصوفية وعلى الأخص الطريقة التجانية التى نحن عليها ، طريقة النبي ﷺ ، النبي الذي يقول : ﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ . الطريقة الصوفية مشيدة بالكتاب والسنة ، امتثال الأوامر واجتناب النواهي ، وعدم الأمن من مكر الله تبارك وتعالى وإخلاص النية لله . فإن الله تبارك وتعالى أمرنا في كتابه الحكيم فقال : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ . والوسائل إلى الله كثيرة ، وأكبرها هي التي جاءت في نص القرءان .

أولا : – اتباع النبي ﷺ في جميع الأقوال والأفعال ، حيث أن الله تبارك وتعالى يقول : ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ . هذه الوسيلة تُوصل العبد إلى الله تبارك وتعالى . لأن محبة الله إذا حصلت للعبد وصل إلى حضرة الله بدليل حديث : « فإذا أحببته كنت » (1) .

ثانيا : – ذِكر الله تبارك وتعالى في الغدو الآصال ، لقوله تعالى : ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ علمنا بهذا أن مداومة ذكر الله تبارك وتعالى آناء الليل وأطراف النهار ، وسيلة توصل العبد إلى حضرة الله .

(1) يقصد حديث : « من عادى لي وليا » المتقدم تخريجه .

ثالثا : – مصاحبة شيخ كامل عارف بالله تبارك وتعالى ، قال تعالى : ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ . ومن أناب إلى الله في جميع حركاته وسكناته هو العارف بالله الذي يعلم ما هنالك . فهذه هي طريقتنا المراد بها إصلاح القلب واتصال العبد بحضرة الله تبارك وتعالى ، ما فيها زيغ ولا إلحاد ولا طمع ولا متابعة شهوة ولا اتباع هوى ولا اتباع الشيطان ، كل هذه ليست سبيلنا . ومن سلك سبيلنا فهذا الدينُ توارثناه منذ عدة قرون قرنا بعد قرن . ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها . سلوك الصراط المستقيم ، صراط النبي ﷺ ، وصراط الأنبياء الذي كل عبد يسأل الله في جميع صلواته ويقول : ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ . الدين ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ آمين .

هكذا أدركنا الطريقة وهكذا كان عليه أهلها من منذ نشأتها إلى يومنا وهكذا كنا عليه . ونسأل الله أن نموت عليه هكذا ، وأنت كذلك . فمن أراد سلامة نفسه ، فليلازم الجماعة ، « يد الله مع الجماعة » (1) ، و« من شذ شذ إلى النار » (2) . وسائق السعادة يسوق أناسا إلى هذه الحضرة الأحمدية التجانية والصارف الإلهي يصرف أناسا عنها . فالعبد ولو بلغ ما بلغ من القرب من مولاه تبارك وتعالى . فليحافظ الأدب ، فمن أساء الأدب وهو في حضرة القرب طُرد إلى حضرة البعد . وهذا وقع لكثير من العارفين منذ نشأة الصوفية ، ومنذ نشأة الطريقة التجانية طُرد منها رجال أساؤا الأدب مع الحضرة . ومنهم عبد الله جعفر مطرود عن الطريقة التجانية مطرود عن الملة المحمدية مطرود عنا في الدنيا والآخرة ، وكل مَن صَحبه وهو معه في ذلك . فليبلغ الشاهد الغائب ، فإني بريء منه وبريء من كل مَن تولاه ، وهذا الله

---

(1) أخرجه الترمذي 466/4 ، حديث رقم 2166 ، 2167 ، وابن حبان في صحيحه 10/ 437، حديث رقم 4577 ، والطبراني في المعجم الأوسط 277/6 ، والبيهقي في شعب الإيمان 6/ 66 .

(2) أخرجه الترمذي 466/4 ، حديث رقم 2167 ، والحاكم في المستدرك 199/1 ، 200 ، 201، وأبو نعيم في الحلية 37/3 .

بالله في الله ، ونحن لا تأخذنا في الله لومة لائمٍ ، لا نحب إلا أهل الله ولا نحب أحدا إلا في الله .

وإن كان خضر وهو ولي من أولياء الله .. يقول لنبي مرسل ﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ . تبين أننا لا نصحب أحدا إلا إذا لازم امتثال الأمر واجتناب النهي .

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

شيخ الطريقة التجانية / إبراهيم ابن الحاج عبد الله بكولخ السنغال

بسم الله الرحمن الرحيم

« الحق يعلو ولا يعلى عليه » [1] حديث شريف

الحمد لله والصلاة والسلام على خير خلق الله وعلى آله وصحابته ما قال مؤمن ربي الله .

وبعد : فيقول خادم الحضرة الإبراهيمية التجانية وترجمانها أبو الفوز الحاج أحمد بابه الواعظ الكماشي ، أن الدواعي إلى هذه الخطبة التي ألقاها شيخنا قطب الأقطاب الشيخ / الحاج إبراهيم بن الحاج عبد الله الكولخي زيد فيضا وأمر بطبعه .

هو أنه بعد ما انتشر خبر عبد الله جعفر على جميع البلدان وسوء سلوكه في هذا الدائرة الأحمدية التجانية ، وإفشائه أسرار الربوبية على غير أهلها التي هي أشد حرمة من الكفر فكان شيخنا الرحيم رضي الله عنه يحاول هدايته إلى الصواب وهو لا يزيده ذلك إلا التمرد والتجبر فحضر في هذه الأشهر الأخيرة هذا القطر وفي هذا الوطن العزيز كماسي أول مرة ، ومكث ما شاء الله يهتك الشريعة المحمدية المطهرة كمنعه قضاء الصلوات الفائتة ، ومنعه عدة الوفاة لمن مات زوجها ، ودعواه أنه أفضل من نبينا موسى عليه السلام ويمنع تعلم العلم وغير ذلك . فقامت جمعية « يَأتي يَأتِي » خدام الشيخ بكوماسي بوظيفتها الكبرى (الدعوة إلى الله) وبيان الطريقة التجانية السمحة البيضاء المبنية على الكتاب والسنة التي يقول صاحبها رضي الله عنه ما بلغكم عني فزنوه بميزان الشرع فما خالف فاتركوه وما وافق فخذوه فتأثرت هذه الدعوة ونجحت في سعيها المرضي ففرّ هو عن البلد مدة ، ثم أن الشيخ حضر هذا القطر قاصدا إلى القاهرة وديار العربية لإجابة دعوة من صاحب الجلالة الرئيس جمال عبد الناصر فبلغه جميع الخبر فكتب في ذلك كتابة أمر بانتشاره في جميع البلدان وفي ضمن ما كتب هذه : « وبعد ما بعثت إليكم برسالتي الأولى سمعت بخبر

---

(1) هذا هو المشهـور على الألسنة ، والوارد حديث : « الإسلام يعلو ولا يعلى » . أخرجه الدارقطني 252/3 .

عبد الله جعفر . الذي حاولت مرارا هدايته إلى الصواب ، فأبى إلا أن يتبع نفسه وشيطانه ودنياه وهواه ، ولعل الله أراد به الشقاء وقد رفعت عنه الأذن . فامتثلت الجمعية المذكورة هذا الأمر وفعلت كما أمرت بصدق الطوية في ذلك وبعد أن انتشرت عاود إلى كوماسي ثانية عبد الله جعفر ينكر المكتوبة وما فيها ويبذر البذر الخبيثة في أذهان الناس ويغرسها في نفوسهم الطيبة ويطيب لهم الشهوات ما سيكون عاقبته شر ووبال عليهم ، خصوصا على الأحداث من بينهم فاغتر بعض الناس إليه ووجد الأتباع لعدم تمييزهم بين الداعي إلى الفيضة وإلى الفضة حقا وقد حفت جهنم بالشهوات لهذا اتهمته الجمعية بجريمة إنه يهتك الشريعة ويفسد في الأرض وينشر الظلم أمام الأمير العادل السيد محمد المتوكل أيّده الله ونصره ما دام ينصر الدين ولما وقف الأمير على صدق الجمعية وحقيقة الأمر كتب إلى الشيخ مخبرا جنابه الكريم بهذه القضية فألقى الشيخ هذه الخطبة ارتجالا في آلة المسجلة وأمرت ولد روحي وكاتبي محمد المصطفى كامل الحاج أن ينسخها كما طلبت فضيلة المحترم وناصر الدين المحمدي الأستاذ الحاج يوسف عبد الله أن يطبعها لينتفع بها الإخوان ويرتدع من أمثال هذه المشفق على نفسه خدمة لهذه الملة الإسلامية ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيى عن بينة .

عليّ نحت المعاني من معادنها وما عليّ إذا لم تفهم البقر
إذا رضيت عنّي كرام عشيرتي فلا زال غضبانا عليّ لئامها

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته
الحاج أحمد بابه الواعظ كماسي
بقلم الكاتب الخادم محمد المصطفى كامل الحاج كماسي
بتاريخ 80/11/13 هجرية

الخطبة المسماة الإيناس
في التذكير بنعم رب الناس
ألقاها غوث وقته خليفة ابن العباس شيخ الإسلام
الحاج إبراهيم نياس بن الحاج عبد الله الكولخي
أطال الله عمره وعمم فيوضه في جميع الأجناس

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين

أحمد الله وآمر إخواني أن يحمدوا الله جميعا كلكم يقول الحمد لله رب العالمين ، الذي من علينا بنعمة الإيجاد أولا فضلا وكرما بلا سبب منا وجعلنا من أكرم خلق الله تبارك وتعالى بنو البشر الذي قال في حقهم ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ ، الذين جعلهم الله خلفاء في أرضه من أول الدهر إلى يومنا هذا ، الملائكة الكرام موجودون قبل آدم بكثير يعبدون الله لا يعصونه ويفعلون ما يؤمرون ، حياتهم التسبيح والذكر فقط لا يأكلون ولا يشربون ولا ينكحون ليس لهم شهوة ، نفسهم ذكر الله . كما يجري النفس في بني آدم يجري ذكر الله في الملائكة ومع هذا فالله بفضله الواسع الذي يعطيه من يشاء أعطى آدم خلافته في الأرض قد علمتم كما في القرآن أن الملائكة عارضوا في هذا ولكن الله يعطي ما شاء لمن يشاء لا يسئل عما يفعل ، هو الملك الحق جعل آدم خليفته في الأرض حسا ومعنا وبعد ذلك الخلافة الباطنة بقيت في الأنبياء والأولياء إلى يوم الدين .

والخلافة الظاهرة التي هي الحكم والتصريف كذلك بقيت في أيدي أبناء آدم الملوك والأمراء إلى هلم جرا وهم خلفاء الأرض وكل ما خلق الله فهو لبني آدم ، الأرض وما فيها والبحر وما حوى ، كل هذا لبني آدم كرما وتشريفا وتكريما من الله لبني آدم وكل ابن آدم مكرم إما في الدنيا والآخرة أو في الدنيا والآخرة أو في الدنيا ، أو في الآخرة فقط .

أكرمهم بأن حملهم في البر والبحر ، ابن آدم عندما يولد يحمل على ظهر أمه تشريفا له وهو صبي وإذا عقل يركب الخيل والإبل والسفن والسيارات والطائرات كل هذا سخره الله لبني آدم تشريفا لهم في الدنيا هم سادة هذا الكون ورزقنا نحن معشر المسلمين أن آمنا بالله .

من رزقه الله الإيمان بالله معنى ذلك أن تشريفه وتكريمه مستمر إلى الأبد هذا لجميع المؤمنين من كل الأمم . وأما نحن فزيادة على هذا جعلنا من أمة محمد ﷺ

خير خلق الله بلا خلاف ولا نزاع ، وأمته قال في حقهم : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ جعلنا مسلمين أتباع محمد ﷺ دينه أفضل الأديان وكتابه الذي هو القرآن أفضل الكتب المنزلة ، والإسلام ديننا وهو أفضل الأديان بل هو الدين وحده في هذا الزمان ، وبعد نزول محمد لا دين على وجه الله مقبول عند الله إلا هذا الإسلام ، قال في القرآن : ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ وقال : ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ .

لما شرفنا الله بهذا الإسلام فلنتمسك به حقيقة ظاهرا وباطنا لا أقول فقط : الإسلام مشتق من السلام بل نحن مسلمون لجميع الخلق لا نعادي أحدا لأن اسم ديننا الإسلام وهو مشتق من السلام وتحيتنا السلام عليكم .

هذه التحية ما كانت في العالم قبل الإسلام كان العرب يحيون حياك الله ، حياك الله أكمل منه السلام عليكم لأن الإنسان ربما يحيا وحياته مكدرة بالبلايا والأسقام والآلام ، والسلام ينفي كل ضرر . وكان الناس يتقاتلون قبل الإسلام كل من لقي أخاه يفتك به ويختاله ويقتله من لقي أحدا يجد في يده آلة قتل يحاول أن يقتله وإذا لقيت إنسانا فقال لك السلام عليك ومد إليك يمينه ليس فيه سلاح تتحقق أن هذا مسالم ، فهذه تحية الإسلام ، وإذا لقي أحد أحدا فالبادي بالسلام هو أكمل والرد واجب وإذا قال لك السلام عليك تقول وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ، وإن أردتم المصافحة والمعانقة ارتفع بينكما كل خوف ، والرسول الكريم يقول : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » ، المسلم يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه وصفهم في القرآن بأنهم إخوة ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ لا تجد قرابة بين شخصين أقرب من أن يكونا أخوين فكلنا إخوة سواء بيض وسود مشرقيون ومغربيون عندما التقينا نجد أنفسنا أسرة واحدة فتقع المؤالفة بيننا كأنما عشنا دهرا طويلا وهذا لا يوجد إلا في الإسلام . المسلمون عندما اجتمعوا كانوا إخوة أسرة واحدة وهذا قوتهم أنا آتي من سنغال أجد هنا داري وإخوتي ومن جاءنا منكم يجد داره وإخوته ، فهذا ليس إلا في الإسلام .

فلنحافظ على هذا الدين الذي خصنا الله به تبارك وتعالى محبة منه لنا باختياره

بمنه وكرمه . والإسلام كما قال رسول الله ﷺ : « بني الإسلام على خمس - قواعد كما تعلمون - شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله » [1] ، وهذه نحتاج إلى تجديدها في كل وقت لا إله إلا الله وإقام الصلاة ، وصيام رمضان وإيتاء الزكاة ، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا ، من رزقه الله أن يؤمن بالله وبرسول الله ويتمسك بهذه الشعائر يعلم أن الله أحبه ، وتلك المحبة ليست الآن بل هي في الأزل لهذا بدأت بالحمد لله وأمرتكم بأن تقولوا الحمد لله ، الحمد لله من رزقه الله الإيمان بالله ورزقه أن يحفظ ولو سورة من القرآن ، وأفضل القرآن فاتحة الكتاب .

أعتقد أن كلنا حفظ هذه السورة ، والرسول الكريم يقول : « من رزقه الله الإيمان وحفظ أم الكتاب ، وظن أن الله وهب أحدا أكبر مما وهبه فقد استصغر ما عظمه الله واستعظم ما أهانه الله » [2] . الله يقول لنبيه : ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ۝٨٧ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾ .

فكلنا عنده من نعمة الله ما هو أكبر من ملك الدنيا بما فيها ، ومن كان هكذا يجب له أن يحمد الله تبارك وتعالى .

شكى مسكين إلى عارف بالله قال : إنه فقير ليس عنده شيء قال : أحمد الله قال : أنا ليس عندي شيء قال : عندك كثير قال : ولا فلس ليس عندي شيء قال : تقبل أن أقطع يدك اليمنى وأعطيك عشرة آلاف دينار قال : لا . قال : تقبل أن أقطع يدك اليسرى وأعطيك عشرة آلاف دينار قال : لا . قال : أقطع رجلك اليمنى وأعطيك عشرة آلاف دينار قال : لا . قال : رجلك اليسرى أقطعها بعشرة آلاف دينار قال : لا . قال : عندك قيمة أربعين ألف دينار في ساعة وأنت تقول ليس عندك شيء . هذا معنى ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ وهذا في كمال الخلقة ، وبعد ذلك الإمداد تأكل وتشرب وتكتسي .

---

(1) أخرجه البخاري 12/1 ، حديث رقم 8 ، ومسلم 45/1 ، حديث رقم 16 ، والترمذي 5/5، حديث رقم 2609 ، والنسائي 107/8 ، حديث رقم 5001 .

(2) لا يوجد بهذا اللفظ ، بل الموجود عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ : « من قرأ القرآن ثم رأى أن أحدا أوتي أفضل مما أوتي فقد استصغر ما عظمه الله » . ذكره الغزالي في إحياء علوم الدين 220/1 ، 44/4 ، والفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للشوكاني 297/1 ، وتذكرة الموضوعات للفتني 543/1 .

وأربعة أشياء هي الأشياء الرئيسية في حياة الشخص إذا نظرت فيها تجد الغني والفقير سواء فيها لقمة العيش لا يبلغ الإنسان من الفقر مبلغا إلا ويأكل ويشرب إذا عطش ، ويكتسي ولو بخرقة ، ويتنفس في الهواء هذا الملك الكبير لم يجد في الدنيا إلا هذه الأشياء ، وكل فقير يجد هذا ، كل فقير لابد له من لقمة ، لابد له من شربة ماء ، لابد أن يكتسي ، ولا تجد إنسانا متجردا كالبهائم أبدا والتنفس في الهواء لكل إنسان .

وأكبر نعمة لله على خلقه التنفس في الهواء لولا هذا الجو الذي يتنفس فيه المتنفس لمتنا في ساعة واحدة . وهذه في متناول الجميع لا يباع ولا يشترى ولا يكترى كل أحد له تنفس في الجو ، وبعد التنفس في الهواء أكبر نعمة : الماء تجده رخيصا في كل بلد وبعد ذلك الحديد ، الحديد الذي لولاه ما كان شيء ، كل حرفة في الدنيا لا يستعمل إلا بالحديد ، الزارعون يزرعون بالحديد ، والمقاتلون يقاتلون بالحديد ، والنساجون والبناءون والنجارون ، وحتى الكتبة لابد من قلم من حديد أو يبرون القلم بالحديد . لا يقوم شيء في الدنيا بدون الحديد ، ولهذا تجده رخيصا هو أرخص ما يباع . إن الله بفضله كل ما كان نفعا للجميع يجعله سهلا رخيصا . الحديد لا تعرف أنه سهل إلا إذا قارنته بالذهب . هذه القطعة من الحديد لو اشتريت مثلها من الذهب لبعت ملايين لأن الذهب ليس فيه فائدة ، الناس يتخذونه طغيانا وتكبرا فقط . أما الحديد الذي لابد منه تجده سهلا .

هذا تنبيه على أن التنفس في الهواء هو أنفع الأشياء ، هو لابد منه ، وتعلم أنك لا تتنفس نفسا واحدا في السلامة والعافية بلا ألم ولا مذلة إلا بمشيئة الله ، ولا تخطو خطوة واحدة في سلامة دون وجع ولا مذلة إلا بمشيئة الله تعالى . لكنه كما أوجدك وأنعم عليك نعمة تقوم بمعيشتك يحفظك في كل وقت وخلق ملائكة كراما يحفظونك ليلا ونهارا كما قال الرسول ﷺ : «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار» (1) وقال الله تعالى في آية أخرى : ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾ .

(1) أخرجـــه البخاري 203/1 ، حديث رقم 530 ، 1178/3 ، حديث رقم 3051 ، 2702/6 ، =

كل ماش أمامه ملك يحرسه وخلفه ملك يحرسه وعن يمينه وعن شماله هذه أربعة في النهار ، إذا غربت الشمس نزلوا أربعة ما حاجة مولانا فيك حتى يعتني بك هذا الاعتناء ، هذا فضله وكرمه ولو نسيك لحظة واحدة لهلكت ، وأنت تنساه كثيرا ، أنت الذي تحتاج إليه تنساه وهو الذي لا حاجة له فيك لا ينساك أبدا ، فتعلم أن كل أحبائك وأصدقائك وإخوانك وأبوك ينسونك في بعض الأوقات ، الحبيب الذي لا ينساك أبدا هو الله تعالى .

لما كان هكذا ألا ينبغي لنا أن نتخذ أوقاتا نتذكره فيها فلهذا ، العقلاء إذا طلع الفجر ورأوا خروجه من ظلمة الليل بقوة الله وضياء النهار ، أول ما يفعلون : يصلون لله تبارك وتعالى تعظيما وإجلالا له ، وإذا زالت الشمس – أول التغيير في النهار – تتذكره وتصلي الظهر ، وفي العصر كذلك ، وإن غربت الشمس لا تعلم إلى أين رأيت ذهاب النهار وجاء الليل ، فقط تصلي المغرب تعظيما لهذه النعم ، وإذا رأيت ظلمة الليل تصلي العشاء قبل النوم ، وعند النوم تذكر الله حتى يأتيك النوم وإذا استيقظت تذكر الله تبارك وتعالى إن الله الذي أنامك ولم تدر من أين يأتي هذا النوم ، إذا أراد أن يميتك ، يميتك سريعا ولا دواء له ، والله هو الذي يبعثك بعد الموت ، أحببت أم كرهت .

من الخلق طغاة بغاة ينكرون البعث ، وكثر في هذا الزمان كما كثرت الشيوعية والإلحاد ، وأنا أقول لهم دائما : البعث غيب نتركه إذا أردنا أن ننكر أو نثبت ، فلنتكلم في الموت إذا استطعنا أن ننفي الموت ، استطعنا أن ننفي البعث ، هل فينا من يتفكر في أنه لا يموت ؟ كلنا يعلم أنه يموت ونشاهده كما قال الله . تجد قرينك وصاحبك يمشي معك في يوم مات ذهب عنك والله يقول : ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ﴾ إن لم نقدر أن نكذبه في هذا وهو بين أيدينا الآن لا نقدر أن نكذبه في المستقبل الموت حق والبعث حق والجنة حق والنار حق ، أخبر الله به في القرآن ، والقرآن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . وكل ما ذكر القرآن مما نشاهد وهو كما قال : وصف لنا المطر نشاهده كما وصف ، وصف لنا خروج

= حديث رقم 6992 ، 7048 ، ومسلم 439/1 ، حديث رقم 632 ، والنسائي 240/1، حديث رقم 485.

النبات ثم يجعله غثاء يابسا مفروكا ورأيناه كذلك ، وصف لنا البحار والسفن ورأيناه كما وصف ، إذا ما وصفه لنا مما لا تدركه أبصارنا نتحقق أنه كما قال . فإن كان كذلك فهذه الدار ممر لنا فقط لا مقر ، كلنا يموت وبعد الموت ليس هنالك إلا داران : إما الجنة وإما النار ، الجنة فيها كل ما تحب وكل ما تشتهي وكل ما تلذ الأنفس .

من اختار تلك الدار ، فليتمسك بهذا الدين ، ومن لم يختر تلك الدار فداره النار فقط . والنار لا تحتاج للتفسير ، النار نار فقط كما تعرفون من دخل النار - أعاذنا الله من ذلك - بيته النار ، فراشه النار ، لباسه النار ، طعامه النار ، شرابه النار ، مقره النار . الإنسان لا يطيق هذا . الإنسان الذي عوده الله بالإنعام والإحسان ، كلهم رب صغير في محله ، إما رب البلد أو رب القرية أو رب الدار أو رب الفراش ، الإنسان لابد أن يكون رب الشيء غمره الله بنعمه أكلا وشربا ولباسا وجنسا وبصرا .

يحب التلذذ ببصره ، ويمر إلى الشيء الجميل ، يحب التلذذ بسمعه يسمع شيئا حسنا ، يحب أن يشم رائحة طيبة . وإذا كان في قصره على فراشه فكل نعم متوفرة . ذباب واحد أو برغوث أو نملة أو بعوضة أو بق ، تكدر حياته ، هذا لا يستطيع أن يسكن في النار أبدا .

معنى ذلك أن النار غير حاضرة فقط ولكن لو حضرت لما تجرأ عليها أحد ، نتق الله ونتمسك بهذا الدين ، نكثر من ذكر الله ، وبعد الصلوات الخمس وصيام رمضان والإنفاق والحج لا يوجد على وجه الأرض عبادة مثل ذكر الله تبارك وتعالى . الله أمرنا بذكر الله وردد اسمه في القرآن : ألفين وثلاثمائة وستين مرة ترغيبا في كثرة ذكر العبد لله ، لأن للعبد شرفه وكرمه وعظمته كلا في ذكر الله تعالى ولهذا ينبغي التكثير منه . ولهذا تجد الله تبارك وتعالى أمر بالصلاة في أوقات ، ونهى عن الصلاة في بعض الأوقات . أمر بالصيام في بعض الأوقات ، ونهى عن الصيام في بعض الأيام . أما ذكر الله فقال تعالى : ﴿ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾ لم يؤقت له ، ولم يعد له زمان أو مكان قال الله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ﴾ وكان رسول الله ﷺ يذكر الله في كل أحيانه حتى في بيت الخلاء

وصح عنه أنه قال : « قولوا لا إله إلا الله حتى يقولوا أنكم مجانين » [1] ، وقال : « أفضل ما قلته أنا والنبيئون من قبلي لا إله إلا الله » [2] . كلمة من عاش ألف سنة في الكفر والعصيان و كتب من أهل النار إذا قالها مرة واحدة محي من ديوان أهل الشقاء ومن ديوان الكفار ، إلى ديوان أهل الإيمان وإلى ديوان أهل الجنة ، والرسول ﷺ كان في سفر خلفه معاذ بن جبل يردفه على بعيره وقال : « يا معاذ فقال : لبيك يا رسول الله ، يا معاذ فقال : لبيك يا رسول الله ، يا معاذ فقال : لبيك يا رسول الله ، قال : وما حق الله على العباد ؟ قال : الله ورسوله أعلم ، قال ﷺ : حق الله على العباد أن يقولوا : (لا إله إلا الله) ثم قال : أتعلم ما حق العباد على الله إذا قالوها ؟ فقال الله ورسوله أعلم . قال عليه الصلاة والسلام : حقهم على الله أن ينجيهم من النار ويدخلهم الجنة ، من قال لا إله إلا الله مخلصا دخل الجنة ، فقال : أقول هذا للناس يا رسول الله قال : لا . إذا قلت لهم هذا يتكلون » [3] . ومعاذ عند موته خاف إن كتم هذا العلم وجد إثم كتم العلم ، فقالها عند موته .

كلمة من قالها مرة واحدة نجا من النار ودخل الجنة من أكثر منها لا يعرف ماله عند الله إلا الله فقط ، فلنتمسك بهذا الدين وبهذا القرآن ، نحافظ على الطهارة والصلاة وبعد هذا ، الورد الذي من الله علينا به وجاءنا على يد الشيخ أحمد التجاني رضي الله عنه وهو أخذه عن رسول الله ﷺ ، وأمره أن يأمرنا به وضمن لنا ما ضمن لنا ، والذي ظهر منه قليل و كثر إنكاره لضيق حوصلة المنكرين ولكن من عرف فضل الله وقدرته وأنه فعال لما يريد لا يستنكر على الله شيئا . إنما الله تبارك وتعالى أراد أن يخص أناسا بفضل عظيم فرزقهم تصديق هذا ، وحرم أناسا فقالوا : هذا لا يمكن ، لا يمكن من القدرة الإلهية إن الله على كل شيء قدير ، كل شيء أي شيء لا يقدر

---

(1) ام أجد هذا الأثر بهذا اللفظ فيما راجعت من مصادر

(2) أخرجه مالك في الموطأ 214/1 ، 422 ، والترمذي 572/5 ، حديث رقم 3585 ، والطبراني في المعجم الكبير 364/18 ، وعبد الرزاق في المصنف 4/ 378، والبيهقي في السنن الكبرى 284/4 ، 5/ 117.

(3) أخرجه البخاري 2312/5 ، 2685/6 ، حديث رقم 5912 ، 6938، ومسلم 58/1 ، حديث رقم 30 ، والترمذي 5/ 26، حديث رقم 2643 ، وابن ماجه 1435/2 ، حديث رقم 4296 .

الله عليه ؟ فضل الله واسع يختص برحمته من يشاء من يقدر أن يحجر هذا الفضل هو ملك أو هو الملك الحق ، أي ملك لا يستطيع أن يتحف من رعيته من شاء بما شاء مما في يده ، والله في يده كل شيء ، أليس يعطي ما شاء لمن شاء ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ ولكنه لم يشأ ، فضل الله واسع ، ومواهبه كبيرة وكرمه الجم الذي لا انقطاع له أبدا واسع ، فلنحمد الله على هذا الورد الذي رزقنا الله إياه في آخر الزمان .

وردنا أستغفر الله ، والصلاة على النبي ، ولا إله إلا الله ، الاستغفار لا يمكن لأحد أن يعيبه ، الصلاة على النبي أمر الله بها بعد أن بدأ بنفسه وملائكته ، لا يقدر أحد أن يعيب الصلاة على النبي ، ولا سيما لا إله إلا الله ، نحن وردنا هذا من كان تجانيا وحافظ على هذه الأذكار مائة من الاستغفار ، ومائة من الصلاة على النبي ، ومائة من لا إله إلا الله صباحا ومساء إن شاء ترك ما شاء من بقية الأوراد فهو من السابقين .

لا شك يوجد مسلمون متحدون ، ويوجد مسلمون أهل جد واجتهاد وقوة إذا لم يكونوا تجانيين ربما يكون أحد من الصباح إلى وقتنا هذا لم يستغفر الله ولو مرة واحدة ولم يصل على النبي ولم يقل لا إله إلا الله نحن الذين التزمنا هذه الأذكار . وهذه الأذكار من مكفرات الذنوب لا يقدر أحد أن يعيبنا بها فلنتمسك بهذه الأوراد ، من ترك الاستغفار والنبي ﷺ يستغفر لكن لا ذنب عليه ، ونحن مذنبون فكيف نترك الاستغفار . إلى أين نترك ذكر الله ، ذكر الله نفع ظاهر كل من سمعته يقول لا إله إلا الله ، فقد انتفع لا أقل أنه ذكر الله وذكره الله ، لا أقل من أنه ذكر كلمة أكبر من جميع أوراد النبي ﷺ ، وبعد هذا كله في حق الجليل تبارك وتعالى إذا وحدت الرب وعبدته وحده تحسن أخلاقك مع كل مخلوق في هذا الكون وتنزل الناس منازلهم .

الله خلق البشر في أصل الخلق هم سوية لكن ميز بين الأنساب جعل منهم أمراء وجعل أغنياء وجعل علماء وجعل كبراء عاملهم كما عاملهم الله الكل من الله تبارك وتعالى : ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ

﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ ليس فينا من يقدر أن ينصب نفسه أميرا ، الأمير نصبه الله وكل أحد ينزله الله منزلته ، والله ما أهمل أحدا لا تحسد أحدا ، لأنك إذا تذكرت تعلم أن الله ما تركك أعطاك أيضا شيئا ، والرسول الكريم يقول : « انظروا إلى من هو أسفلكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم » (1) . الإنسان ولو وجـــد ما وجد إذا نظر فوقه يرى من هو أكبر منه نصيبا ، فيحقر ما عنده من نعمة الله فهذا أول سوء الأدب ، وربما حسد وربما ظلم وإذا نظر أسفله يرى أنه فوق كثير من الناس ، فيحمد الله هذا في حق نعم الدنيا دائما .

الأدب أن تنظر إلى من هو أسفل منك لتحمد الله ، وتسلم من الحسد ، وأما إذا نظرت إلى من فوقك فلا تحمد الله وربما حسدت . أما في أمر الدين فلتنظر دائما إلى من فوقك ، لأنك مهما بلغت من الاجتهاد إذا نظرت تجد من هو أشد منك اجتهادا لا تنظر إلى من هو أسفل منك في خبر الديانة ، لأنك ولو بلغت ما بلغت من الكسل إذا نظرت تجد أنك خير من كثير فيحملك إلى العجب والميل إلى الكسل ولا تفعل هذا أبدا . نرجو الله تبارك وتعالى الذي خصنا بهذا الدين في هذا الزمن العصيب زمن الطغيان والزيغ والإلحاد وكثرة الكفر والتكلب على الدنيا ، رزقنا أن تمسكنا بهذا الدين وجعل فينا علماء يدعوننا إلى الخير نحمد الله على هذا ، هذا ليس في أمريكا ولا في فرنسا ولا في إنجلترا ولا في روسيا حتى العرب الذين جاءونا بهذا الدين يعترفون به ، والذين وصلوا إلى تلك البلاد وخالطوا أهلها رأوا هذا .

كلمني الملك السعودي في زمن مضى كيف الإسلام في إفريقيا ؟ قلت له المسلمون مسلمون حقيقة والكفار كفار ، قال لي مدحتهم ، قلت ما قلت إلا الحق ، أعرف المسلمين في إفريقيا كل مسلم مؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ويحب رسول الله وأبا بكر الصديق ، وعمر ، وعثمان ، وعليا ، وجميع الصحابة ، أما من يدعي الإسلام ويبغض أبا بكر أو عمر أو عثمان أو عليا أو عائشة زوج النبي ﷺ هذا ما عرفناه إلا في أرضكم . هذه بلادنا لا تعرف هذا ، لهذا قلت لك

---

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط عن ابن مسعود رضي الله عنه 247/2 .

المسلمون مسلمون والكفار كفار ، وأنتم الحجاج تشاهدون هكذا تشاهدون من يسلم على رسول الله ولا يسلم على أبي بكر الصديق وعلى عمر .

ما فائدة هذا الدين إن لم يكن فيه عمر ولا أبو بكر الصديق وليس هذا فقد تجد مسلمين هنالك يذكرون الإسلام كثيرا وإذا جاء وقت الصلاة لا يصلون وإذا جاء وقت الصيام لا يصومون وإذا حضر عندهم شراب مسكر يشربون جهرا ويقولون إنهم مسلمون . هذا ليس فينا الحمد لله وهذا ليس منا إنما هو بفضل الله تعالى الحمد لله أولا ، وأحرى أن نسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا متحابين في الله الذين يظلهم الله تبارك وتعالى تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله . القيامة ليس فيها ظل والشمس تدنو قدر عشرة أذرع ، والشمس الآن بعيدة منا مسافة ألفي سنة يوم القيامة تدنو إلى عشرة أذرع فقط وتغطى الشمس حر عشر سنين وليس هناك ظل إلا عرش الرحمان . والعرش هذا ليس هو العرش الذي تعلمون ، معناه الكرسي الذي ينصب لله لفصل القضاء . ذكر الرسول « أن الله ينزل بالكيفية التي شاء وينصب له كرسي يجلس لفصل القضاء »[1] هو ملك أبى إلا أن يكون ملكا كما يجلس الملك ويحكم ، الله يتجلى في ذلك الوقت ويؤتى بكرسي يجلس عليه ، ذلك الكرسي له ظل من لم يظل بذلك الظل يبقى في الحر فقط ، والمتحابون في الله يكونون تحت ظل ذلك الكرسي على أن الظل ظليل فهو قريب من الله تبارك وتعالى . الأمير لو جلس على الكرسي وجعلك تحت كرسيه هذا مقام عزيز جدا المتحابون في الله ينالون هذا يغبطهم الأنبياء والشهداء .

نرجو الله أن يجعلنا من المتحابين فيه ، ونسأله أن يجعلنا تحت ظل كرسيه يوم القيامة من كان تحت ظل ذلك الكرسي لا يفزع إذا فزع الناس . والمتحابون في الله صفتهم في الحديث : يتجالسون لله ، يتزاورون لله ، يتبادلون لله ، يتجالسون بذكر الله ، وهذا يشبه مجالسنا الحمد لله . نحمدكم ونشكركم على هذا المحبة في ذات

---

(1) انظر في هذه الكيفية ما ورد في سنن الدارمي 419/2 ، حديث رقم 2800 ، وابن حبان في صحيحه 11/ 443، والحاكم في المستدرك 396/2 ، والطبراني في المعجم الكبير 84/2 ، 357/9 ، 10/ 180 ، والمعجم الأوسط 252/5 ، 334/6 ، 15/7 .

الله ، وأنا أحبكم في ذات الله أحب نيجيريا جميعا لا سيما المسلمون فيها لا سيما الشمال ولا سيما كانو ولا سيما أهل هذه الدار عبد الله وأولاده ، لأنه السبب في تعارفنا . وقع بيننا تعارف وتعاون على البر والتقوى ، والسبب في ذلك كله عبد الله بايرو رحمه الله ، وحفظ أولاده وأدام عزهم ، وجعلهم أمراء في الدنيا وأمراء في الآخرة والله يجعلكم جميعا من خاصة أصحاب الشيخ التجاني ، والله يرفع البلاء عن بلدكم ، ويرفع عن بلدكم كل بلاء وكل وباء وكل طاعون وكل سوء ، ويرزقكم العافية والقوة على طاعة الله تعالى ، ويحفظكم جميعا بالإيمان ، ويحفظ أولادكم بالإيمان حتى يجمعنا في دار لا فرقة بعدها بعد طول العمر على طاعة الله تبارك وتعالى . والسلام عليكم وأخيرا الحمد لله والشكر لكم أيضا .

السلام عليكم الشيخ إبراهيم نياس الكولخي

تم مجلس كانو

الخطبة المسماة حديقة الأنوار

فيما احتوى عليه قواعد الإسلام من الحكم

والأسرار ، ألقاها قطب عصره وفريد دهره

شيخ الإسلام وحجة الأنام

الحاج إبراهيم نياس الكولخي ، نفعنا الله به

وأماتنا على عهده وحبه آمين قالها أمام جماهير الأحباب

في قصر الإمارة بمدينة كانو

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على النبي الكريم

(أنصتوا بأدب وخشوع الحكمة ضالة المؤمن لعل أحدكم إن أنصت يسمع حكمة ينتفع بها في حياته ... الحكمة من الله تبارك وتعالى وهدفها قلب المؤمن والرامي هو الله وهو لا يخطئ في رميه أبدا كل من حضر ينتفع إلا من ليس له قلب ولذا أرجو منكم أن تحضروا بقلوبكم) .

الحمد لله على جميع نعمه الظاهرة والباطنة وهذه النعم إذا أردنا أن نعدها لا نستطيع أن نعدها ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ ...

وأول هذه النعم إيجاده لنا من العدم بقدرته التي لا يعجزها شيء وحكمته الباهرة ولو شاء تبارك لتركنا في العدم وأوجدنا فضلا منه ثم إنه لما أوجدنا جعلنا من بني البشر من بني آدم الذين كرمهم ، ما جعلنا من الإبل ولا من البقر ولا من الغنم ولا من الحيوان ولا من الوحوش بل جعلنا من بني آدم الذين كرمهم وقال تعالى : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ .

فالإنسان أكمل مخلوق أوجده الله تبارك وتعالى ، وأكرم مخلوق عند الله تبارك وتعالى لدليل أن الله جعل خليفته من البشر ، وخلق كل شيء للبشر هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا ، وكمال العقل والبصر وكمال البصر وكمال السمع لا يوجد إلا في بني آدم ، وأكرمنا بعد ذلك ببعث الرسل وإنزال الكتب وبين لنا طريق الفوز وطريق النجاة وطريق الشفاء وطريق الخلود في النار أعاذنا الله منها آمين .. ..

وهذه الطريقة واحدة وهي الإيمان بالله وتقوى الله وهو امتثال أمره واجتناب نهيه في الظاهر والباطن بهذا أمر نوح أول الأنبياء ، وأمر هود وأمر صالح وأمر لوط وأمر شعيبا وأمر المصطفى ﷺ آخر الأنبياء ، فكلهم أول ما يقول فاتقوا الله وأطيعوا

أن اعبدوا الله واتقوه ، وختم الرسالة بمحمد ﷺ وجعلنا من أمته وهي أكبر نعمة قال تعالى : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ فكانت أمته خير الأمم ودينه أفضل الأديان وكتابه أفضل الكتب المنزلة من السماء .

ودين محمد ﷺ هو الإسلام فالله يقول في حق الإسلام : ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ وقال : ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ .

وهذا الدين بين ما ينفعنا في حياتنا في الدنيا وما ينفعنا بعد موتنا في الآخرة ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ ولو أن الناس اعتنقوا وتمسكوا بمبادئه لارتفع الشر ووقع الاتحاد في جميع أنحاء العالم وفاض الخير ولو اجتمعت الأمور كلها على الإسلام وطبق المسلمون الشريعة الإسلامية ارتفع الشر في الخلق مطلقا . والإسلام كما يقول الرسول الكريم ﷺ : « بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا »[1] .

فالإيمان الذي هو الركن الأول أن نقول : لا إله إلا الله محمد رسول الله فهذه الشهادة تتضمن الإيمان بالله ، والإيمان بالله يتضمن الإيمان بمحمد ﷺ ، والإيمان بمحمد يتضمن الإيمان بجميع الأنبياء وكتب الله وملائكته والآخرة ، وما تضمنت من شقاء وسعادة أبديتين . وبعد الإيمان ، أكمل الأركان وأعظمها وأفضلها ، هي الصلوات الخمس بين اليوم والليلة ، وهي الركن الثاني وهي أفضل الأركان جميعا وهي من الإسلام بمنزلة الرأس من الجسد .

فالإنسان الذي يحافظ على صلواته نشهد بأنه مسلم والإنسان الذي يترك الصلاة نشهد بأنه غير مسلم ، فالفروض كلها فرضت على الأرض ، والصلاة فرضت فوق سبع السماوات كان الملك يرسل بالفروض على الأرض فيوصلها إلى النبي ﷺ فيبلغه ولكن الصلاة رفع الله نبيه وسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى

---

(1) تقدم تخريجه .

وعرج به من المسجد الأقصى حتى جاوز سبع السماوات ووصل إلى حضرة الله تبارك وتعالى وفرضت عليه الصلاة في تلك الحضرة العالية .

« والصلوات الخمس مكفرات لما بينهن » (1) كما ورد في الحديث الصحيح لأن الصلاة قد تضمنت جميع أركان الإسلام ، فالصلاة فيها قيام وركوع وسجود وقراءة القرآن وذكر الله تبارك وتعالى في جميع أركانها . الصلاة فيها الحج أيضا الحج القصد إلى بيت الله تبارك وتعالى الذي بمكة ، والمصلي يترك جميع الجهات ويترك جميع الأشغال ، ويستقبل القبلة مادام مصليا فهو حاج لولا ذلك لصلى الإنسان في أي جهة شاء قال تعالى : ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ .

والصلاة فيها الصيام أيضا ، فالإنسان مادام مصليا من الإحرام إلى سلامه لا يأكل ولا يشرب فهو صائم .

والصلاة فيها الإنفاق أيضا فيها الزكاة أن تأخذ جزءا من مالك وتتصدق به تنفقه لوجه الله تبارك وتعالى ، والصلاة لا تصلح إلا بالزكاة ، لأن الإنسان لا يصلي إلا بالماء والماء شيء من المال ، ولا يصلي حتى يأكل ويشرب حتى يتقوى على الصلاة ولا يصلي إلا مستور الجسد بلباس . وهذا كله إنفاق ، ويبني مسجدا ويفرش فرشا فهذا كله زكاة تضمنتها الصلاة .

فالزكاة كما سنبينها في باب الزكاة إنفاق المال لوجه الله تبارك وتعالى ، فكل ما يخرج العبد من ماله سواء قليل أو كثير سواء يعطي لنفسه أو لزوجته أو لجاره أو لمسلم أو لكافر أو لبهيمة أو لحيوان ينوي أنه ينفق لوجه الله تبارك وتعالى .

أول إنفاق الإنسان لابد أن يبني لنفسه بيتا يستظل فيه وهذا إنفاق في سبيل الله ينوي أنه يفعله لوجهه تبارك وتعالى ، ولابد أن يطلب لقمة يتناولها لنفسه وهو عبد من عباد الله تبارك وتعالى ينوي أنه ينفقها لوجه الله تبارك وتعالى . والرسول الكريم يقول : « حتى لقمة العيش تضعها في فى امرأتك » (2) الإفساد الذي منع الله تبارك

---

(1) أخرجه البخاري 197/1 ، حديث رقم 505 ، ومسلم 1/ 207، حديث رقم 231 ، 1/ 209، حديث رقم 233، والترمذي 418/1 ، حديث رقم 214 ، والنسائي 1/ 91، حديث رقم 145 .

(2) أخرجه البخاري 1006/3 ، حديث رقم 2591 ، 1431/3 ، حديث رقم 3721 ، 1600/4 ، حديث رقم 4147 ، ومسلم 3/ 1250، حديث رقم 1628 .

وتعالى هو أن تنفق شيئا من ملكك لا لوجه الله تبارك وتعالى هذا وإن كان قليلا فأنت مبذر ، وإن كان كثيرا فأنت مبذر . أما من أعطى شيئا لوجه الله فلو أعطى جميع ما يملكه فغير مبذر ، لأن أبا بكر أعطى جميع ما يملكه حتى لم يبق عنده إلا العباءة التي كانت عليه ولو كان هذا تبذيرا لمنعه الرسول ﷺ ... التبذير أن تنفق شيئا ولو قل لا لوجه الله تبارك وتعالى .

الله يوفقنا على نية صالحة أما من أنفق لوجه الله فغير مبذر وهذا واضح إذا كان الإنفاق هكذا . تعلم أن ما لبست حتى صليت وما فرشت حتى صليت وما أكلت وشربت حتى صليت كل هذا إنفاق في سبيل الله إذا فالزكاة داخلة في الصلاة لهذا كانت الصلاة أفضل العبادات كل العبادات أفضلها الصلاة ، وهي تقرب العبد من الله إلى الله تبارك وتعالى عندما يسجد ، وهي أقرب ما يقرب العبد من ربه والله تبارك وتعالى يقول : ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾ ... ولهذا كانت مكفرة لجميع الذنوب قال الرسول ﷺ : «لو أن لأحدكم في باب داره نهرا يغتسل فيه كل يوم خمس مرات أترون شيئا يبقى من درنه ؟ قالوا : لا قال : كذلك الصلوات الخمس» [1] . وكما قال يكفي المصلي أن المصلي يناجي ربه قائم بين يديه تبارك وتعالى هذا شرف عظيم للمصلي والإنسان مجبول على حب الشرف ، كل إنسان يحب أن يجد أشرف المقامات وأعلى المقامات ويملك أشرف الأشياء وأعلى الأشياء هذا جبلي في البشر والإنسان شرفه ورفعته وفضله وكماله أن يحضر بين يديه تبارك وتعالى يناجيه .

خلق الله الخلق وقسمه ثلاثة أقسام : قسم كامل لا ينقص أبدا ، وقسم ناقص لا يكمل أبدا ، وقسم تارة يكمل وتارة ينقص ، فالذي كمل ولا ينتقص أبدا هو قسم الملائكة لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون . هذا ليس فيه نقص أبدا ، وقسم ناقص أبدا ولا يكمل : الجمادات والحيوانات لا يمكن أن يكون فيها كمال أبدا ناقص مطلقا وناقص أبدا .. والقسم الذي تارة يكمل وتارة ينقص هو ابن آدم .

ابن آدم تارة يكون كاملا وتارة يكون ناقصا . الذي تارة يكمل وتارة ينقص

---

(1) أخرجه مالك في الموطأ 174/1 ، ومسلم 462/1 ، حديث رقم 667 ، والترمذي 5/ 151، حديث رقم 2868 ، والنسائي 230/1 ، حديث رقم 462 ، وابن ماجه 447/1 ، حديث رقم 1397.

كماله ليس من ذاته ، ولو كان من ذاته لكان كاملا أبدا ، ولكن كماله بغيره ، وهو الإنسان كماله في الوقوف بين يدي الله تبارك وتعالى ومناجاة الله وذكر الله تبارك وتعالى هذا كماله وشرفه ما دام ذاكرا لله ، فهو كامل ، وما دام غافلا عن الله تبارك وتعالى فهو ناقص . ولما كان الإنسان يحب الكمال وكل ما يظن إنه كامل بالنسبة إليه يردد ذكره دائما ويفتخر به ولهذا ذكرنا الله في القرآن ودعانا إلى ذكره في كثير من الآيات وقال : ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ﴾ ، وقال : ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ﴾ لأنه تبارك وتعالى علم أننا ليس لنا كمال إلا بذكره ، فلهذا أرشدنا الله بالمداومة على ذكره لأن الله تبارك وتعالى رآنا نحن بني آدم كلنا يكرر الانتساب إلى ما يظن أنه كمال له ونحن حقيقة كمالنا إنما هو في ذكر الله تبارك وتعالى . ستجد منا عربيا يقول أنا عربي ويفتخر هو سوي أنا هوسوي أنا كنوي أنا كشني يفتخر بهذا ويذكر نسبه ، لأنه يظن أن ذلك رفعة له ، ومادام ذلك رفعة له في اعتقاده يردد ذكره . فلما كان الكمال حقيقة ليس لنا إلا في ذكر الله ردد الله علينا أننا نذكره ونكثر من ذكره تبارك وتعالى فذلك هو كماله حقيقة وشرفه على غيره . ولما كان الله تبارك وتعالى حسنا في ذاته وحسنا في صفاته وحسنا في أسمائه ذكرنا حسنه في الآيات : ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ لنتعلق بحسنه ويزداد رجاءنا فيه لأن الحسن لا يليق به أن يفعل إلا شيئا حسنا ونحن لما كنا سيئة ذواتنا وسيئة أعمالنا وسيئة أقوالنا لا يناسبنا أن نفعل شيئا نضمه على سيئاتنا .

إقرار هذا بحكاية كانت لصالحنا الذي يقول : الحكايات جند من جنود الله تبارك وتعالى يؤيد الله بها قلوب من شاء من عباده ومصداق هذا قوله تعالى : ﴿وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ﴾ جاء رجلان إلى صالح وطلبا منه الوعظ أحدهما جميل والآخر قبيح الصورة فخلى الولي بالجميل وقال : أرأيت صورتك جميلة لا يحسن بك أن تفعل شيئا قبيحا أبدا وأنت جميل والجميل لا ينبغي أن يفعل إلا شيئا جميلا - وخلى الولي بالقبيح وقال : أرأيت صورتك قبيحة لا يحسن بك أن تفعل شيئا قبيحا وتضمه إلى قبحك لما كنت قبيحا لا تفعل إلا شيئا حسنا . فأنا أحب أن أقول أن الله لما كان جميلا وجميل الصفات وجميل الأسماء لا يعذبنا لأنه لا يفعل إلا شيئا جميلا يعتقنا جميعا ، ونحن لما كانت أعمالنا قبيحة

وصفاتنا قبيحة وأنفسنا قبيحة لا يضم الله شيئا قبيحا من العذاب على ذلك القبح فيزداد قبحا بل يكرمنا بالعفو والإحسان كعادته تبارك وتعالى .

عليكم بالصلاة وعليكم بالصلاة ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ قال تعالى : ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ وأوعد تارك الصلاة بنوعين من العقاب ما وعد بهما أحدا غير تارك الصلاة قال تعالى : ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ وقال تعالى : ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ الغي والويل عذابان ما توعد الله بهما أحدا من العالمين إلا تارك الصلاة .

وقال تعالى : ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ ففي هذه الآية فهمنا أن من حافظ على الصلوات حفظه الله ورزقه من حيث لا يحتسب ، وحافظ على أهله ورزقهم . ومن ضيع الصلاة فقد يضيع الله عليه عياله . أشفق على عيال تارك الصلاة .

وأن الله تبارك وتعالى أمر بالصلاة لا مجرد أمر فقط أمر بإقامتها وأمر بأدائها في الجماعة وأمر بأدائها في أوقاتها بشروطها وأمر بالخشوع فيها قال : أقيموا الصلاة أي أدوها مستقيمة بإتمام أركانها وشروطها ... أما الصلاة التي يغفل عنها الإنسان إلى آخر الوقت فيقوم ويصلي صلاة لا يحضر قلبه فيها ويسجد ينقر سجداته كما تنقر الديكة الحبة ، فتلك قال الرسول الكريم : « صلاة منافق » (1) وهذه الصلاة عندما يسلم صاحبها تطوى ويضرب بها وجهه . فتلك الصلاة صلاها رجل أمام النبي ﷺ فقال : « ارجع فصل فإنك لم تصل . فرجع فصلى ورجع وقال : ارجع فصل فإنك لم تصل . فرجع فصلى ورجع وفي الأخيرة قال : لو بقيت تصلي هذا لمت ميتة جاهلية ، إذا أتيت إلى الصلاة فاستقبل القبلة وكبر ، واقرأ إن كنت تقدر على القراءة ، واركع حتى تكون مطمئنا ، واسجد » (2) هكذا بالترتيل لا بصفة المنافقين كما تقدم .

---

(1) أخرجه مالك في الموطأ 220/1 ، ومسلم 434/1 ، حديث رقم 622 ، وأبو داود 166/1، حديث رقم 213 .

(2) أخرجه البخاري 263/1 ، 274، حديث رقم 724 ، 760 ، 2307/5 ، 6/ 2455، حديث رقم 5897 ، 6290 ، ومسلم 298/1 ، حديث رقم 397 .

وأمر تبارك وتعالى بأدائها في الجماعة كما قال : ﴿وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ وقال الرسول ﷺ : « لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد إلا لعذر »[1] وفي أدائها في وقتها قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ أي الصلاة محدد لها وقت لابد أن تؤدى فيه . وأمرنا بالخشوع في الصلاة ، لأن الصلاة بدون خشوع ليست لوجه الله تبارك وتعالى لا تكون صلاة إلا وكان القلب مع الله تبارك وتعالى خاشعا وإلا فالحركات والسكنات قد لا تؤدي شيئا إذا لم يكن مع خشوع وحضور قلب مع الله تبارك وتعالى ، فالرسول الكريم ﷺ وأصحابه والمؤمنون من بعدهم قبلوا هذه الأوامر وأدوها كما أمر الله تبارك وتعالى فحافظوا عليها وأقاموها في الجماعة وأقاموها في الوقت وأقاموها خاشعين حتى ذكرهم الله تبارك وتعالى وذكر مصيرهم أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس . وأبو جهل رأس الكفار ومن تبعه من الكفار إلى يوم الدين رفضوا هذه الأوامر كلها وأبوا أن يصلوا فذكرهم الله تبارك وتعالى وذكر مصيرهم فقال : ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ﴾ .

والصلاة من عظم شأنها أمر الله بها ووضع لها أوقاتا وقسمها في اليوم والليلة وقلل من أعدادها ، ونصب لها مناديا في الوقت كل هذا لئلا يسوف العبد حتى يضيع وقته ويقضي يومه كله بدون صلاة . ولو أمرنا بالصلوات الخمس مجملة لبقي أحدنا بالتسويف إلى هذا الوقت لم يصل حتى الصبح ، ولكن صل فى الوقت الفلاني ، صل في الوقت الفلاني ، صل في الوقت الفلاني لئلا نفوتها بالتسويف ونصب لها مناديا ينادي لها ، ليس من العبادات شيء تجد مناديا ينادى له إلا الصلاة .

نقتصر الكلام في الصلاة ونستمر في الأركان الباقية بعد الصلاة ، الصيام ، والصوم قرب وقته يأتي شهر رمضان الأبرك ، فيخطب الرسول ﷺ فقال : « قد أقبل عليكم شهر عظيم مبارك شهر فيه ليلة خير من ألف شهر ، شهر جعل الله عليكم صيام يومه فريضة وقيام ليله تطوعا ، من تقرب إلى الله فيه بأداء خصلة كان كمن

---

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك 373/1 ، والدارقطني في سننه 419/1 ، 420 ، وعبد الرزاق في المصنف 497/1 ، وابن أبي شيبة في المصنف 1/ 303، والبيهقي في السنن الكبرى 57/3 ، 111، 174 .

أدى فريضة فيما سواه ، ومن أدى فريضة فيه كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه ، وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة وشهر المواساة ، وشهر يزاد في رزق المؤمن فيه ، من أفطر صائما كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار ، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء قالوا : يا رسول الله ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم قال رسول الله ﷺ : يعطي الله هذا الثواب من أفطر الصائم على تمرة أو شربة ماء أو سقية لبن ، وهو شهر أوله رحمة ، ووسطه مغفرة وآخره عتق من النار ، من خفف فيه عن مملوكه غفر الله له وأعتقه من النار ، استكثروا فيه من أربع خصال : خصلتين ترضون بهما ربكم ، وخصلتين لا غناء بكم عنهما . أما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة أن لا إله إلا الله وتستغفرونه . أما الخصلتان اللتان لا غناء بكم عنهما فتسألون الله الجنة وتعوذون به من النار ، ومن سقى صائما على ظمئه سقاه الله من حوضه شربة لا يظمأ بعدها حتى يدخل الجنة» (1) .

وهذا الصيام أيضا فيه الصلاة وفيه الزكاة وفيه الحج ، الصوم الإمساك عن شهوتي البطن والفرج من طلوع الفجر إلى غروب الشمس بنية التقرب إلى الله تعالى وامتثال أمره . والصائم مأمور أن يكون ذاكرا الله دائما ، وهذا صلاة . والصائم مأمور بالتراويح في ليالي رمضان وهذه صلاة ، والصائم مأمور بالإكثار من الصلاة والنوافل لأن كل نافلة في رمضان تقوم مقام فريضة في غير رمضان ، والفريضة خير من النافلة كما تعلمون ... والصيام فيه الزكاة أيضا لأن الصائم المزكي أشفق على المسكين حتى جعل له جزءا من ماله رحمة ، والصائم أذاق نفسه الجوع الذي يكابده المسكين حتى ازدادت رحمته على المسكين ، فالصائم مع أنه يتسحر ويتناول الفطور ويفطر غيره وهذا كله إنفاق .

فالصائم في صومه يريد أن يزكي لأجل هذا هو صائم منفق . كان أمير عادل في زمن ماض جاء وقت المجاعة ، فعلم أن الناس كلهم يكابدون الجوع فصار لا يأكل طعام النهار ليذوق الجوع كما ذاق شعبه فشكره الله وغفر له . كل صائم كهذا الأمير لأن كل صائم يذيق نفسه الجوع الذي يكابده المسكين حتى تزداد شفقته

---

(1) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه 191/3 .

على المساكين وترك الطعام والشراب وترك الشهوة بدون القصد إلى الله تبارك وتعالى لا يسمى صياما حتى تكون النية قصدا لله تبارك وتعالى . وهذا حج ، ولما قصده لوجه الله تبارك وتعالى هذه صلاة وهذا حج وهذا صيام وهذا إنفاق أيضا . لا يسمى الإنفاق إنفاقا في سبيل الله حتى يكون القصد لله تبارك وتعالى من أنفق ماله كله ليقال إنه سخي جواد هذا لا يسمى إنفاقا في سبيل الله .

فبعد الزكاة الحج حج بيت الله الحرام ، والحج على ما فيه من الحج يتضمن صلاة ويتضمن صياما ويتضمن إنفاقا في سبيل الله تبارك وتعالى . الحاج أول ما يفعل أن يصلي ركعتين للإحرام ، فهذه صلاة فلابد أن يتزود لحجه ذهابا وإيابا ويتصدق على المسكين وهذا إنفاق وفيه الهدايا يعطيها يوم النحر وفيه صلاة حيث يستقبل الكعبة وفيه ذكر الله حيث أن كل أركانه يتضمن ذكر الله تبارك وتعالى دائما .

الحاج في الذكر : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك ، هذا ذكر وهذا صلاة . فعندما يطوف بالبيت يذكر الله تبارك وتعالى ، وعندما يتم طوافه يصلي كما أمر الله تبارك وتعالى : ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ ، يسعى يخرج إلى منى إلى عرفات كلها بذكر الله . كل هذا صلاة ، وكل هذا إنفاق وكل هذا صيام . والقصد الحقيقي في هذه العبادات كلها من صلاة وصيام وزكاة وحج هو ذكر الله تبارك وتعالى . والذكر ضد النسيان إذا نسيت سوى الله ، فقد ذكرت الله تبارك وتعالى . قال تعالى : ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ إذا كان اللسان ينتبه لذكر الله ... والقلب غافل عن الله هذا ليس بذكر كامل ، ولكن من داوم على الذكر ربما يصل إلى الذكر مع حضور قلب ، وربما إلى ذكر مع غيبته عن كل ما سوى الله تعالى وما ذلك على الله بعزيز . .

بهذا الذكر الذي هو منتهى الذكر وهو معرفة الله تبارك وتعالى ، يشير قوله تبارك وتعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ يعني إلا ليعرفوني ، ولما كان القصد من جميع العبادات ومن جميع الشرائع هو الحضور مع الله تبارك وتعالى وذلك لا يمكن إلا بمعرفة الله وذلك لا يمكن إلا إذا تركت كل ما سوى الله تبارك وتعالى بقلبك ، وتستحضر جلالة الله تبارك وتعالى ، لا تلتفت إلى ما سوى الله في

أي حالة من الحالات كما كان المقصود هذا . لهذا التزمنا صحبة المشايخ واتخاذ الأوراد .

والورد ليس بواجب على أي عبد من عباد الله تبارك وتعالى ، الواجب كما قال الله تبارك وتعالى : العبادة بالإخلاص ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ هذا الإخلاص لا يمكن مادامت هذه النفس الخبيثة موجودة .

سئل الشيخ التجاني رضي الله عنه هل أخذ الأوراد واجب على العبد ؟ قال : لا أما شرعا فيجب صحبة الشيخ الذي يعلمك واجبات الدين من فرض عينك ، فجهل فرض العين حرام لابد لكل مسلم أن يعلم فرض عينه ولابد أن يصحب من يعلمه فرض عينه هذا واجب شرعا قال : أما صحبة الشيخ وأخذ الأوراد لا يجب شرعا ولكن يجب بطريق النظر كأن نجد إنسانا وهو مريض بلغ الغاية من المرض حتى إنه إن لم يأت الطبيب بدواء يموت .

فنقول للمريض إن كنت تحب الموت فلا يجب عليك طلب الطبيب ، وأما إذا كنت تريد الصحة ، فلابد أن تطلب الطبيب فلما كان المريض يحب الشفاء قلنا له يجب بطريق النظر أن تذهب لطبيب هذا الداء والعبد بمنزلة هذا المريض أمره الله أن يعبده مخلصا ولا يجد الإخلاص مادامت هذه النفس فيها الكبر وفيها العجب وفيها الرياء وفيها الحسد وفيها البغض وفيها ما فيها من الخبيثات والخبائث . إذا كان يريد الشفاء منه ، يجب عليه أن يصحب شيخا بمنزلة الطبيب يداوي هذه الأمراض منه وإذا كان يريد أن يهلك من هذه الأمراض ، فلا يجب عليه أن يلتزم وردا ولا شيخا فبهذا يذهب العبد إلى طبيب أو شيخ كامل ينقذه من أمراض هذه النفس الخبيثة ويوصله إلى الله تبارك وتعالى فجرب الصالحون قبلنا أن الأوراد وصحبة الكمل يوصل العبد إلى الله تبارك وتعالى وينقذه من أمراض هذه النفس الخبيثة وربما قد يوجد آحاد جربوا هذا ووصلوا إلى الله تبارك وتعالى . والوصول إلى الله لا يمكن لا بالعبادة ولا بالعلم ولا بشيء من الأشياء إلا بالصحبة فقط ، لأن صحبة أهل الله تبارك وتعالى ، توجب العدوى ، والصحبة تقرب المسافة للعبد بالجذب ، والعدوى مجربة في جميع الأشياء إذ فلا ينكر في القلوب أيضا قال الرسول الكريم :

« خالط الجذامى تجذم »[1] ، ومن خالط مريضا يصيب من مرضه كما نشاهد كثيرا .

وأقرب من ذلك لو أتى إنسان إلى مجلس كل يضحكون لابد أن يأخذ في الضحك ، وإن لم يجد سببا لهذا الضحك وإذا أتى إلى مجلس كل يبكون لابد أن يصيبه شبه البكاء وإن لم يكن في قلبه حزن هذا هو العدوى .

والمحبة تلصق الصغير بالكبير حتما كما إذا أخذت إبرة وألصقتها بالسيف التصقت به . المحب هكذا ، كل من أحب شخصا التصق به ، فذلك يوصله إلى مقامه * والأوراد معناها المداومة على ذكر الله تبارك وتعالى ومحبة أولياء الله تبارك وتعالى وذكر الله أكبر « أنا جليس من ذكرني »[2] ، ومحبة أولياء الله تبارك وتعالى واجبة يقول الله تبارك وتعالى : « من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب »[3] . قال الشيخ التجاني رضي الله عنه في ضمن هذا الحديث : من والى لي وليا فقد اتخذته وليا وهذا كله جربناه ووجدناه صحيحا فلا نطول فيه .

وأعداء الإسلام لما أرادوا أن ينقضوا الإسلام عنوة بدأوا بتنفير الناس عن الأولياء فإذا فرغوا من ذلك نفروهم عن الصلاة فإذا فرغوا عن ذلك نفروهم عن الدين مطلقا نسمع كثيرا من يعيب الطريقة التجانية في هذا العصر ، والطريقة التجانية الاستغفار والصلاة على النبي ﷺ ولا إله إلا الله . تأملوا يا إخواني أي عيب في هذه الأذكار ألم يقل الله تبارك وتعالى : ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ﴾ ألم يقل الله تبارك وتعالى : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ﴾ ، ألم يقل الله تبارك وتعالى : ﴿ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ ، ألم يقل الله تبارك وتعالى : ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ يقولون كفر ويقولون بدعة .

البدعة ما أحدثت بعد رسول الله ﷺ لم يأت به ولم يأت في القرءان وهذا الذي أمر الله به كيف يكون بدعة وأمر به الرسول الكريم يقول : « إني لأستغفر في

---

(1) لم أجده بهذا اللفظ .

(2) تقدم تخريجه .

(3) تقدم تخريجه .

اليوم سبعين مرة وفي رواية مائة مرة » [1] والرسول الكريم الذي هو معصوم عاجز على أن يخلف أمر الله تبارك وتعالى كعجزك عن الطيران في السماء كعجزك على الطيران في الجو وهو عاجز على أن يعمل شيئا مخالفا للشريعة والله تبارك وتعالى يخاطبه : ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ ولو فرضنا أن له ذنبا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، ولكنه يستغفر الله في اليوم سبعين مرة فكيف نترك الاستغفار ؟ المعصوم من الذنب وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر يستغفر الله فهل نترك الاستغفار إذا قبلنا لهم ترك الاستغفار . فغدا يقولون نترك الصلاة ونترك الصيام وغدا يقولون لا إله ، لا وجود لله تبارك وتعالى يأيها الناس فالزموا هذه الأذكار والاستغفار والصلاة على النبي ومن قال هذا كفر فهو حامله على عاتقه فالزموا هذا الكفر أنا أمرتكم به جميعا وأنا ضامن مسئوليته في هذا الأمر فالحق والحق يقال إن الله تبارك وتعالى أتانا بهذا الدين النبي العربي ﷺ ، ولفظ القرءان بلسان عربي مبين فالعرب هم الذين جاءوا بهذا الإسلام إلينا وهم في هذا الوقت أرادوا أن يذهبوا به عنا ولا نقبل ذلك قلت لعربي وهو يقول نحن الذين جئناكم بالإسلام نحن الذين جئناكم بهذا الدين فقلت : نعم جئتمونا بهذا الدين الذين نحن تمسكنا به واليوم أردتم أن تذهبوا به عنا ، ولا نقبل إن كنتم معنا في هذا الدين ، فنحن معكم وإن تركتموه ، فنحن نبقى عليه والحق ما شهدت به الأعداء .

تكلمت بعربي في هذه الأيام الماضية فقط يقول نحن جلنا في البلدان ورأينا أن الإسلام على طبيعته بقي في نيجيريا في سنغال في موريتانيا قال مر في البلدان كلها ولكن الإسلام على بابه على حقيقته لم يتغير منه شيء ما رآه في نيجيريا وهذا نعتز به ونزداد تمسكا بهذا الدين حتى يرجعوا إلينا نحن من طريق الدين . وفى الحقيقة منذ

---

(1) رواية السبعين : أخرجهـا الترمذي في سننه 383/5 ، حديث رقم 3259 ، وأحمد في مسنده 282/2 ، والطبراني في الأوسط 37/3 ، والبيهقي في شعب الإيمان 437/1 ، وفي السنن الكبرى 114/6 .

ورواية المائة : أخرجها مسلم في صحيحه 2075/4 ، حديث رقم 2702 ، وأحمد في مسنده 5/ 402 ، وابن حبان في صحيحه 205/3 ، والحاكم في المستدرك 691/1، 496/2 ، والطبراني في الكبير 301/1 ، وفي الأوسط 3/ 288 ، والصغير 151/1 ، والبيهقي في شعب الإيمان 438/1 ، 380/5 ، وفي السنن الكبرى 52/7 .

ثلاثة قرون من ذلك الوقت إلى يومنا هذا لا ترى من يرفع الدين لا بالتاريخ ولا بالتعليم ولا بالإرشاد ولا بالجهاد إلا من غير العرب وهذا يحقق قول القائل الإسلام بالعرب يبقى وبغير العرب يقوى . وغير العرب هو الذي يقوى الإسلام . المسلمون سبعمائة مليون والعرب يفتخرون أنهم مائة مليون ، مائة من العرب وستمائة مليون من غير العرب هؤلاء هم المسلمون ، إذا الإسلام من العرب أم من غير العرب فلنتمسك بهذا الدين ولا نلتفت إلى القوميات ولا إلى العنصريات ولا إلى الجاهلية ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾ .

نحب المسلمين منهم لأنهم من جنس نبينا نحب لسانهم لأنه لسان القرآن ، ولكن من ترك الإسلام منهم فلا نلتفت إليه لأنه لا قيمة له .

كنا في مؤتمر البحوث في القاهرة وأرسلت الدولة تختار منا ثلاثة أو أربعة ليذهبوا إلى التلفزيون ليكلموا الناس وقالوا إبراهيم أنياس من إفريقية هو الذي يدعو الإفريقيين إلى الإسلام ، فلما وقفت على التلفزيون قلت الدعوة إلى الإسلام واجبة على كل مسلم ولكن أدعو قبل كل أحد العرب أدعوهم إلى الإسلام فنحن المسلمون في إفريقية لا نرضى بعربي يتدين بغير الإسلام فنحن نرى كثيرا من العرب ليسوا بمسلمين ورأينا المسلمين من العرب يتغافلون عن الإسلام ويتركونه يتباعدون عن الإسلام شيئا ونحن لا نرضى بهذا ندعوكم إلى العودة إلى هذا الدين أيها العرب ، وبعد ذلك ندعو الأروبيين والأمريكيين والآسيويين والإفريقيين إلى التمسك بهذا الدين قال تعالى : ﴿تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ وطال المجلس عليكم أوجز لكم ما جرى في المجلس أوجز لكم الخطاب كله نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله نقولها كلنا نجدد الإيمان لا إله إلا الله هي الإيمان بالله وهي عبادة الله وحده تبارك وتعالى هذا هو أول واجب على كل مخلوق وبعد ذلك حسن الخلق مع كل مخلوق . وحسن الخلق مع كل مخلوق يمكن بحسن الظن إذا كان العبد يحسن الظن بالله ويحسن الظن بعباد الله وينزل كل عبد منزلته التي أقامه الله فيها ، فهذا يمكنه أن يحسن الخلق مع كل مخلوق .

أصلا نحن كلنا سواء نحن بنو البشر كلنا سواء وبعد ذلك أن الله تبارك وتعالى فضل بعضكم على بعض في الرزق وما بكم من نعمة فمن الله كل من كان في منزلة فإن الله هو الذي أقامه في تلك المنزلة والأدب مع الله أن تتقبل ما جعله الله تبارك وتعالى بأن تحمده عليه وتترك الحسد إن الله تبارك وتعالى هو الذي قسم في الأزل وقسمته عدل رضا . يجب على كل عبد أن يرضى بحكم الله ففي هذا يمكن للعبد توقير كل كبير ورحمة كل صغير والناس في خير ما وقر الكبير ورحم الصغير الراحمون يرحمهم الله تبارك وتعالى ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء من كان له حاجة فليطلبها من الله تبارك وتعالى لأن الله أمرنا بالدعاء وطلب منا أن نسأله من فضله واسألوا الله من فضله ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ ، فاسألوا الله تعالى ، واتركوا الحسد وأمرنا الرسول ﷺ أن ننظر إلى من دوننا ولا ننظر إلى من فوقنا وهذا في شأن الدنيا كل ما عندك من النعم فمن الله تبارك وتعالى ولو بلغت ما بلغت . إذا نظرت إلى من فوقك تجد من هو أكثر منك بأضعاف مضاعفة فتحقر ما عندك وتحسده ولكن إذا نظرت إلى من تحتك تجده هو أقل منك فتحمد الله على ما أنعمت عليه ، وهذا في شأن الدنيا ، وأما في شأن الدين فانظر إلى من فوقك إذا كنت مجتهدا ولو بلغت ما بلغت من الاجتهاد ، فإذا نظرت إلى من فوقك تجد من هو أشد منك اجتهادا فتقتدي به وتقلل ما كنت تستكثر من عملك فهذا محمود ، وإذا نظرت إلى من تحتك ولو بلغت ما بلغت من الغفلة تجد نفسك كأنك مجتهد وليس الأمر كذلك ، انظر إلى من هو أسفل منك في شأن الدنيا ولا تنظر إلى من هو فوقك ، وانظر إلى من هو فوقك في شأن الدين ولا تنظر إلى من أسفل منك واقرأ هذه السورة اختم بها كلمتي ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ أقسم الله تبارك وتعالى إن الإنسان لفي خسر هذا جميع الإنسان كل الناس أخذوا في هذا الخسران إلا من اتصف بأربع صفات : الإيمان بالله والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر ... وإني أسأل الله تبارك وتعالى لأهل البلاد بلاد نيجيريا أسأل الله تبارك وتعالى أن يوفقكم لما يحب ويرضى ويحفظكم من كل شر ويتيح السلامة والعافية والخير والرفاهية في هذه

البلاد ، ويباعدها عن كل شر وبلاء ومصيبة ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله تبارك وتعالى فأشكر أهل هذا البيت وأدعو إلى شكركم فهم الرابطة بيني وبينكم وهم السبب في كل خير جرى بيننا في الظاهر والباطن في الدنيا والآخرة ونرجو لهم خيرا كثيرا إذ هم الرابطة بيننا وبين نيجيريا أولهم : المرحوم فقيد الإسلام الحاج عبد الله بايرو . كما علمتم ذلك جميعا وبعده مشى ولده الكبير محمد السنوسي مدة أيامه على هذا المنوال واليوم ولده الحاج آدم كما تعلمون يمشي على قدم أبيه وعلى قدم أخيه الكبير ، ونشكرهم وندعوكم إلى شكرهم وندعو الله لهم ، وندعوكم إلى الدعاء لهم في ظهر الغيب وفي كل وقت من أوقاتكم في خلواتكم وجلواتكم . الله يديم عليهم نعمته ويزيدها ويتمها ، ويجعلهم أمراء في الدنيا ويجعلهم أمراء في الآخرة وكما علمتم أن الحاج عبد الله بايرو لما أخذ عني قدمته في الطريقة التجانية ولما توفي قدمت ولده الحاج محمد السنوسي في الطريقة التجانية وأقمته خليفة عن الشيخ التجاني رضي الله عنه ، واليوم قدمت الحاج آدم في الطريقة التجانية تقديما مطلقا وإجازة مطلقة ، واليوم قام مقامي فهم أنا ، وأنا أنتم فإذا نحن شيء واحد بل بايرو أنا ، وأنا أنتم إذا فكلنا شيء واحد ، وهذا يفهمه من ذاق الحقيقة .

نسأل الله أن يثبت نعمته ويزيدها ويتمها ويجعلهم أمراء في الدنيا وأمراء في الآخرة نرجو ذلك من الله تبارك وتعالى لأن الله يقول في كتابه : ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ كما تعلمون وأن عملهم كله وحركاتهم وسكناتهم كلها في نفع الخلق أعود مرة أخرى إليكم فجزاكم الله خيرا على محبتكم فجزاكم الله خيرا على استقبالكم وإنصاتكم والله ينفعكم في الدنيا والآخرة ويزيدكم خيري الدنيا والآخرة الله يكثر أموالكم وأولادكم ، ويبارك في كل مارزقكم الله ينزل الخصب والخير والرفاهية كله في نيجيريا الله يفتح لكم باب العلم النافع ، ويجعلكم مشتغلين بالله تبارك وتعالى آناء الليل وأطراف النهار الله يؤلف بين قلوبكم حتى تكونوا إخوانا على سرر متقابلين كما وصف الله أهل الجنة تبارك وتعالى .

وإني أجدد لكم جميعا طريقة الشيخ التجاني رضي الله عنه ، ومن قال لكم اتركوا هذه الطريقة ؟ قولوا : كيف نترك الاستغفار لله تبارك وتعالى والصلاة على النبي ﷺ ولا إله إلا الله ، ومن قال لكم قال الله تبارك وتعالى : ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ

دِينَكُمْ﴾ الخ وهذا الورد جاء بعد هذا ؟ فقولوا له : الورد مما جاء به رسول الله والرسول يقول : « عليكم بالجماعة » (1) ، ونحن أهل الأوراد في هذه الدنيا أكثر من الذين ينكرون الأوراد فنقول لهم نحن أكثر منكم وأعلم منكم فكيف تحملوننا على سهوكم الثلثان من أهل الأوراد أهل التجانية والطريقة التجانية من أولها إلى يومنا هذا يقال إنها طريقة العلماء وأنتم انظروا في نيجيريا في الحاضرين بين أيديكم الذين تمسكوا بالطريقة والذين ينكرون الطريقة هل يجد من ينكر الطريقة التجانية مثل هؤلاء العلماء والحمد لله والحق مع الجماعة ونحن الجماعة والحق مع العلم ونحن أهل العلم . وما قلت هذا إلا تحدثا بنعمة الله تبارك وتعالى ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ كل واحد يرفع يده وينوي مراده وأنا أقرأ الفاتحة مرة واحدة الله يعطي كلا مراده .

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

---

(1) أخرجه الترمذي في سننه 465/4 ، حديث رقم 2165 ، والنسائي في سننه 106/2 ، حديث رقم 847 ، وأحمد في مسنده 145/5 ، 232 ، 243 ، 370 ، والحاكم في المستدرك 197/1 ، والطبراني في المعجم الكبير 447/12 .

هذه مقامات الدين الثلاثة

للقطب الفرد الجامع والغوث النافع شيخ الإسلام

وممد الأنام الشيخ

الحاج إبراهيم بن الحاج عبد الله إيناس الكولخي

لطف الله بهما آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

الحمد لله السلام المؤمن المحسن سبحانه هو الملك التواب الرحيم الرقيب المهيمن ، والسلامان على الصراط المستقيم التقي النقي الصادق المخلص المتخلق بالخلق العظيمة المراقب المشاهد عين المعارف الأقوم العبد السيد المتصف بصفات السيد الأعظم والرضوان الأتم عن ناصر الحق بالحق الهداة إلى الصراط المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم .

أما بعد :

فقد وقفت على كتابك الكريم وخطابك السليم أيها المحب الأرضي والقدوة المرتضى عمر بن مالك لطف الله بكما المالك ، ووقفت على سؤالك عن مقامات الدين الثلاث وما لها من المنازل ، وما حقيقة تلك الخصال ؟

وقد تكلم السيد العارف بالله عبيدة بن أنبوج فيه في الميزاب في مباحث طويلة وحيث لم تجد مقنعا في ذلك فهاك مني ما أمكن لي كتبه مما تعلق به خاطري . ونصه : لا إله إلا الله مقامات الدين الثلاث : الإسلام الإيمان والإحسان ، فالإسلام قول لا إله إلا الله والإيمان العلم بأن لا إله إلا الله والإحسان الجريان في مقتضى لا إله إلا الله ، وهو أن يقول كلام حال ومقال الله ، والكلمة الشريفة هي كلمة التوبة وكلمة التقوى وكلمة الإخلاص وكلمة التوحيد والكلمة الطيبة ولها مراتب ثلاث ، مرتبتها **الأولى :** هي مقام الإسلام وهو القيام بمقتضى خطاب الحكمة في حضرة الناسوت والمرتبة الثانية : التي هي العلم به هي مقام الإيمان والمرتبة الثالثة : التي هي قول الله . هي مقام الإحسان .

فالمقامات إذا متباينة غير متباينة حيث أن المدار على لا إله إلا الله ، وأما المنازل ، فأول منازل الإسلام التوبة وهي الخروج من كفر النعمة فكل نعمة شكرها صرفها في مرضات المنعم وضد الشكر كفر . وقال علماء الصوفية : الخروج من كل

خلق دني إلى كل خلق سني قلت والدني في حق العام ترك الفرائض وارتكاب المحرمات وفي حق الخاص ترك الفضائل وارتكاب المكروهات وفي حق خاص الخاص الإعراض عن الحضرة وهو الغفلة وهذه التوبة هي حقيقة التوبة لأن حقيقتها قتل النفس قال تعالى : ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ فلا يراها ولا يرى لها فعلا ولا حالا ولا مقاما وذلك هو التوبة من التوبة إن الله يحب التوابين .

والثاني : الاستقامة وهو سلوك الصراط المستقيم في عشرة خصال عدها الله تبارك وتعالى في سورة الأنعام بقوله تعالى : ﴿ قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗاۖ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۖ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ ﴾ والصراط المستقيم حيث أطلق فالمراد العمل بمقتضى تلك الخصال وأولها عدم الشرك بالله شيئا وعدم العقوق وعدم قتل النفس التي حرم الله وعدم قتل الأولاد من إملاق وترك الفاحش ما ظهر منها وما بطن ... الخ .

فالاستقامة هي الإقامة على الصراط المستقيم هذا هو استقامة العامة . واستقامة الخاصة هي سلوك الصراط المستقيم وهو عندهم رسول الله ﷺ بالفناء فيه وفي محبته والتخلق بأخلاقه ظاهرا وباطنا واللهج بذكره والصلاة عليه والدعاء له في كل نفس : هو الاستقامة واستقامة خاصة الخاصة أن لا يبقى فيك خلق تكتمه ولا عرف خبيث قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾ .

والثالث التقوى : وهو امتثال الأوامر واجتناب النواهي ظاهرا وباطنا في السر والعلانية وهو أعم من الاستقامة حيث أن المأمورات واجبات ومندوبات والمنهيات محرمات ومكروهات وخلاف أولى وامتثال الأوامر مطلقا واجتناب النواهي مطلقا هو

التقوى عند العامة ، وعند الخاصة أن تذكره ولا تنساه وتشكره ولا تكفره وتطيعه ولا تعصيه قال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ هي مرتبة الخاصة كما أن قوله تعالى : ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ هي مرتبة العامة وتقوى خاصة الخاصة عدم خطور سوى الله بالخاطر ولو لحظة قال العارف :

ولو خطرت لي في سواك إرادة على خاطري سهوا حكمت بردتي

لكن ذلك حال للعارف ومقام للقطب الفرد الجامع فالناظم تكلم في حاله لكن ذلك الحال غير لازم للعارف وهذا التقوى هو المشار إليه بقوله : ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ .

الثاني من مقامات الدين : مقام الإيمان فأول منازله الصدق وهو عمل البر ابتغاء وجه الله قال تعالى : ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ﴾ هذا هو صدق العامة وصدق الخاصة ، الصدق في محبة الذات العلية بأن يكون وصوله إلى الذات العلية أحب إليه من كل شيء موجود واسمها أحب إليه من كل اسم وكلامها أحب إليه من كل كلام ومرضاتها أحب إليه من كل مرضاة وأحبابها أحب إليه من أحبابه فذلك هو صدق الخاصة قال تعالى : ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ وصاحب هذا المقام لا يتعلق خاطره بحب شيء لم يرد الله وجوده وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وصدق خاصة الخاصة التصديق بكل ما تتلقاه حضرة النبوة من الإلهية علما وحالا وسرا وآدابا وحقوقا ووظائف فمن بلغ صدقه إلى هذه المرتبة فله صيغة مبالغة في الصدق .

والثاني : الإخلاص وهو أن تعمل جميع المأمورات لوجه الله الكريم وتترك المنهيات كذلك وحيث تجد في النفس رياء وسمعة أو عجبا فلم تخلص ، هذا هو إخلاص العامة . وإخلاص الخاصة لا لثواب ولا خوف عقاب ولا وصول إلى مقام

بل تعمل عبودية وشوقا والعبودية أن تعمل بلا علة سوى أن الله إله مستحق للعبادة وأنت عبد لا يليق بك إلا الخدمة فتعمل له ولا ترى أنك تستحق عليه شيئا مع شهود المنة وهو شهود الأعمال أنها من الله إليك خلق ونسب إليك فضلا ومنة وإخلاص خاصة الخاصة إخراج السوي في معاملة الحق ، ونفسك سوى بأن ترى أن العمل من الله إلى الله بالله وأنت لا مدخل لك ولا مخرج «إن الله يحب المخلصين» .

والثالث : الطمأنينة وهو سكون القلب بالله استغناء بالله ويقينا بالله بحيث لم يبق للقلب التفات إلى ما ينفع النفس أو يضرها بل ألقى نفسه سلما بين يدي الله قائلا لسان حاله : اللهم عليك معولي ، هذا هو الطمأنينة ولا تكون إلا للخاصة . وطمأنينة خاصة الخاصة علمهم يقينا بأن الله موجود فلا يسكن إلا إليه ولا يرجع إلا إليه فيخاطب : ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ .

والمقام الثالث من مقامات الدين : الإحسان وأول منازله المراقبة وهي دوام الحضور مع الله والعلم باطلاعه على كلية العبد بحيث لا يزول عنه هذا الخاطر لأنه يطالع الحقيقة من وراء حجاب رقيق ويفهم فهما ذوقا .

وصاحب هذا المقام ربما تكلم بكلام يظنه من لم يجد كمال التمييز واصلا وليس بواصل لكنه يطالع الحقيقة من وراء حجاب رقيق ويأخذ العلوم فهما ذوقا لا مشاهدة وهذه مراقبة الخاصة قبل المشاهدة والمراقبة بعد المشاهدة مراقبة خاصة الخاصة والمراقبة أنفس مقام من مقامات الرجال وهي نتيجة المعرفة .

والثاني : المشاهدة وهي رؤية الحق بالحق عيانا من غير ريبة ولا شك ولا وهم بحيث لم يبق إلا الحق بالحق في الحق وما دام يبقى من وجود العبد شعرة واحدة لا يصل إلى هذا المقام بل يفنى عن نفسه وعن الغير والغيرية قائلا لسان حاله :

فلم يبق إلا الله لا شيء غيره   فما ثم موصول ولاثم بائن

بحيث لا اسم ولا وصف ولا حد ، وهذه الرؤية من غير كيف ولا تحديد ولا اتحاد ولا جهة ولا مقابلة ولا ابتداء ولا انتهاء ولا اتصال ولا انفصال ولا ذكر

ولا ذاكر ولا مذكور ، « جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا » [1] ، وهذه المرتبة أدنى مراتب الفتح فما قبل هذا ليس بفتح وهو باب المعرفة وليس هو المعرفة فكل عارف مفتوح عليه ولا عكس .

والثالث : المعرفة وهي رسوخ الروح وتمكينه في حضرة المشاهدة مع الفناء التام والبقاء بالله فالعارف عند الصوفية من يرى الغير العين أي شهود الحق في الغير ، والعارف عندي من فنى في الذات مرة وفنى في الصفة مرتين أو ثلاثا وفنى في الاسم مرة وأثبت الوجود بالحقائق الثلاث ، وأثبت الأسماء بالاسم وهذا مقام دونه خرط القتاد وتفتيت الأكباد ولا ينال ببذل الأموال والأولاد . وصاحب هذا المقام كامل اليقظة بالله وبحكمه وأحكامه راضيا بمجاري الأقدار كامل الرضى مرضيا فيستحق أن يخاطب نفسه بقوله : ﴿فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي﴾ ، والمعرفة آخر مقامات الدين والتوبة : أولها مع أن حقيقة التوبة عدم التوبة وذلك لا ينال إلا بالمعرفة ولذلك كان يقول شيخنا الختم التجاني رضي الله عنه وأرضاه وعنا به : « بالله ما بلغت مقام التوبة » يعني رضي الله عنه أنه تائب من رؤية توبته وما دام العبد يرى لنفسه توبة فلم يبلغ مقام التوبة .

انتهى شرح المنازل باختصار ، ولو تتبعنا ما يتعلق بها لاحتجنا إلى إفراد تأليف ، لكنها كما تقدم ، حقيقة المقامات : إسلام وإيمان وإحسان ، والإسلام لا إله إلا الله ، والإيمان فاعلم أنه لا إله إلا الله ، والإحسان قل الله ، وما يعقلها إلا العالمون ، وهذه هي المنازل تسع وكلها إن تأملت فيها تجد عين المنازل الباقية في الحقيقة وذلك رمزه إلى الحضرات التسع فالحضرات تسع وما هي إلا واحدة لأنك إن دخلت الحضرة الأزلية ، فمرادك من الله تم ومن رسول الله ومن الشيخ ، وإن وصلت إلى المحمدية ، فمرادك من الله تم ومن رسول الله ومن الشيخ ، وإن وصلت إلى الأحمدية ، فمرادك من الله تم ومن رسول الله ومن الشيخ فصارت الحضرات تسعا ثلاثا في ثلاث كما أن المنازل تسع ثلاث في ثلاث ، فحضرة الشيخ مقام

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه 876/2 ، 1561/4 ، حديث رقم 2346 ، 4036 ، 4443، ومسلم في صحيحه 1405/3 ، 1408، حديث رقم 1780 ، والترمذي في سننه 303/5 ، حديث رقم 3138 .

الإسلام وحضرة الرسول مقام الإيمان وحضرة الله مقام الإحسان ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ والسلام .

(إلحاق بما قبله) :

حقيقة التوبة من التوبة أن الله هو التواب الرحيم وحقيقة الاستقامة ، البقاء بعد الفناء إن الله يحكم ما يريد ، وحقيقة التقوى عدم خطور السوي بالخاطر ولو لحظة ذلك بأن الله هو الحق وحقيقة الصدق إفراد الوجهة إليه كل شيء هالك إلا وجهه ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ ، ﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ۖ﴾ ، وحقيقة الطمأنينة أن لا تتمنى زوال ما كان أو وجود ما لم يكن ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ، ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ ، وحقيقة المراقبة تعلق القلب بالله دائما ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ . ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ﴾ ، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ ، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ الآية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ ، وحقيقة المشاهدة رؤية الحق عيانا ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ﴾ ، وحقيقة المعرفة شهود الكمال الذاتي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ﴾ .

انتهى ما أملاه على الوارد والسلام انتهى والحمد لله على كل حال وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

رسالة الشيخ الحاج إبراهيم نياس التي بعث بها إلى أهل كماسي بمناسبة ما وقع بينهم من تعصب العنصرية حين وفاة الإمام الشيخ الحاج محمد ثروم رحمه الله آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على نبيه الكريم وعلى آله وصحبه وسلم

الحمد لله القائل : ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ القائل : ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ .

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَـٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ .

والصلاة والسلام على رسول الله الفاتح الخاتم سيدنا محمد بن عبد الله من خاطب الله أمته بقوله : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًا مُّبِينًا﴾ وعلى آله الفضلاء وصحابته الأصفياء النبلاء وعلى التابعين وتابعيهم إلى يوم الدين .

وبعد فغب التعريف بسلامتنا وعافيتنا وصحتنا وسلامة المتعلقين بنا ، نقدم أزكى تحياتنا وفائق احتراماتنا إلى أولادي بابن مكرنتا وعبد الله أمير دغمبا وعبد المؤمن أمير غنج والحاج أبي بكر بندا أمير لبق وإخوانهم أهل الوطن وفقنا الله وإياكم جميعا لما يحب ويرضى وداوى بمنه وكرمه قلوبنا المرضى السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كما أحيطكم علما بوصول رسالتكم إلينا ، وقد تأسفت جدا لما قرأتها تعبر عن الجاهلية تماما ، فالإسلام ليس فيه جنسية ولا وطن ، والمسلم ينتسب لإسلامه لا الجنسية ولا وطنه ، وفيه يقول بعض الصحابة رضي الله عنه :

أبي الإسلام لا أب لي سواه   إذا افتخروا بقيس أو تميم

فإنه نوّر الله به جميع العالم ليس فيه حدود الإسلام ليس فيه حكم دستور إلا

القرآن لا فضل لهوصي على غيره ولا لدغمبى . بل ولا لعربي على عجمي إلا بالتقوى وقد طالما شنف آذانكم وقلوبكم قوله عليه الصلاة والسلام :

« لا فضل لعربي على عجمي ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى خيركم عند الله أتقاكم » (1) .

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ وغيرها من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، وكونوا جميعا صفا واحدا ويدا واحدة ، وقد علمتم أن الرسول ﷺ هو إمام الناس كافة ، ولا يقاس به غيره لأن النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ولكم في رسول الله أسوة حسنة ، ولما انتقل إلى الملأ الأعلى وكان الوطن للأنصار خلفه سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، ثم سيدنا عمر ، ثم سيدنا عثمان ، ثم سيدنا علي المكيون رضي الله عنهم وهلم جرا ولله در الصحابة رضوان الله عليهم قالوا حين قبض النبي ﷺ وأرجف الناس ، وقال الأنصار منا أمير ومنكم أمير قد رضينا لدنيانا من رضيه النبي ﷺ لديننا فولوا الصديق الأكبر صاحبه وثانيه في الغار وقد أثنى عليهم الله في القرآن حيث يقول : ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ ... وأنتم تقومون على ساق الجد لدرء هذا الفساد الجاهلي عن بلدكم وجنسكم جهادا في سبيل الله لئلا تكون فتنة بين المسلمين ويكون الدين كله لله ، وسوف أقول بل قلت لباب، مكرنتا ما يجب على أن أقوله ﴿ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ . ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ، والله أسأل أن يوفقنا وإياكم لما يحب ويرضى ويداوي بمنه وكرمه قلوبنا المرضى .

والسلام إبراهيم نياس الكولخي

---

(1) تقدم تخريجه في حديث : « إن ربكم واحد وإن أباكم واحد » .

مجموعة
ثلاث مجالس سنية
مأثورة عن خليفة مرشد السالكين ومربي المريدين
القطب الرباني والعارف الصمداني
سيدي أحمد التجاني
رضي الله عنه
ألا وهو شيخ الإسلام وسعادة الأنام
الشيخ إبراهيم نياس بن الحاج عبد الله
رضي الله عنهما وعنا بهما آمين

(مجلس كنو)

افتتحه الشيخ مولانا القطب الرباني ، والغوث الصمداني خليفة الله على أرضه ، وممد الكل بإذن الله من فيضه ، الحاج إبراهيم ابن الحاج عبد الله التجاني ، طهر الله قلوبنا ببركته من الرجس الشيطاني ، وملأها بالنور العرفان والسرّ الربّاني آمين ، بقوله :

بسم الله الرحمن الرحيم

(الحمد لله) ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وما توفيقي إلا بالله ، وما بكم من نعمة فمن الله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، السلام عليكم سكان كنو ورحمة الله ، نتكلم معكم قليلا تذكيرا لكم ، قال تعالى : ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾ ما دام الواعظ إذا وعظ ألفا ينتفع به مائة ، وإذا وعظ مائة ينتفع به عشرة ، فلابد له من الوعظ فالله خلق الدنيا والآخرة ، وأخبرنا في كتابه الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ أنه كما بدأ الدنيا بدأ الآخرة ، فصارت الدار دارين ، الأولى هذه الدنيا التي نحن فيها ، والأخرى الآخرة التي نرتحل إليها ، من أوجده الله في هذه الدنيا ، فلا بد أن يتكون فيها ، ولابد أن يرتحل منها إلى الآخرة . ومذ كان كذلك لابد للعاقل في الوقت الذي كان في الدنيا يتهيأ للآخرة ، والإنسان في الدنيا يحب النعمة من الرزق والعافية والإكرام وغير ذلك . ويكره النقمة من الفقر والمرض والإهانة وغير ذلك كما يحب هذه في الدنيا هكذا في الآخرة ، قال تعالى : ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْـَٔاخِرَةَ﴾ من اختار الدنيا على الآخرة لم يعلم شيئا غيرها ، قال تعالى : ﴿ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ فالإنسان اليوم في الدنيا يحب العزة ويكره الذلة ، ويحب الرزق ويكره الفقر ، ويحب العافية ويكره المرض ، ويحب الإكرام ويكره الإهانة ، كيف يحب هذه المذكورات ويكره أضدادها هنا في الدنيا ، ولا يحب ذلك في الآخرة ، وكل ما هو آت آت ،هذه الدنيا فيها أغنياء ،

وفيها الفقراء ، طعامهم ليس بسواء ، ومن كان غنيا يرى طعامه وشرابه وملبسه أعلى مما للفقير ، والدنيا أخف من الآخرة ، والإنسان ربما يكون فقيرا في الحال ويرجو الغنى في المستقبل ، وربما يكون فقيرا في هذا اليوم وهو يرجو الغنى غدا ، وأما الآخرة فبخلاف ذلك ، ومن افتقر في الآخرة فلا يرجو يوما بعده يستغني فيه ، لأنه آخر الأيام ، بل افتقر فقرا لا ينال الغنى منه أبدا ، أجارنا الله من فقر الآخرة ، ولذلك يختار الإنسان الغنى لنفسه الآن في الدنيا قبل الآخرة ، ومن كان غنيا في الآخرة يجد كل شيء يتلذذ به من المأكل والمشرب والملبس والمنكح فوق ما في الدنيا ، وأما الفقير فيها فبخلاف ذلك ، والمال في الدنيا لا ينفع في الآخرة ، والدراهم والحجر في الآخرة سواء ، لا ينتفع بالدراهم في الآخرة إلا ما قدمته ، والغني بالدراهم في الآخرة من أنفقها في الدنيا لله ، هو الذي ينتفع بها في الآخرة . الجنة والنار داران . لا ثالث معهما في الآخرة ، ويختار الإنسان أيهما شاء ، والجنة فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين ، ومن دخلها يجد كل شيء يتمناه . الإنسان يختار هذه الجنة أو يختار هذه النار ؟ وهذه نار الدنيا هي الصغيرة ، ومع ذلك لا نقدر على الصبر عليها ، والنار في الآخرة أشد من النار في الدنيا ، والنار في الآخرة من دخلها تكون مأكله ومشربه وملبسه ومضجعه ، أهذه خير أم الجنة التي فيها كل نعمة ؟ فليختر العبد ما هو أحب إليه منهما ، لكن أظن كلنا يختار النعمة ، هل فينا أحد لا يموت ، والموت لابد منه ، فمن تحقق الموت فليتحقق أن ليس في الآخرة إلا هذان الداران ، والجنة أتى النبي ﷺ بمفتاحها وهو الإسلام . قال عليه الصلاة والسلام : « مفتاح الجنة الإسلام ، ومفتاح الإسلام لا إله إلا الله » [(1)] وقال عليه الصلاة والسلام : « أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله » [(2)] وقال تعالى : « لا إله إلا الله حصني من دخل حصني أمن من عذابي » [(3)] وموسى كليم الله طلب من الله

---

(1) لم يرد بهذا اللفظ ، بل الذي ورد عن وهب بن منبه موقوفا عليه قيل له : « أليس لا إله إلا الله مفتاح الجنة ؟ قال : بلى .. » . أخرجه البخاري في ترجمة باب 43 من كتاب الجنائز . وروى عن معاذ ابن جبل مرفوعا : « مفتاح الجنة : لا إله إلا الله » أخرجه ابن عدي في الكامل في الضعفاء 39/4 .

(2) أخرجه مالك في الموطأ 214/1 ، 422 ، والترمذي في سننه 5/ 572 ، وعبد الرزاق في مصنفه 4/ 378، والبيهقي في السنن الكبير 284/4 ، 5/ 117 .

(3) أخرجه أبو نعيم في الحلية 192/3 ، والقضاعي في مسند الشهاب 2/ 323 .

تبارك وتعالى سرا يختص به ، فقال له قل : « لا إله إلا الله ، قال : كل عبادك يقول هذا وأنا أحب عملا أخص بي ، قال : قل لا إله إلا الله ، قال : يا رب أحب شيئا أخص بي ، قال : يا موسى أما تعلم أن السماوات السبع والأرض والعرش والكرسي لو جعلت في كفة ولا إله إلا الله في كفة رجحت لا إله إلا الله » (1) . وفي الحديث « هي كلمة الشهادة ، هي كلمة التقوى ، هي كلمة الإخلاص ، هي العروة الوثقى » (2) ، عليكم بها ، قولوا : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، جددوا إيمانكم بقولها ، النبي ﷺ يقول لأصحابه : « جددوا إيمانكم ، قولوا : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله » (3) . هذه الكلمة إن قالها الكافر ولو مكث في كفره مائة سنة خرج من الكفر ودخل في الإسلام ، وخرج من دائرة الشقاوة إلى دائرة السعادة بسبب قوله هذه الكلمة مرة ، فكيف ممن أكثر منها ، ولذلك أكثر الله تبارك وتعالى الأمر بذكره ، وأفضل ذكره : لا إله إلا الله ، والله وقت الصلاة ، ووقت الصوم ، ووقت الزكاة ، ووقت الحج ، أما الذكر فما وقته بوقت دون وقت ، بل أطلق ، قال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾ فالشيء القليل كثير عند الفقير ، والكثير قليل عند الغني .

المعني الشيء الذي يعطينا الله تبارك وتعالى قليل بالنسبة إلى ما عنده ، والكثير الذي هو ذكرنا له قليل عنده لاستغنائه عنه ، ولذلك أمر بالذكر كثيرا . المعنى أكثروا من لا إله إلا الله ، من أكثرها يجد الرزق في الدنيا والآخرة ، وتكفير الذنوب ، وزوال المصائب . وكل ما ينزل في الدنيا من المصائب في النفس والمال والأهل بسبب الذنب ، قال تعالى : ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ

---

(1) أخرجه ابن حبان في صحيحه 102/14 ، والحاكم في المستدرك 710/1 ، والنسائي في السنن الكبرى 208/6 ، 280 ، طبعة دار الكتب العلمية – بيروت ، تحقيق د. عبد الغفار سليمان البنداري ، سيد كسروي حسن .

(2) ذكره الغزالي في إحياء علوم الدين 298/1 ، عن أنس بن مالك .

(3) أخرجه الحاكم في المستدرك 285/4 ، وأبو نعيم في الحلية 357/2 ، وعبد بن حميد في مسنده 417/1 ، ومحمد بن نصر المروزي في كتابه تعظيم قدر الصلاة 787/2 ، طبعة مكتبة الدار – المدينة المنورة ، تحقيق د. عبد الرحمن الفريوائي ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد 212/1 ، 2/ 451، 87/10 .

﴿وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ وهذه الكلمة التي هي لا إله إلا الله إذا ذكرها الإنسان تشق السماوات والحجب والعرش والكرسي حتى تقف بين يدي الرب تبارك وتعالى ، وتقول : لا أزول عن هذا المكان حتى تفرج عن قائلي ، هذا يفهم من قول النبي ﷺ : « أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله » (1) ، النبي ﷺ علمه الله علم الأولين والآخرين ، وزاده ، انظر ما علمه ، وما أعطاه من الأسرار والمعارف والأذكار والأدعية ، وغير ذلك ، ومع ذلك قال كل ما عنده خيره لا إله إلا الله نعلم أنها أفضل كل شيء اذكروها ، وأكثروها معناها عند العلماء : لا مستحق للعبادة سوى الله ، ومعنى محمد رسول الله : أي هو الرسول الذي أتانا من عند الله ، قال تعالى : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾ ثم أمرنا بالصلاة .

(والصلاة) إحدى قواعد الإسلام الخمس بعد لا إله إلا الله محمد رسول الله ، والصلاة خير عبادة . وخير ما يتعبد به : الصلاة . والدليل على ذلك أن كل فريضة فرضها الله في الأرض ، والصلاة عرج الله بعبده وأوجبها في السماء ، أوجب الصلاة أولا خمسين ، وما زال النبي ﷺ يطلب التخفيف حتى خففت وصارت خمسا ، ومن أتى بها وجد الخمسين المذكورة أولا ، والحسنة بعشر أمثالها ، خففت عنا نصليها خمسا ، ونعطى خمسين من الأجر ، والنبي ﷺ اتبع أوامر الله هو وأصحابه ، ومن تبعهم إلى يوم القيامة ، جعلنا الله منهم ، وأتوا بالصلاة بشروطها وأركانها وآدابها وفي أوقاتها وفي الجماعة ، فذكرهم الله في القرآن ، وذكر مصيرهم ومن جاء بعدهم فقال ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ وذكرهم أولا بقوله ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ الآيات ، وذكر مصيرهم آخرا بقوله ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ﴾ الآية ، والكفار أكبرهم أبو جهل ، وأتباعهم ذكرهم الله وذكر مصيرهم ، وأهل الجنة قالوا لأهل النار ، ﴿مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ٤٢ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ﴾ المصلي دخل الجنة ، ومن أبى سقط في النار . وأصحاب النار أجابوا بأنفسهم ﴿قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ﴾ والصلاة لا تصح إلا بشروطها أولها الطهارة والطهارة تصح بالماء . أكثر الناس يظنون أن

---

(1) تقدم تخريجه قريبا .

الطهارة تكون بالماء والتيمم ، وليس كذلك ، فالتيمم لا يصح إلا بعذر ، والعذر عدم الماء مطلقا ، وعدم الماء في هذا الوقت قليل جدا ، والله أكثر المطر ، ويسر وجوده . والثاني المرض ، أي عدم القدرة على استعمال الماء ، ومن تيمم بغير هذين الشرطين ترك الصلاة ، وكذلك من لا يتم الركوع والسجود ترك الصلاة . في الحديث « إذا صلى العبد الصلاة بشروطها تقوم وتشق الحجب حتى تصل إلى الله ، فإذا كملت بشروطها قبلت ، وإلا ترجع عليه مطوية كالثوب وتسقط بين يدي المصلي ، وتقول : ضيعك الله كما ضيعتني ، كما تقول إذا أحسنها : حفظك الله كما حفظتني » (1) ومن أحسن الصلاة يتولى الله أمره وأمر عياله وإذا ضيعها أشفق على عياله ، قال تعالى : ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ ومن أحسن الصلاة يأته الرزق من حيث لا يحتسب ، وفي الحديث قال تعالى للدنيا (اخدمي من خدمني وأتعبي من خدمك) (2) والصلاة أكبر العبادات ، وقد وقتها الله ، ولولا أنه وقتها ربما يتسوف عنها الإنسان إلى وقت آخر ، فيجب أن نصلي صلاة الظهر ، والعصر ، والمغرب ، والعشاء والصبح ، ونؤديها في أوقاتها . وجعل لكل صلاة وقتا مختارا وضروريا ، وجعل لها داعين ، بخلاف باقي القواعد ، والصلاة إذا أتى وقتها تسمع المؤذنين ، يؤذنون ، والصلاة تجب على الإنسان من وقت بلوغه إلى الممات ولا يوجد وقت تسقط عنه : فإذا بلغ وعقل يأتي بها قدر ما تيسرت عليه ، وإذا قدر على القيام صلاها قائما وإلا فيصليها مستندا وإلا يصليها جالسا غير مستند ، وإلا يصليها جالسا مستندا ، وإلا يصليها مضطجعا بيمناه أو يسراه ، وإلا مستلقيا . وعلى أي حال لا تسقط عنه مادام يعقل ، إلا عن المرأة أيام الحيض أو النفاس ، أو المجنون ، ولذلك قال النبي ﷺ : « العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة » (3) ، فاجتهدوا في إقامتها ، والإنسان إذا حسب الدقائق التي يصلي فيها

---

(1) أخرجه الطيالسي في مسنده 80/1 ، والطبراني في المعجم الأوسط 263/3 ، والبيهقي في شعب الإيمان 143/3 .

(2) ذكره أبو نعيم في الحلية 194/3 ، والقضاعي في مسند الشهاب 325/2 . وهو حديث موضوع كما ذكر الصغاني في تذكرة الموضوعات 1372/1 ، والألباني في السلسلة الضعيفة 68/1 ، 218/2 .

(3) أخرجه الترمذي 5/ 13، حديث رقم 2621 ، والنسائي 231/1 ، حديث رقم 463 ، وابن ماجه 332/1 ، حديث رقم 1079 ، وأحمد في مسنده 346/5 .

وجدها قليلة ، وتلك الدقائق خير من أوقاته كلها والنهار اثنتا عشرة ساعة ، والليل كذلك ، فيصلي في تلك الدقائق ، وفي غير أوقات الصلاة يتصرف كيف شاء ، وكل الصلاة يقدر الإنسان أن يأتي بها في خمس دقائق ، والله الذي خلقك ، وأحياك ، ورزقك ، وسيميتك ويحييك ما أوجب عليك إلا هذه السويعات فإذا لم تفعل ما نقول لك فلا حجة لك .

(ثم الصيام) شهر للصيام واحد في السنة أوجب الله شهرا واحدا فقط ، وفي هذا الشهر ما أوجب عليك إلا النهار فقط فإذا ما أوجب عليك إلا نصف الشهر ، إذا فعلته امتثلت أمره ، وإلا فليس لك حجة . علمنا الله بأنه أوجب الصيام علينا كما أوجبه على الأمم قبلنا ، قال تعالى : ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ وفي الحديث « من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » [1] وفي رواية « وما تأخر » [2] والصائم يجب عليه أن يترك الفواحش « ومن سبه فليقل له : أنا صائم أنا صائم ، لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك » [3] .

فجزاء الصوم ليس له حد فيوم واحد من أفطر فيه بغير عذر فصوم الدهر كله لا يقضيه ، (روي) (أن إنسانا أفطر يوما عمدا وأخبر النبي ﷺ ، فقال له النبي ﷺ : صم شهرين متتابعين ففعل وأخبر النبي ثانيا أنه فعل فقال له أيضا : صم شهرين متتابعين ففعل وأخبر النبي ثالثا أنه فعل فقال له : صم شهرين متتابعين ، ففعل ومات بعد ذلك فأخبر النبي ﷺ أنه مات ، فقال ﷺ : مات وعليه صيام ذلك اليوم) [4] .

---

(1) أخرجه البخاري 22/1 ، 672/2 ، 709 ، حديث رقم 38 ، 1802 ، 1910 ، ومسلم 1/ 523، حديث رقم 760 ، وأبو داود 436/1 ، حديث رقم 1372 ، والترمذي 67/3 ، حديث رقم 683 ، والنسائي 156/4 ، 157 ، حديث رقم 2202 ، 2203 ، 2204 ، 2205 ، وابن ماجه 420/1 ، حديث رقم 1326 .

(2) أخرج هذه الرواية أحمد في المسند 2/ 385، والطيالسي في مسنده 311/1 .

(3) أخرجه البخـاري 2/ 673، حديث رقم 1805 ، ومسلم 806/2 ، حديث رقم 1151 ، والنسائي 164/4 ، حديث رقم 2217 ، وابن ماجه 539/1 ، حديث رقم 1691 .

(4) أخرجه الدارقطني في سننه 208/2 ، والطبراني في المعجم الأوسط 131/8 ، وأبو يعلى في مسنده 89/10 .

(ثم الزكاة) أما الزكاة والحج فلا يقدر عليهما إلا القليل ، من ترك الزكاة والحج فلا نكفره ، وأما الصلاة والصوم فمن تركهما كفر وأثم ، ومن أدى هذه الأركان فهو المسلم التام ، وهو من قال : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وصلى وصام وزكى وزار بيت الله ، ومن فعل بعضا وترك بعضا فهو المؤمن الضعيف « والمؤمن القوي أفضل من المؤمن الضعيف » [1] والإنسان يجتهد ليكون مؤمنا قويا ، والقوي هو الذي اختار لنفسه الآخرة ، والدنيا قبيحة حسنة ، قبيحة لمن أفسدها بالكفر والمعاصي ، حسنة لمن أحسنها بالإيمان والطاعات . روي أن إنسانا سب الدنيا فقالت الدنيا : ويلك ألست بمطية للآخرة . والدنيا فيها مساجد ، والمساجد يعبد الله فيها ، وفيها متجر الأولياء . وإذا أنفق المؤمن شيئا ضاعفه الله سبعمائة منه ، كما قال تعالى : ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ﴾ ولذلك قلنا الدنيا هي محل تجارة أولياء الله ويجدون لذلك ما يجدون ، ومن كان في الدنيا يعمل فيها عمل من يعيش . ويعمل عمل الآخرة كأنه يموت اليوم ، ومن فعل ذلك هو الذي يجد النصيب اليوم وغدا ، فعلى العبد المسلم أن يغتنم ساعته قبل الموت ، لأن الإنسان على أربعة أقسام : الأول من الجنة إلى الجنة جعلنا الله منهم ، والثاني من النار إلى الجنة ، والثالث من الجنة إلى النار ، والرابع من النار إلى النار ، فالذي يكون من الجنة إلى الجنة ، من كان غنيا في الدنيا وهو مسلم ، فهو من الجنة إلى الجنة . والذي يكون من النار إلى الجنة من كان فقيرا في الدنيا وهو مسلم ، فهو من النار إلى الجنة . والذي يكون من الجنة إلى النار من كان غنيا في الدنيا ومات كافرا ، فهو من الجنة إلى النار ، ومن كان من النار إلى النار من كان فقيرا في الدنيا ومات كافرا ، فهو من النار إلى النار كل ما يزول أمره يسير ، الفقير والغني كل واحد منهما لا يدوم ، والواحد من هذين الأمرين لا يحجب الإنسان عن ربه ، لا يفتقر فيترك طاعة الله ، ولا يستغني فيترك الطاعة لذلك ، الغنى ظل زائل ، والمال إذا اجتمع عند الإنسان فلابد له من أحد

---

(1) أخرجه مسلم 2052/4 ، حديث رقم 2664 ، وابن ماجه 31/1 ، 2/ 1395، حديث رقم 79 ، 4168 ، وأحمد في مسنده 366/2 ، 370 .

أمرين : إما يذهب المال ويفتقر هو ورأينا ذلك كثيرا ، وإما أن يموت ويترك المال ، فلابد من أحدهما ، فإذا اعتبرت وجدت الفقر والغنى سواء ، وما كان للغني إلا المأكل والمشرب والملبس والمضجع والمنكح والتنفس في الهواء ، وكل ذلك يوجد للفقير ، كذلك الأمراء ما وجدوا أعلى من هذا .

(حكاية) حكي أن أميرا من الأمراء ملك كثيرا من المال ، والعدد ، فأتاه رجل صالح فطلب الأمير الوعظ منه ، وقد أتي الأمير بإناء فيه شراب من ماء ، فأمره الصالح بإمساك إناء الماء حتى يكلمه ، فسأله هل إذا ظمئت ولم تجد ماء تشربه إلا إذا دفعت جميع ما عندك هل تدفعه ؟ قال : نعم ، فقال : هل إذا شربت هذا الماء ، وأمسك الله عليك البول وصار لا يأتيك البول إلا إذا أعطيت جميع ما عندك لا تدفع؟ قال : بل أدفع ، فقال : الملك الذي لا يفضل ماء إناء واحد لا يمنعك عن طاعة الله ، كلنا إذا تنفس في العافية أو خطا خطوة في عافية ، فهذه نعمة من الله ، والله أوجدك وخلقك خلقة فائقة ، وصار يحفظك في حضرك وغيبتك ، ومنامك ويقظتك وحركتك وسكاناتك وفي جميع ساعاتك ، قال تعالى ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾ لم صار لا يراقبه . ولما صار سيدنا علي خليفة أتاه الناس ليحفظوه ، فقال لهم : ما تفعلون بي ؟ قالوا : نحفظك قال : تحفظونني مما في السماء أو مما في الأرض ؟ قالوا : بل نحفظك مما في الأرض ، قال : انصرفوا عني ، فالذي ينزل ما في السماء هو الذي أنزل ما في الأرض ، فالله ما ترك شيئا إلا ذكره في القرآن قال تعالى : ﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ﴾ فالمسلمون جماعة واحدة ، ويد واحدة كإنسان واحد ، ولا يكونون كذلك إلا بإكرام الكبار ورحمة الصغار ، فالله تعالى أمر النبي أن ينزل الناس منازلهم ، فالكبير يجعله كبيرا ، والصغير صغيرا ، قال النبي : « ثلاثة لا يحقرهم إلا منافق: أمير عادل ، وشائب في الإسلام ، وعالم عامل » (1) كل واحد من الثلاثة متصف بصفة من الله ، والأمير لا يكون أميرا إلا بالاتصاف باسمه تعالى الملك . فالله هو الملك ، الله الذي

---

(1) ورد بلفظ : « ثلاثة لا يستخف بحقهم ... » أخرجه الطبراني في المعجم الكبير 202/8 ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد 127/1 .

أنزله هذه المرتبة هو الذي أكرمه بها ، فإذا احتقرته حقرك الله بواسطة هذه المرتبة ، ومن اتصف بصفة العلم إنما اتصف باسم الله تعالى العليم ، الله هو العليم ، فوجب إكرام العالم باتصافه بهذا الاسم ، ومن اتصف بالكبر اتصف بصفة اسم الله تعالى الكبير ، الله هو الكبير وإذا أكرمت الشائب الكبير أكرمت الله . الرابع الغني ، فالأغنياء خزنة مال الله ، وجعل الله أموالهم بأيديهم ، كالعبد الذي وكله سيده على ماله ، وهؤلاء كلهم يحب الله إكرامهم ، وإكرامهم إكرام لله ، قال تعالى ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ اختلفوا هل الفقير الصابر أفضل ، أم الغني الشاكر ، فمن يذكر الله ويصلي ويصوم ويزكي ويحج ويصبر ويترك الحسد حتى مات على ذلك يكون غنيا في الآخرة ، ومن كان غنيا ولم يمنعه غناه عن طاعة الله ، وعلم أن ما عنده رزق من الله تعالى إليه ، هذا فائق للناس . ظاهر الناس مختلف وأما باطنهم فمتحد ، فالإنسان يكون وليا وتجده فقيرا في الظاهر ليس عنده شيء ، فهذا ما نقصه فقره شيئا من درجاته ، وكذلك التاجر ربما يكون وليا في غناه ، وكذلك الأمير يكون وليا وهو في دولته ، كل صناعة يوجد فيها الأولياء ، نحن المسلمون نشكر الله في هذا الزمان الفاسد ، والنبي ﷺ وعدنا بإتيان هذا الزمان الفاسد ، وبشرنا به بقوله : « يأتي زمان للعامل فيه ثواب خمسين ، قالوا : منا يا رسول الله أو منهم ؟ قال : بل منكم » (1) والزمان ها هو ، الكفار قسموا الدولة كلها ، أمير أميركيه ، إنجليزيه ، فرنساويه ، روسيه ، والمسلمون ليس عندهم شيء إلا هذا الدين ونشكر الله بما أبقى لنا من الدين ، أي شيء بقي عندنا ، الأمراء كأمير كنو الحاج عبد الله وأمثاله يحكمون بيننا بالشريعة ويصلون ويصومون ويحجون ، ولو كان بدلهم يكون الأمر أشد مما نرى ، كونوا جماعة واحدة ، تقووا بأميركم ويتقوى أميركم بكم ؟. فإذا لم تتقووا بالأمراء يتقوى الكفار بكم ، ويكون الحكم بالكلية حكمهم ، وأنتم إذا لا تكونون أمراء ، ولا يولونكم الإمارة كما تزعمون وهذه هي الدسيسة التي يدفنونها لكم وأنتم لا تعلمون ، الإنسان لا يقول كل ما علم ، ولولا ذلك لبينت لكم ، فاتبعوا الله والرسول والأمراء ، المسلم يجب عليه حب

(1) ورد أيضا بلفظ : « يأتي على الناس زمان الصابر منهم على دينه له أجر خمسين منكم ، قلنا : يا رسول الله ، خمسين منا ؟ قال : خمسين منكم » . أخرجه ابن عدي في الكامل في الضعفاء 113/6 .

الأمير وتكريمه وطاعته ، فمدة دوام الأمراء بيننا يكون الخير ، فإذا زالوا نزل أمر شديد ، قال النبي ﷺ : « أحبوا الله بما يغذوكم به من نعمة ، وأحبوني بمحبة الله في » [1] والمؤمن لا يكون مؤمنا إلا بمحبة الله والرسول والمسلمين كونوا متحابين في الله ، تكونوا في ظل الله يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله .

(أما الورد التجاني) فمن أخذه لا يجوز له أخذ غيره قال تعالى : ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ وفي الإنسان طبائع قبيحة ، وهذه الطبائع مرض ، والمريض له اختيار في أمرين ، إما طلب الشفاء أولا ، والعاقل يطلب شفاء نفسه من هذه الأمراض الباطنة من الأشياخ الذين يعرفون الله بالله ، ويعلمون آداب الحضرة ويؤدون حقوقها ، ويوصلون العباد إليها ، وذلك طالب الشفاء يأخذ الأوراد ، ويتبع المشائخ في الطريق ، من التجانية والقادرية والشاذلية ، وغيرها ، وهذه الطرق كثيرة كعدد الأنفاس ، كلها موصلة إلى الله ، والتجانية أعلاها ، وهي التي كنت فيها ، وهي التي عرفتها ، وهذه الأوراد التجانية وغيرها ينكرها الناس ، ويقولون إنها بدعة ، وليس كذلك فالبدعة ما لم يأت في القرآن أو الحديث ولم يعمله النبي ﷺ وأصحابه ، والورد ما هو إلا الاستغفار والصلاة على النبي والهيللة ، والاستغفار قد أوجبه الله على العباد ، قال تعالى ﴿وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ﴾ والنبي ﷺ قال : « إنه يستغفر الله في كل يوم سبعين مرة وفي رواية مائة مرة » [2] والصلاة عليه ، قال تعالى : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ﴾ وقال النبي ﷺ : « من صلى علي مرة صلى الله عليه بها عشرا » [3] وصلاة الله على العبد مرة واحد لا يوجد أفضل منها ، والمصلي على النبي لا تعلم نفس ما أخفي له من قرة أعين ، ولا إله إلا الله قد ذكرنا فضلها آنفا ، وبقي قول وهو من المنكر أن يقول كيف قيد الشيخ لكم الذكر في الصباح والمساء ، وكيف عدد التقييد ؟ قلت : قال تعالى : ﴿وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةً

---

(1) أخرجه الترمذي في سننه 5/ 664، حديث رقم 3789 ، والحاكم في المستدرك 162/3 ، والبيهقي في شعب الإيمان 366/1 ، 130/2 .

(2) تقدم تخريجه .

(3) أخرجه ابن حبان في صحيحه 186/2 ، 195 ، والطيالسي في مسنده 283/1 ، والطبراني في المعجم الأوسط 153/3، 162/5 .

وَأَصِيلًا﴾ والشيخ هو الذي وظف العدد لأنه طبيب النفس ، والطبيب هو الذي يعرف كيفية المرض وقدر دوائه ، والإنسان سريع الملل ، فإذا شدد عليه بلا عدد يسأم ، وربما يذكر يسيرا ، ويظن أنه ذكر كثيرا ، والتجاني رتب هذه الأنواع الثلاث مائة مائة في الصباح ، ومائة مائة في المساء ، وغير التجانية لم يذكر في هذا المساء الاستغفار مائة ولا الصلاة على النبي مائة ، ولا الهيللة مائة ، والتجاني إذا لم يعرف ذلك العدد لا يذكر الله مثل هذا الذكر الذي يراه قليلا ، وهو أشد تأثيرا في النفس ، وهذه الطريقة هي أفضل الطرق كلها ، ومن أخذ الورد التجاني تغفر جميع ذنوبه ، وتقضى جميع تبعاته ، ويدخل الجنة بغير حساب ، والمنكر يرى عظم ذلك ، ويقل العمل ، ألم يعلم أن الاستغفار من المكفرات ، والصلاة على النبي كذلك ، ولا إله إلا الله كذلك ، ومن داوم على هذا تكفر ذنوبه ، والشيخ القائل ما تقدم صادق في قوله ، ويوم القيامة لا يضر إلا الذنب ، والحساب يكون من الذنب وهؤلاء لا ذنب عليهم ، وأصحاب الأوراد لا حساب عليهم يوم القيامة وقد حاسبوا أنفسهم قبل الحساب . في الحديث « حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا » [1] قال النبي ﷺ « وعدني الله سبعين ألفا من أمتي لا حساب عليهم ، فقال سيدنا عمر : فاسأله الزيادة قال : فسألته ، فزادني في كل واحد من السبعين ألفا سبعين ألفا ، فقال سيدنا عمر فاسأله الزيادة فقال : سألته ، وزادني ربي ثلاث حثيات من حثيات ربي ، قال رجل : فاسأله الزيادة ، قال سيدنا عمر : لا تسأل حثوة واحدة من الله يقصر عنها الخلائق كلهم ، فقال ﷺ : صدق عمر ، يأخذ الله قدر الحثيات حتى يقول النبي : يا رب أمتي لم تبلغ هذا القدر ، منهم من ليسوا من أمتي ، فيقول : إنما أعطيت لك ما وعدتك » [2] وهذا القدر يمكن أن يكون أصحاب التجاني فيهم ، والشيخ صادق في جميع مقاله . ورؤية النبي ﷺ يقظة ممكنة ، من أنكرها نعلم أنه ليس من أهلها ،

---

(1) أخرجه الترمذي في سننه من قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه 638/4 ، حديث رقم 2459 ، وابن أبي شيبة في مصنفه 96/7 ، وابن المبارك في كتاب الزهد 103/1 .

(2) أخرجه الترمذي مختصرا عن أبي أمامة 626/4 ، حديث رقم 2437 ، وابن ماجه 1433/2، حديث رقم 4286 ، وأحمد مطولا عن أبي أمامة في المسند 250/5 ، ومختصرا 268/5 ، وابن حبان مختصرا 231/16 ، والطبراني في المعجم الكبير 110/8 ، 155 ، 159 ، 126/17 ، 304/22 .

فأفضل النعمة الإيمان ، وكل نعمة فرع منه ، ولولا الإيمان لم يوجد شيء في الدنيا والآخرة ، قال تعالى : ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ﴾ الإسلام من الإيمان ، والولاية من الإيمان ، والقطبانية من الإيمان ، والنبوة من الإيمان ، والرسالة من الإيمان من لم يكن مؤمنا لا يكون مسلما ، ومن لم يكن مؤمنا لا يكون وليا ، ومن لم يكن مؤمنا لا يكون قطبا ، ومن لم يكن مؤمنا لا يكون نبيا ولا رسولا كل ذلك من الإيمان ، وأفضل الكرامة أن يكون الإنسان مريدا تجانيا ، نحن أتينا في القرن الرابع عشر ، ودخلنا في ضمان النبي ﷺ ، ولم ندرك زمانه ، ومن أنكر هذا فهو أجهل الناس . الإنسان جاهل لم يعلم شيئا ، والروح التي في جسدك لا تعلم منها شيئا ، ومن جهل شيئا يجعل من علمه جاهلا مثله ، وليس كذلك ، والله تبارك وتعالى أخبرنا أنه أنزل علينا الإبل والبقر والضأن والمعز ، من السماء ، قال تعالى : ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ ونحن لم نعلم كيف نزل من السماء ، ولكن نزل . نحن نرى البقر تلد بقرا ، والإبل تلد إبلا ، والضأن تلد ضأنا ، والمعز تلد معزا ، لم نعلم كيف نزول ذلك من السماء ولذلك كل ما قال النبي ﷺ نصدقه ، وهو لا يقول إلا صدقا ، ﷺ . أدعو الله أن يبارك في هذه الأرض ، ويطول عمر أميرها ، وأمرائها ، ويرفعهم إلى أعلى الدرجات ، ويحيي البلاد بهم ، ويطهر العباد بهم ، ويجعل الناس طائعين لله والرسول والأمراء ، ويجعلهم عادلين مصطفين ، ويبلغهم مرادهم ، والله قادر على ذلك جدير بالإجابة ، اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق ، والخاتم لما سبق ، ناصر الحق بالحق ، والهادي إلى صراطك المستقيم ، وعلى آله حق قدره ، ومقداره العظيم ، ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ . أهـ ليلة الأحد (28) من ذي الحجة عام : بوارق (نصرنا برقت) 1373 هـ .

مجلس في المواعظ الحسنة :

للشيخ الأكبر ، والقطب الأنور ، والغوث الأشهر ، الحاج إبراهيم ابن الحاج عبد الله التي أجراها الله على لسانه في كشنة :

بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم . ومما قاله الشيخ مولانا القطب الرباني والغوث الصمداني الحاج إبراهيم بن الحاج عبد الله التجاني بعد البسملة والحمدلة والصلصلة وشيء فاتني منه مفتتحا (بكشنة) :

(الله) تبارك وتعالى أوجد العباد ورزقهم وحفظهم في أي ساعة شاء ، لا يريد منهم شيئا إلا التشريف به ، فالعبد الطائع الذاكر لله هو الذي يتشرف به ، ولهذا خلق الخلق لينتفعوا به لا لينتفع هو تعالى عن ذلك ، والإنسان العاقل يعمل لطلب منفعة وإلا فهو عابث وعمل الإنسان بلا منفعة عبث ، والله يعمل بلا طلب منفعة ، والعبث محال عليه ، والحكمة أن تعمل عملا لمنفعة غيرك ، والله يعمل لا لنفع نفسه بل لنفع غيره ، ولذلك يقال للحكماء حكماء : لما يأتون به من الحكمة فينتفع غيرهم بها والخلق على ثلاثة أقسام : قسم ناقص لا كمال فيه ، وقسم كامل لا نقص فيه ، وقسم تارة ناقص وتارة كامل . فالذي يكون ناقصا كالدواب ناقص لا يكمل أبدا . والقسم الكامل الذي لا نقص فيه أبدا الملائكة . وبقي الذي يقبل الأمرين وذلك الإنسان . تارة ناقص وتارة كامل الإنسان أصله ناقص ويصير كاملا باكتساب ما به كمال إنسان ، كذكر الله فقط ، فوقت الذكر هو كامل ، ووقت الغفلة ناقص رجع لأصله والكمال في ذكر الله ، والنقصان في الغفلة عنه ، والله أكثر ذكره في القرآن ودعا المسلمين إليه في غير ما آية ، قال تعالى : ﴿ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾ ، وقال : ﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡۚ﴾ ، وقال : ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ ، والعبد إذا أحب ربه تجده يكثر ذكره ويتشرف بالذكر دائما ، مثاله مثال من انتسب إلى بلد تجده يشتغل بانتساب نفسه إلى ذلك البلد ويكثر ذكره دائما ويتشرف بذلك فالكنوي مثلا يقول أنا كنوي والبرناوي يقول أنا برناوي ، والكشناوي أنا كشناوي ، والزرماوي : أنا زرماوي كل يتشرف ببلده ، والذي يتشرف به حقيقة الذكر ولذلك دعانا الله تبارك وتعالى للإسلام فقال ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ وأول

الأركان في الإسلام (لا إله إلا الله) كلكم يقول لا إله إلا الله ، جددوا إيمانكم بهذه الكلمة ، من ذكرها ولو مرة واحدة خرج من ديوان الكفر إلى دين الإسلام ، من قال لا إله إلا الله مرة واحدة مصدقا خرج من ديوان الكفر إلى زمرة الإسلام ودخل الجنة ، قال تعالى : « لا إله إلا الله حصني من دخل حصني أمن من عذابي »(1) أكثروا منها ، شرف الإنسان كثرة الذكر ، فالصلاة لا مراد فيها إلا ذكر الله ، قال تعالى ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ فثمرة الصلاة الذكر ، قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ﴾ يعني أن من ذكر الله ذكره ، فإن ذكرته في جماعة ذكرك في جماعة خير من جماعتك ، ذكر الله للإنسان شرف ولا شرف فوقه ، أكثروا ذكره ، أفضل ذكر الله لا إله إلا الله قال عليه الصلاة والسلام : « أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله » (2) موسى كليم الله : طلب من الله تبارك وتعالى سرا خالصا فقال له : « قل لا إله إلا الله ، قال : كل عبادك يقول هذا ، وأنا أحب أن أخص بذكر خاص ، قال : قل لا إله إلا الله ، قال : يا رب أحب أن أخص به فقال : أما تعلم أن السموات السبع والأرض والعرش والكرسي لو جعل في كفة ولا إله إلا الله في كفة رجحت لا إله إلا الله » (3) ، أكثروها من أكثرها يجد فائدتها .

وبعدها (الصلاة) فالعبد يقيم الصلوات الخمس وهي أكبر شيء يعبد الله تبارك وتعالى به ، والدليل على ذلك أن كل فريضة فرضها الله في هذه الأرض ، والصلاة لما أراد الله أن يعبد بها أسرى بعبده وأوجبها في السماء فصارت الصلاة معراجا ، والعبد بالصلاة يعرج حتى يكون قريبا من الله ، قال رسول الله ﷺ : (العبد أقرب ما يكون من ربه في الصلاة) (4) قال تعالى ﴿وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب﴾ كما عرج النبي ﷺ كذلك نعرج نحن بها ، والصلاة وقتها الله بقوله ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ

---

(1) تقدم تخريجه .

(2) تقدم تخريجه .

(3) تقدم تخريجه .

(4) أخرجه مسلم 350/1 ، حديث رقم 482 ، وأبو داود 1/ 294، حديث رقم 875 ، والنسائي 2/ 226 ، حديث رقم 1137 .

كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾ وأمر بإقامتها بقوله ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ وبأدائها في الجماعة بقوله ﴿وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ وبالمحافظة عليها بقوله ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾ وبالخشوع بقوله ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ﴾ وبالمداومة عليها بقوله ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ﴾ والنبيون ومن تبعهم ، جعلنا الله منهم فعلوا كل ذلك فذكرهم بقوله ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ﴾ . وجماعة امتنعوا ورأسهم أبو جهل والذين تبعوه فدخلوا النار والذين دخلوا النار سألهم وقال لهم ﴿مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ﴾ والصلاة من الدين بمنزلة الرأس من الجسد ، ومن حافظ على الصلاة حافظ على الدين ، ومن ضيعها ضيع الدين ، ولا ينال ما عند الله إلا بالصلاة قال تعالى : ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ﴾ الآية ، وكل من أقام الصلاة أغناه الله فقيرا أو غنيا ، ومن ضيع الصلاة أشفقوا على عياله ، حافظوا على الصلاة ، حافظوا على الصلاة ، حافظوا على الصلاة ، والإنسان إن عسر عليه أن يكون مستقيما فليحافظ على الصلاة إذا استقام .

(حكي) أن رجلا فاسقا كان يحب النساء وجاره له امرأة جميلة راودها ، فقالت : أجرتي خفيفة ، فقال : ما هي ؟ قالت : صل مع زوجي أربعين مرة وراءه وتأتي أفعل لك ما تريد فقبل هذا ولزم زوجها وما مرت الأربعون يوما حتى أتت إليه قال لها : لا حاجة لي فيك .

(الثاني) الصيام في وقته ، قال عليه الصلاة والسلام : « أتاكم شهر مبارك جعل الله صيام يومه فريضة وقيام ليلة نافلة من أدى فريضة فيه كان كمن أدى سبعين فريضة ، والصوم صبر ، والصبر جزاؤه الجنة من فطر صائما ، يعني من أطعمه ، جزاؤه الجنة وله ثواب الصائم بغير نقص ثواب الصائم ، قالوا : ليس كلنا يقدر على إطعام الصائم قال : كل من أعطى الصائم تمرة أو شربة ماء فكأنما أطعمه » (1) .

(الثالث) إخراج الزكاة ، ومن أراد بقاء رزقه فلينفق منه (حكي) أن رجلا سأل ربه الرزق ، فأوحى الله لنبيه أن قل لعبدي إن أعطيته الرزق في نصف عمره نصفه

---

(1) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه 191/3 ، والهيثمي في زوائد مسند الحارث 412/1 ، والبيهقي في كتاب فضائل الأوقات 148/1 ، طبعة مكتبة المنارة – مكة المكرمة ، تحقيق عدنان عبد الرحمن مجيد القيسي .

فقير ونصفه غني أيهما يتقدم فشاور زوجته ، فقالت : يأتي الرزق الآن ، فقال لها : الفقر بعد الرزق صعب ، قالت : لا تخالفني فقال : يأتي الرزق فلما أتى قالت المرأة له : كلما خيطت ثوبا فافعل مثله صدقة وكلما فعلت شيئا فافعل مثله للفقراء فدام الرزق لذلك . قال تعالى ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ .

(الولاية) لا علامة تعرف بها بل لا يعرف الولي إلا الولي ، ولو كان لها علامة لكان حسن عمله لله وحسن معاملته مع كل مخلوق ، لأنه يعامل الخلق معاملة سيدهم فقط يعلم أن الخلق آلة يحركها الله ، إن قال لك إنسان شيئا قبيحا تعلم أنه ما فعل شيئا ، والفاعل الله . قال لي رجل ذات يوم : لماذا إذا أفسد عليك إنسان لا تفعل له شيئا ؟ قلت له لأمرين : إما كفر وإما ظلم إن قدرت أنه الفاعل فجازيته فهذا كفر ، وإن علمت أن الفاعل الله وجازيته ظلمته . طبيعتان شر : سوء الظن بالحق والخلق ، ورؤية الفضل على الغير ، إذا رأيت مخلوقا إما أن يكون أكبر منك أو أصغر أو أفقر أو أغنى أو أعلم أو أجهل ، فإذا رأيت أكبر منك فقل هذا أفضل مني قد فعل كثيرا من الطاعات ما لم أفعل ، وإذا رأيت أصغر منك ، فقل هذا أفضل مني ما فعل كثيرا من الذنب لصغر سنه ، وإذا رأيت أفقر منك فقل هذا أفضل مني ما اكتسب كثيرا من الإثم في المعاملات لقلة ذات يده ، وإذا رأيت أغنى منك فقل هذا أفضل مني قد أنفق كثيرا من ماله ما لم أقدر عليه ، وإذا رأيت أعلم منك فقل هذا أعلم مني ، والأعلم يكون أتقى بدليل ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ وهكذا تؤول في سائر المخلوقات . الولي من صحبه يكون وليا ولذلك لما صحبنا الشيخ رضي الله عنه صرنا أولياء ، قال ابن عطاء الله : سبحان من لم يجعل الدليل على أوليائه إلا من حيث الدليل عليه ولم يوصل إليهم إلا من أراد أن يوصله إليه .

سئل حرازم التجاني رضي الله عنه : ما معنى ولم يوصل إليهم إلا من أراد أن يوصله إليه ؟ رأينا من صحب بعضهم لم يصلوا ، قال : لو وصلوا إليه لوصلوا إلى الله بل إنهم أتوا الحاجة وكل من أتى لولي لحاجة لا يصل إلا إلى حاجته لا لله ، وهذا لو عاش معه مائة سنة لا ينتفع به إلا بحاجته . والذي أتى إليه لله وعلم أن هذا العبد ولي لله ولانتسابه يكون واصلا لله من صحبه لذلك يصل إلى الله تعالى لا محالة ، ومن لم يتبع الأولياء يكون حاسدا لهم ، والحسود لا يسود . الحسد يأكل رزق

الإنسان والحسود أراد إقلاع الألوهية والإنسان خلقه الله وجعل له طبيعة وهو لا يحب أن يكون تابعا بل متبوعا ولذلك تجد الإنسان لا يتبع أحدا إلا لمنفعة ، فإذا زالت ترك الاتباع ، كل حسود بخيل . الحاسد لا يتبعه أحد ولا يضر إلا نفسه ، تجد كل ما يفعله الحاسد يرجع على نفسه . الحاسد هو ظالم فيكون كأنه المظلوم .

ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من الحاسد . والحسد والغيبة والنميمة والزنا والرياء والعجب طبائع تفسد الإنسان وقد قال تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ فأخذنا الأوراد واتبعنا المشايخ ولم قال ما الإنسان إلا مريض لكن طلب شفائه ليس بواجب عليه شرعا إلا أنه كان يريد العافية يجب عليه طلب الطبيب إن أراد الشفاء وإن كان لا حاجة له فيه يجلس بلا طلب شيء من الدواء والطبيب ، ولهذا أخذنا الأوراد من المشايخ . قال التجاني رضي الله عنه : الصحبة للأولياء لأمرين : الأول تعلم أن هذا عبد الله يعلم آداب الحضرة فتصبه لتكون من أهل حضرة الله . والثاني تعلم أنه ولي لله ومعناه صديقه وأنت تحبه لله ولذلك صاحبته وأخذت عنه ، وقد صاحبنا المشايخ للوصول إلى الله ، والطبائع القبيحة التي تقدم ذكرها وغيرها تزول بذلك ، ونجد الإخلاص بمصاحبتهم في العبادة وفق ما قال تعالى : ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ الإخلاص إخراج السوى من القلب ، والعبد إن عمل وظن أنه منه إلى الله ففيه علل ، وإن عمل وعلم أنه من الله إلى الله في الله فهو الخالص لله . قال علي كرم الله وجهه : البارحة صليت مائة ركعة فقال له غيره : ألا تخاف الرياء ؟ قال : كيف الرياء بعمل الخير ؟ قال عليه الصلاة والسلام : « افترقت اليهود إلى إحدى وسبعين فرقة وافترقت النصارى إلى اثنتين وسبعين فرقة ، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة » (1) الحديث . وتلك الضالة فيها جبرية وقدرية ، فالنجاة في الجمع بين عقيدتيهما : الجبرية تقول كل عمل العامل فعل الله لا العبد فغلطوا لذلك ، والقدرية تقول الله خلقنا ونحن خلقنا عملنا وذلك ضلال والعارف يجمع بينهما فيعتقد أن الفاعل حقيقة هو الله وينسبه لنفسه ظاهرا مجازا ، فكما أخرج الله للإنسان من بين

---

(1) أخرجه أبو داود في سننه 608/2 ، حديث رقم 4596 ، وابن ماجه 1322/2 ، حديث رقم 3992 ، وأحمد في المسند 332/2 ، وابن حبان في صحيحه 140/14 ، والحاكم في المستدرك 47/1 ، 217 .

فرث ودم لبنا خالصا كذلك أخرج للعارف من بين دم الجبرية وفرث القدرية عملا خالصا في الظاهر قدري ، في الباطن جبري ، كل عمل محمود ينوي أنه يفعله ويفر من القبيح ، العبد لما كان عاجزا أعانه الله بالخصلتين التوبة وحسن النية ، والعبد ولو بلغ ما بلغ لا يقدر أن يعمل في وقت مضى وقد مضى ما مضى ، أيكم يقدر أن يصلي ركعة واحدة أمس ؟ أيكم يقدر أن يصوم صوم أمس ؟ لا يقدر العبد أن يدرك ما فات إلا بالتوبة . التوبة هي التي تعمل في وقت مضى ، تقدر أن تجلس هذا المجلس وتتوب إلى الله من وقت نشأتنا إلى وقتنا هذا ، نعلم أن التوبة لا مثال لها ، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ، هذا لا يقدر عليه إلا التوبة أعني العمل فيما مضى ، والعبد كذلك عاجز عن العمل في وقت مستقبل ، ليس أحد يقدر أن يعمل في غد وهو اليوم إلا النية الصالحة ، تقدر أن تعمل في وقت مستقبل ، يقدر الإنسان أن يجلس وينوي أنه لا يعمل إلا صالحا مدة عمره ، هذا معنى حديث « نية المؤمن أبلغ من عمله » [1] وحاسد الأولياء يعاديهم ففي الحديث القدسي : « من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب » [2] وربما تجد إنسانا مسكينا لا تعلم أهو الخضر أم هو قطب الوقت ؟ بعض الأولياء فقراء وبعضهم أمراء ، وبعضهم أصحاب الحرفة : بناء خياط حداد ذكور إناث أصحاب ثياب جديدة وخلق يأكلون ويشربون كيف يعرفون ؟ فيهم مجتهدون في العبادة وفيهم مقصرون كلهم ليس في قلوبهم إلا الله ، إذا كان الإنسان ليس في قلبه إلا الله يكون ولي الله ولذلك لما قال العراقي بيتا أشكل على أهل زمانه ، قال : انظروني تنظروه وهو حاضر عندي ، والمعنى استغرق في ذكر الله والذي استغرق في الذكر لا يخطر في قلبه خاطر إلا ذكر الله سواء في العبادة أو غيرها وكل ذلك ذكر الله ، وذكر الله هو المنتهى .

﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ أهـ

تم لتسع عشرة خلت من شوال عام 1372 هجري . بوارق نصرنا برقت .

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير 185/6 ، والبيهقي في شعب الإيمان 342/5 ، 343 ، وأبو نعيم في الحلية 326/2 ، 255 ، والقضاعي في مسند الشهاب 119/1 .

(2) تقدم تخريجه .

مجموع ثلاث أجوبة
لشيخ الإسلام الحاج إبراهيم نياس

1 - جواب الشيخ في جواز التلاوة في راديو .

2 - جواب من أنكر التلاوة في راديو .

3 - رد الشيخ على من أنكر التلاوة في راديو .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۝ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ . القائل : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾ ، ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ، ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ ، ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ . والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله ﷺ ، من قال : « نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها وأداها كما سمعها » (1) . القائل : « بلغوا عني ولو آية » (2) . القائل : « إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر » (3) . وعلى آله وصحابته والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد : فقد وقفت على سؤال وجهه إليَّ علماء كنو ، أرشدنا الله وإياهم ، وهو باختصار : (هل يجوز تلاوة القرآن والعلوم الشرعية في هذه الآلات المحدثة في العصر الجديد من مكبرات ومسجلات ومذياعات أم لا ؟)

فأجبتهم ، والله الموفق للصواب وإليه سبحانه المرجع والمئاب :

إن البدعة قسمها العلماء خمسة أقسام كأقسام حكم الشرع : واجبا ومندوبا وجائزا ومكروها ومحرما . فما كان عونا في البر ووسيلة إلى الخير وعلى تبليغ رسالة النبي ﷺ وإقامة شرائع الإسلام إلحقوه بالواجب ، وما كان وسيلة إلى الخيرات إلحقوه بالمندوب ، وما كان ليس فيه مضرة للدين إلحقوه بالقسم الجائز ، وما فيه إماتة سنة إلحقوه بالمكروه ، وما فيه ضلالة وفساد إلحقوه بالمحرم .

وهذه الأشياء المحدثة في العصر الحاضر إن لم نلحقها بالواجب فلا أقل من إلحاقها بالمندوب . فإن العلماء جعلوا كتب المصاحف ونصب المدارس لنشر العلم

---

(1) أخرجه أبو داود 346/2 ، حديث رقم 3660 ، والترمذي 33/5 ، 34 ، حديث رقم 2656، 2657 ، 2657، وابن ماجه 84/1 ، 85 ، حديث رقم 230 ، 231 .

(2) أخرجه البخاري 1275/3 ، حديث رقم 3274 ، والترمذي 40/5 ، حديث رقم 2669 .

(3) أخرجه البخاري 1114/3 ، 1540/4 ، 2436/6 ، حديث رقم 2897 ، 3967 ، 6232، ومسلم 1/ 105، حديث رقم 111 .

وكتب الحديث وطبع الكتب بالمطبعة المحدثة . وطبع المصاحف من الواجب والمندوب ، وقد حدث في الزمن الحاضر هذه المسجلات والمكبرات والإذاعات وفيها وسيلة وعون على نصرة الدين ، ألا ترى الحجاج الذين يزداد عددهم في كل عام والحمد لله - كيف أمكنهم الاجتماع لصلاة الجماعة خلف إمام واحد بسبب المكبرات التي حدثت في المسجد الحرام ، فالوسيلة إلى الطاعة طاعة .

وقد رأينا كيف صارت هذه السفن وهذه السيارات والطائرات والمواصلات والتلفونيات وغيرها عونا للمسلمين على دينهم ، والأعمال بالنيات ، والمؤمن يلتمس أحسن المخارج ، والعلماء مكلفون بالتيسير والتبشير لقوله عليه الصلاة والسلام : « يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا » (1) . وما عمت به البلوى يلتمس له وجه شرعي ، وأمة النبي ﷺ : « لا تجتمع على ضلالة » (2) .

وفقنا الله وإياكم لما يحب ويرضى وداوى بمنه قلوبنا المرضى والسلام .

* * *

---

(1) أخرجه البخاري 38/1 ، 2269/5 ، حديث رقم 69 ، 5774 ، ومسلم 1358/2 ، 1359 ، حديث رقم 1732 ، 1734 .

(2) أخرجه أبو داود 500/2، حديث رقم 4253 ، والترمذي 466/4 ، حديث رقم 2167 ، وابن ماجه 1303/2 ، حديث رقم 3950 .

2 - جواب من أنكر التلاوة في راديو

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على النبي الكريم من أمير زكزك جعفر بن إسحاق رحمه الله : سلام وإكرام واحترام إلى أمير كنو الحاج محمد السنوسي .

أما بعد :

فقد وقفنا على كتاب تطلب رأينا في قراءة القرآن في راديو اجتهدنا في طلب الحجة غاية الاجتهاد في الكتاب والسنة والإجماع والقياس الصحيح فما وجدنا فيها نصا نعتمد عليه في الجواز ، ولكن رأينا أقوال بعض العلماء عاصرنا بعضهم أفتى بالتحريم تعظيما لكلام ربنا من الإهانة ، لأن تلاوته في راديو يؤدى إلى قلة تعظيمه عند العوام ، وقلة تعظيمه يؤدى إلى الإهانة ، وإهانته كفر ، ولذلك منعوه سدا للذريعة . وبعضهم أفتى بالجواز واحتج بقول الله تبارك وتعالى : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ ، ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ، ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ، مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ ، ثم احتج بقوله عليه الصلاة والسلام : « نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها وأداها كما سمعها (1) ، وقوله : « بلغوا عني ولو آية » (2) ، وقوله : « إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر » (3) ، كل هذه النصوص ليست واردة في قراءة القرآن في مسالك اللهو وأهله ، ولكنها وردت في أمور شتى لسنا بصددها . ولذلك لم نرها حجة لقراءة القرآن في راديو . قال أحمد الصاوى في تفسير القرآن في آداب تلاوة القرءان منها : لا يقرأ القرآن بألحان الغناء كلحون أهل الفسق . ومنها أن لا يقرأ في الأسواق وفي مواطن اللغط ومجمع السفهاء ولقوله عليه السلام : « لا تضعوا كتاب الله إلا موضعه » (4) .

---

(1) تقدم تخريجه في الرسالة الأولى قريبا . (2) تقدم تخريجه في الرسالة الأولى قريبا .

(3) تقدم تخريجه في الرسالة الأولى قريبا .

(4) أخرجه الحكيم الترمذي عن عمر بن عبد العزيز . انظر : كنز العمال 1012/1 ، حديث رقم 2875 .

وبحثنا غاية البحث ولم نجد ضرورة تدعو إلى قراءة القرآن بواسطة راديو في كل موضع من المواضع ، ولم نر أجرا لمن قرأ القرءان في راديو بل له أجر على تركه ، لأنه ترك البدعة لقوله عليه الصلاة والسلام : « كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار » [1] ، وقوله عليه السلام : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » [2]، ولذلك لا نرضى بقراءة القرآن في راديو لتعظيم كتاب الله من الإهانة وما يؤدي إليها ونيتنا في ذلك كله تعظيم كتاب الله لا تشديد على العباد وحجتنا الشريعة الأخذ بالأصل إذا لم نجد نصا في الكتاب والسنة ولا إجماعا ولا قياسا صحيحا أخذنا بالأصل وتركنا الأمر على أصله قراءة القرآن بلا واسطة آلة من آلات اللهو كراديو وغيرها فالحق أحق أن يتبع والصدق حقيق أن يسمع :

ولا يطاع عالم في الباطل   والحق مقبول ولو من جاهل

والله الموفق للصواب وإليه سبحانه المرجع والمئاب .

* * *

---

(1) أخرجه مسلم 592/2 ، حديث رقم 867 ، وأبو داود 610/2 ، حديث رقم 4607 ، والنسائي 3/ 188، حديث رقم 1578 ، وابن ماجه 15/1 ، 17 ، 18 ، حديث رقم 42 ، 45 ، 46 .

(2) أخرجه البخاري 959/2 ، حديث رقم 2550 ، ومسلم 1343/3 ، حديث رقم 1718 .

بسم الله الرحمن الرحيم

3 - رد الشيخ على من أنكر التلاوة في راديو

كنو 30 - 12 - 1373

الحمد لله وكفى وسلام على عباد الله اصطفى .

فخامة أمير المؤمنين ، وناصر سنة خير المرسلين ، أمير كانو الحاج سنوسي ، حفظكم الله ورعاكم وأيدكم ونصركم ، وأراكم الحق حقا ورزقكم اتباعه ، والباطل باطلا ورزقكم اجتنابه .

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته :

لقد وقفت على رسائل عديدة بعثها لكم بعض المنتسبين للعلم كثر الله أمثالهم ، وفرحت بوجود من يتصدى لهذا وكلهم يتكلم في سؤالكم عن حكم تلاوة القرآن الكريم في الإذاعة والمكبرات عرفت براديو عجمية ، فمنهم من حرم بل نتيجة كلامه ينحو نحو التكفير وجلب نصوصا وضعها في موضع غير موضعها ولم أقل ما قال أبو محمد مؤلف الرسالة لعبد السلام : يا ليت أمك لم تلدك وليتها إذ ولدتك لم تتعلم وليتك إذ تعلمت لم تتكلم ، ذكر أن الآلة آلة لهو في موضع السفهاء ، وحقه أن يقول لا أدري ما هذه الآلة ولم أتبين وجه السؤال .

ومن أعجب الأشياء أنك لا تدري   وأنك لا تدري بأنك لا تدري

فقد سئل الإمام علي كرم الله وجهه عن سبب كثرة الخلاف ؟ وقال : « لو سكت من لا يعلم لارتفع الخلاف » .

فراديو عجمية آلة محدثة تكبر الصوت وتبلغه إلى حد بعيد يعجز اللسان عن تبليغه إليها بدونها مع تفاوت مراتبها يستعين بها المتكلم إلى تبليغ أو سماع والكلام فيها إن كان قرآنا فهو قرآن ، وإن كان وعظا فهو وعظ ، وإن كان علما فهو علم ، وإن كان ذكرا فهو ذكر وإن كان لهوا فهو لهو ، وتعظيم القرءان والمحافظة على

آداب التلاوة وتدبر المعاني أو الغفلة والسهو والتلحين حالات ترجع إلى القرّاء سواء بواسطة الإذاعة أو بدونها ، فإن جاء قارئ خاشع باك حزين متدبر وقرأ أمامها أذاعته كذلك أو كبرته كذلك . كما أنه لو تكلم فيها صاحب لهو بمجون أذاعته كذلك . فالإذاعة إذا ليست آلة لهو وموضعها ليس موضع لهو إلا إذا كانت عند أهل اللهو وإذا كانت في موضع أهل التعبد كالمساجد كانت موضع عبادة لا موضع لهو ، على أن الذاكرين عند الغافلين ورد النص بالثناء عليهم في الحديث ورد الذكر المأمور به في الحديث الصحيح في الأسواق لكثرة الغافلين فيها فأحب الشارع ﷺ الذكر فيها كما شرع التحصيب وهو النزول بالمحصب خيف بني كنانة والسعي بين الصفا والمروة وكان يطاف بينهما بعبادة الأوثان وغير ذلك من مقاصد الشرع السنية .

وكم متعالم يسطو بجهل يرى أن يسبق النقاد أيدا
على العلماء ينقد وهو غمر ولا يدري قبيلا من بعيدا
كقنفذ إذ يتيه على الأراني بلين المس منفردا بييدا

وإذا تأملنا في أمصار المسلمين اليوم التي في كلها تخفق راية الإسلام والمراجع عندهم في الأحكام إلى الكتاب والسنة كالحرمين الشريفين ومصر والشام واليمن والعراق والقدس الشريف وفارس واستنبول وباكستان وطرابلس وتونس والجزائر ومراكش وغيرها إلى جماعة المسلمين في أروبا وكلهم مجمعون على استعمال هذه الآلآت حتى في نفس الصلاة ومئات الألوف من سماسرة العلماء مسلمون لهم رأينا أن تخطئتهم ليس بالأمر الهين ومن نسبهم إلى ضلالة ، فقد نسب الأمة المحمدية التي لا تجتمع على ضلالة إلى ضلالة وإجماع الأمة معصوم بوعد صادق منه ﷺ ألا ترى الحجاج في المسجد الحرام يصلي بهم حول الكعبة إمام بهذه الآلة وفي المحراب النبوي وحولهم مئات الألوف العلماء الذين أحاطوا بالشريعة وهم مسلمون بالقول أو بالسكوت أن نحسن بعباد الله الظن ونتلمس أحسن المخارج أم نخطئهم ونحكم على الإمام بالفسق لإصراره على محرم ؟ فليعد هذا الكاتب المحرم أو المكفر نظره فمحرم الحلال كمحلل الحرام ومن قال لأخيه كافر فقد باء به أحدهما فالرجوع إلى الجماعة وقول لا أدري فيما لا يدري أو السكوت أسلم .

ليس من أخطأ الصواب بمخط إن يتوب لا ولا عليه ملامه

حسنات الرجوع تذهب عنه سيئات الخطأ وتنفي الملامه
إنما المخطئ المسيء من إذا ما ظهر الحق لج يحمي كلامه

فالمؤمن يلتمس أحسن المخارج ويقبل المعاذير ، والمنافق يتتبع العورات ، وقول بعضهم : أخذنا بالأصل الأصل في كل شيء عدم الحرمة حتى يثبت دليل على التحريم وإلا فهو تقدم بين يدي الله ورسوله في تحريم بل ليس هذا وظيفة المقلد ، فوظيفة المقلد التقليد وسؤال أهل العلم ، ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ، وفوق كل ذي علم عليم . والعاقل إن جهل شيئا يجعله من جملة ما جهل .

وقل لمن يدعى في العلم معرفة عرفت شيئا وغابت عنك أشياء

وحافظ الحجة حجة على من لم يحفظ ، والمثبت مقدم على النافي ، واحتجاج من تكلم في المسألة بقوله ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ في غاية الوضوح عند من نور الله بصيرته وله فيه سلف ، سئل محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله عن قوله تعالى : ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ ، وأين ذكر هذه السفن البحرية والبرية التي حدث في الزمن الأخير فقال قال تعالى : ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ، وكذلك ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾ ، وأي شيء ليس عند الله خزائنه .

وكم من عائب قولا صحيحا وآفته من الفهم السقيم

والقرءان الكريم بحر لا ساحل له لا ينتهي معناه عند ما يعلم العبد : ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَـٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَـٰتُ ٱللَّهِ﴾

وإذا لم تر الهلال فسلم لأناس رأوه بالأبصار
والأصل في التضييق ضيق الباع وعدم الفهم والاطلاع

وإني أيها الأمير أجدد لك الفتوى بأن استعمال هذه الآلة في العبادات أمر جائز أو مندوب في بعض الحالات ، والقارئ يجب عليه المحافظة على آداب التلاوة من تعظيم كلام الله تعالى سواء أمام الإذاعة أو لا ، واللهو لسنا بصدده واستعانة أهل اللهو بها لا يمنعنا من الاستعانة بها في القربات ، وكل ميسر لما خلق له ، دين الله

يسر وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ، والحق أحق أن يتبع وإنما الأعمال بالنيات ، وفقنا الله وإياكم لما يحب ويرضى وداوى بمنه قلوبنا المرضى ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

إبراهيم بن الحاج عبد الله الكولخي

فتوى الشيخ في الزواج على أكثر من أربع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي قال في كتابه : ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ ومنعنا من التبتل والرهبانية التي أصلها الابتداع والصّلاة والسلام على من أمر بالتزوج بالودود الولود لمكاثرته يوم القيامة بكل من في أمته له مولود وعلى آله وصحابته والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين . أما بعد :

فقد سألني العلاّمة الفاضل والعالم العامل الشاب التّقي الورع النّقي الحاج أحمد الرفاعى (باكَيْنَ) النيجيريا الشمالية : هل الخلاف في التزوّج بأكثر من أربع حرائر في آن واحد خلاف معتبر أم لا ؟

والجواب : أن التزوج بأكثر من أربع حرائر مجتمعة اتفق العلماء أنّه من خصائص النبي ﷺ . والمسألة أعني تحريم الزيادة على أربع ، المستند فيها الإجماع والإجماع حجّة .

وأمّا الآية ففيها احتمالات ، فلم يقم منها دليل قاطع وكذلك الأحاديث الواردة في الباب ، ففي كل واحد منها مقال بيد أنّ الإجماع انعقد من الصّدر الأول على تحريم الزّيادة على أربع وذكر فخر الرازي شذاذا إلى جواز التزوج بأي عدد واحتجّوا بالقرآن والخبر .

أمّا القرآن فقد تمسّكوا بهذه الآيات بثلاثة أوجه :

الأول : أنّ قوله سبحانه : ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ إطلاق في جميع الأعداد بدليل أنه لا عدد إلا ويصح استثناؤه منه ، وحكم الاستثناء إخراج ما لولاه كان داخلا .

والثاني : أن ﴿مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ لا يصح مخصصا لذلك العموم لأن التخصيص بالبعض لا ينفي ثبوت الحكم في الباقي .

والثالث : أن الواو للجمع المطلق فمثنى وثلاث ورباع يفيد حل المجموع وهو تسع بل ثماني عشرة .

وأمّا الخبر فمن وجهين :

الأول : أنّه ثبت بالتواتر « أنه ﷺ مات عن تسع » [1] ثم أنّ الله تعالى أمرنا باتباعه فقال : ﴿فَٱتَّبِعُوهُ﴾ وأقل مراتب الأمر الإباحة .

الثاني : أن سنّة الرجل طريقته والتزوّج بالأكثر من الأربع طريقة الرسول ﷺ فكان ذلك سنّة له ثم أنّه ﷺ قال : (من رغب عن سنتي فليس منّي) [2] . وظاهر الحديث يقتضي الذم على من ترك التزوّج بأكثر من أربع فلا أقلّ أنه يثبت أصل الجواز . ثمّ قال : واعلم أن معتمد الفقهاء في إثبات الحصر على أمرين :

الأول : الخبر : وهو ما روي أن غيلان الثقفي أسلم وتحته عشر نسوة فقال الرسول ﷺ : « أمسك أربعا وفارق سائرهنّ » [3] وهذا الطريق ضعيف لوجهين :

الأول : أنّ القرءان لمّا دلّ على عدم الحصر ، فلو أثبتنا الحصر بهذا الخبر كان ذلك نسخا للقرءان بخبر الواحد وأنّه غير جائز .

والثاني : أنّه ﷺ أمر بإمساك أربع ومفارقة البواقي لأن الجمع بين الأربع والبواقي غير جائز ، إمّا بسبب النسب ، أو بسبب الرضاع . وبالجملة فهذا الاحتمال قائم في هذا الخبر ، فلا يمكن نسخ القرآن بمثله .

والثاني : هو إجماع فقهاء الأمصار على أنه لا يجوز الزيادة على الأربع وهذا هو المعتمد ، لكن فيه سؤالان :

الأول : الإجماع لا ينسخ فكيف يقال إن الإجماع نسخ هذه الآية .

الثاني : أن في الأمة أقواما شذاذا لا يقولون بحرمة الزيادة على الأربع . والإجماع عند مخالفة الواحد والاثنين لا ينعقد؟

وأجيب عن **السؤال الأول** : أن الإجماع يكشف عن حصول النسخ في زمان الرسول ﷺ .

---

(1) أخرجه الشافعي في مسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما 260/1 ، 267 ، والبيهقي في السنن الكبرى 296/7 ، والحميدي في مسنده 241/1 .

(2) أخرجه البخاري 1949/5 ، حديث رقم 4776 ، ومسلم 2/ 1020، حديث رقم 1401 .

(3) أخرجه البيهقي في السنن الكبري 182/7 ، 183 ، والطحاوي في شرح معاني الآثار 253/3.

وعن الثاني : أن مخالف هذا الإجماع من أهل البدو فلا اعتبار بمخالفته فلا تضرّ في انعقاد الإجماع أهـ . ولا يخفى ما في احتجاج الشذاذ بالآية من النظر ، ويعلم ذلك من تأمل في ما ذكرنا أهـ .

ثم قال في روح المعاني : [1] وأما الاحْتجَاجُ بالخبر فليس بشيء أيضا لأن الإجماع قد وقع على أن الزيادة على الأربع من خصوصياته ﷺ ونحن مأمورون باتباعه والرغبة في سنته عليه الصّلاة والسلام في غير ما علم أنه من الخصوصيات أما فيما علم أنه منها فلا .

وأما الأمران اللذان اعتمد عليهما الفقهاء فَفِي غاية الأحكام . انظر بقية كلامه . وقال الشّوكاني في « نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار » [2] ما نصّه : بأن العدد المباح للحرّ والعبد وما خصّ به النبي ﷺ عن قيس بن الحارث قال : « أسلمت وعندي ثماني نسوة ، فأتيت النبي ﷺ ، فذكرت ذلك قال : اختر منهن أربعا » [3] رواه أبو داود وابن ماجة . وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : « ينكح العبد امرأتين ، ويطلق تطليقتين وتعتد الأمة حيضتين » [4] رواه الدارقطني ، وعن قتادة عن أنس : « أن النبي ﷺ كان يطوف على نسائه في ليلة واحدة وله يومئذ تسع نسوة » [5]. وفي رواية : « كان النبي ﷺ يدور على نسائه في الساعة الواحدة من الليل والنهار وهن إحدى عشرة قلت لأنس : وكان يطيقه . قال : كنّا نتحدث أنّه على قوة ثلاثين » [6] رواهما أحمد والبخاري .

---

(1) روح المعاني للآلوسي 192/4 ، طبعة دار إحياء التراث العربي - بيروت .

(2) نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار ، للشوكاني 205/6 ، طبعة إدارة الطباعة المنيرية .

(3) أخرجه أبو داود 680/1 ، حديث رقم 2241 ، وابن ماجه 628/1 ، حديث رقم 1952 ، والدارقطنى 270/3 ، والطبراني في المعجم الكبير 359/18 .

(4) أخرجه الشافعي في مسنده 298/1 ، والبيهقي في السنن الكبرى 158/7 ، 368 ، 425 ، والدراقطني في سننه 308/3 ، وعبد الرزاق في مصنفه 221/7 .

(5) أخرجه البخاري 109/1 ، حديث رقم 280 ، 1951/5 ، 2000 ، حديث رقم 4781 ، 4917، والنسائي في سننه 53/6 ، حديث رقم 3198 .

(6) أخرجه البخاري 105/1 ، حديث رقم 265 ، وأحمد في المسند 291/3 ، وابن خزيمة في صحيحه 115/1 .

حديث قيس بن الحرث في رواية الحرث بن قيس في إسناده محمد بن عبد الرحمن ابن أبي ليلى وقد ضعفه غير واحد من الأمة ، وقال أبو القاسم البغوي : ولا أعلم للحرث بن القيس حديثا غير هذا وقال أبو عمر النمري : ليس له إلا حديث واحد ولم يأت من وجه صحيح . وفي معنى هذا الحديث حديث الغيلان الثقفي لمّا أسلم وتحته عشر نسوة وفي باب من أسلم وتحته أختان أو أكثر من أربع ويأتي الكلام عليه هنالك وفي الباب عن نوفل بن معاوية عند الشافعي أنّه أسلم وتحته خمس نسوة قال له النبي : « امسك أربعا وفارق الأخرى » (1) . وفي إسناده رجل مجهول لأن الشافعي قال : حدثنا بعض أصحابنا عن أبي الزناد عن عبد المجيد بن سهيل عن عوف بن الحرث عن نوفل بن معاوية قال : « أسلمت » (2) فذكره وفي الباب أيضا عن عروة بن صفوان بن أمية عند البيهقي وأثر عمر يقوّيه ما رواه البيهقي وابن أبي شيبة عن طريق حكم بن شيبة أنّه أجمع الصّحابة على أنّه لا ينكح العبد أكثر من اثنين وقال الشافعي بعد أن روى ذلك عن علي وعمر وعبد الرحمن بن عوف أنّه لا يعرف لهم من الصحابة مخالف ، وأخرجه ابن أبي شيبة عن جماهير التابعين عطاء والشعبي والحسن وغيرهم . قوله : « اختر منهن أربعا » . استدل به الجمهور على الزيادة على أربع وذهب الظاهرية إلى أنّه يحلّ للرجل أن يتزوج تسعا ولعل وجه قوله تعالى : ﴿مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ ، ومجموع ذلك إلا باعتبار ما فيه من العدل تسع . وحكي ذلك عن ابن الصباغ والعمراني وبعض الشيعة وحكي أيضا عن القاسم بن إبراهيم وأنكر الإمام يحيى الحكاية عنه وحكاه صاحب البحر عن الظاهرية وقوم مجاهيل وأجابوا عن حديث قيس بن الحرث المذكور بما فيه من المقال المتقدم وأجابوا عن حديث غيلان الثقفي بما سيأتي فيه من المقال المتقدم وأجابوا عن حديث نوفل بن معاوية بما قدّمنا من كون من في إسناده مجهول قالوا ومثل هذا الأصل العظيم لا يكتفى فيه بمثل ذلك ولا سيما وقد ثبت أن الرسول ﷺ جمع بين تسع أو إحدى عشرة وقد قال تعالى : ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ﴾ وأما

---

(1) أخرجه الشافعي في مسنده 274/1 ، والبيهقي في السنن الكبرى 184/7 .

(2) انظر التخريج السابق .

دعوى اختصاصه بالزيادة على الأربع فهو محل النزاع ولم يقم عليه دليل وأما قوله تعالى : ﴿مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ قالوا وفيه للجمع وللتخيير وأيضا لفظ مثنى معدول به عن اثنين اثنين وهو يدل على تناول ما كان متصفا من الأعداد بصفة الأثنينية وإن كان في غاية الكثرة البالغة إلى ما فوق الألوف فإنك تقول جاءني القوم مثني أي اثنين اثنين وهكذا ثلاث ورباع وهذا معلوم في لغة العرب لا يشك فيه أحد . فالآية المذكورة تدل بأصل الوضع على أنه يجوز للإنسان أن يتزوج من النساء اثنين اثنين وثلاثا ثلاثا وأربعا وأربعا وليس من شرط ذلك أن لا يأتي الطائفة الأخرى من العدد إلا بعد مفارقته للطائفة التي قبلها ، فإنه لا يشك أنه يصح لغة وعرفا أن يقول الرجل لألف رجل عنده جاءني هؤلاء اثنين اثنين أو ثلاثة ثلاثة أو أربعة أربعة ، فحينئذ الآية تدل على إباحة التزوّج بعدد من النساء كثير سواء كانت الواو للجمع أو للتخيير ، لأن خطاب الجماعة بحكم من الأحكام بمنزلة الخطاب به لكل واحد منهم ، فكأن الله سبحانه قال لكل فرد من الناس أنكح ما طاب لك من النساء مثنى وثلاث ورباع ، ومع هذا فالبراءة الأصلية مستصحبة وهي بمجردها كافية في الحل حتى يوجد ناقل صحيح ينقل عنها . وقد يجاب بأن مجموع الأحاديث المذكورة في الباب لا تقصر عن رتبة الحسن لغيره فتنتهض بمجموعها للاحتجاج وإن كان كل واحد منها لا يخلو عن مقال ، ويؤيد ذلك كون الأصل في الفروج الحرمة كما صرح به الخطابي ، فلا يجوز الإقدام على شيء منها إلا بدليل . وأيضا هذا الخلاف مسبوق بالإجماع على عدم جواز الزيادة على الأربع كما صرح بذلك في البحر .

وقال في الفتح : اتفق العلماء على أن من خصائصه ﷺ الزيادة على أربع نسوة يجمع بينهن أهـ فللمسلم تزويج النساء بلا حدود ولكن بشرط أن لا يجمع عنده أكثر من أربع ، فمن كان عنده أربع ، وأراد أن ينكح أخرى ، فليطلق إحدى الأربع : إما بتة وإما بائنة فله أن ينكح في الحين أخرى مكانها ، وإن طلق طلاقا رجعيا ، فلا ينكح أخرى إلا بعد انقضاء عدتها وإليك أقوال المفسرين والعلماء في هذه الآية : وبوب البخاري [1] (باب لا يتزوج أكثر من أربع لقوله تعالى مثنى) وقال علي بن

(1) صحيح البخارى 1959/5 ، باب 20 من كتاب النكاح .

الحسن عليهما السلام : يعني مثنى أو ثلاث أو رباع وقوله جل ذكره : ﴿أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ﴾ يعني مثنى أو ثلاث أو رباع وقال الحافظ في فتح الباري ما نصه : « أما حكم الترجمة فالإجماع إلا قول من لا يعتد به بخلافه من رافضي ونحوه . وأما انتزاعه من الآية فلأن الظاهر منها التخيير بين الأعداد المذكورة بدليل قوله تعالى في الآية : ﴿فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً﴾ ولأن من قال جاء القوم مثنى وثلاث ورباع أراد أنهم جاؤا اثنين اثنين وثلاثة وثلاثة وأربعة وأربعة فالمراد تبيين حقيقة مجيئهم ، وأنهم لم يجيئوا جملة ولا فرادى . وعلى هذا فمعنى الآية انكحوا اثنين اثنين وثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة ، فالمراد الجمع لا المجموع ولو أريد مجموع العدد المذكور لكان قوله مثلا تسعا أرشق وأبلغ وأيضا فإن لفظ مثنى معدول عن اثنين كما تقدم تقريره في تفسير سورة النساء فدل إيراده أن المراد التخيير بين الأعداد المذكورة واحتجاجهم بأن الواو للجمع لا يفيد مع وجود القرينة الدالة على عدم الجمع بكونه ﷺ جمع بين تسع معارض بأمره ﷺ ، من أسلم على أكثر من أربع بمفارقة من زاد على الأربع ، وقد وقع ذلك لغيلان بن سلمة وغيره كما خرج في كتاب السنن ، فدل على خصوصيته ﷺ بذلك وقوله : ﴿أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ﴾ تقدم الكلام عليه في تفسير فاطر وهو ظاهر في أن المراد به تنويع الأعداد لأن كل واحد من الملائكة مجموع العدد المذكور . قوله وقال علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب يعني مثنى أو ثلاث أو رباع ، أراد أن الواو بمعنى أو فهي التنويع أو هي عاطفة على العمل والتقدير فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى ، فانكحوا ما طاب لكم من النساء ثلاث الخ ... وهذا من أحسن الأدلة في الرد على الرافضة لكونه من تفسير زين العابدين وهو من أئمتهم الذين يرجعون إلى قولهم ويعتقدون عصمتهم » أهـ .

وفي بداية المجتهد لابن رشد الحفيد ما نصه [1] : « واتفق المسلمون على جواز نكاح أربعة من النساء معا وذلك للأحرار من الرجال ، واختلفوا في موضعين في العبيد وفيما فوق الأربع . أما العبيد فقال مالك في المشهور عنه : يجوز له أن ينكح أربعا وبه قال أهل الظاهر . وقال أبو حنيفة والشافعي : لا يجوز له الجمع إلا بين اثنين فقط .

(1) بداية المجتهد لابن رشد 725/1 .

وسبب اختلافهم ، هل العبودية لها تأثير في إسقاط نصف الحد الواجب على الحر في الزنا وكذلك في الطلاق عند من رأى ذلك .

وذلك أن المسلمين اتفقوا على تنصيف حد العبد في الزنا : أعني أن حده نصف حد الحر واختلفوا في غير ذلك . وأما فوق الأربع فإن الجمهور اتفقوا على أنه لا يجوز الخامسة لقوله تعالى : ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ . ولما روي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال لغيلان لما أسلم وتحته عشر نسوة : « أمسك أربعا وفارق سائرهن » [1] . وقالت فرقة يجوز تسع ، ويشبه أن يكون من أجاز التسع ذهب مذهب الجمع في الآية المذكورة ، أعني جمع الأعداد في قوله تعالى : ﴿مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ . وفي أحكام القرآن لابن العربي المكي ... قوله تعالى : ﴿مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ قد توهم قوم من الجهالة أن هذه الآية يتيح الرجل تسع نسوة ، ولم يعلموا أن مثنى عند العرب عبارة عن اثنين مرتين ، وثلاث عبارة عن ثلاث مرتين ورباع عبارة عن أربع مرتين ، فيخرج من ظاهره على مقتضى اللغة إباحة ثمانية عشرة امرأة . لأن مجمع اثنين وثلاثة وأربعة تسعة . وعضوا جهالتهم بأن النبي ﷺ كان تحته تسع نسوة . وقد كان تحت النبي ﷺ أكثر من تسع نسوة وإنما مات عن تسع . وله في النكاح وفي غيره خصائص ليست لأحد بيانها في سورة الأحزاب ولو قال تبارك وتعالى : ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ لما خرج من ذلك جواز نكاح التسع لأن مقصود الكلام ونظام المعنى فيه فلكم نكاح أربعا فإن لم تعدلوا فثلاثة ، فإن لم تعدلوا فاثنين ، فإن لم تعدلوا فواحدة . فنقل العاجز عن هذه الرتب إلى منتهى قدرته وهي الواحدة . من ابتداء الحل وهي الأربع . ولو كان المراد تسع نسوة لكان تقدير الكلام فانكحوا تسع نسوة فإن لم تعدلوا فواحدة وهذا من ركيك البيان الذي لا يليق بالقرآن . لا سيما وقد ثبت من رواية أبي داود والدارقطني وغيرهما أن النبي ﷺ قال لغيلان الثقفي حين أسلم وتحته عشر نسوة : « اختر منهن أربعا وفارق سائرهن » [2] . وبهذا تعلم أن الخلاف غير معتبر وأن الإجماع أن نعقد على عدم الجواز . قال : وليس كل الخلاف جاء معتبرا إلا خلافا له حظ من النظر .

---

(1) تقدم تخريجه قريبا .

(2) تقدم تخريجه قريبا .

وها إذا أنقل لك طرفا من محاورة بين أستاذ في العلم من المسلمين مع واحد من الأوربيين ينتقد ، لم خص النبي ﷺ بالزيادة على أربع ؟ لم اختص المشرع بما لم يجب لغيره ؟ كيف يتزوج تسعا ويمنع غيره مما زاد على الأربع فأجابه الأستاذ المسلم بأجوبة مسكتة ثم قال بعد ذلك : فقد كان اختص النبي ﷺ بأربع ولم يزد عليهن أبقى الباقيات يتذاكرن القرآن الكريم والحكمة . ففي النسفي والخازن والسيرة الحلبية ما يفيد ذلك . قال في السيرة الحلبية ما نصه : وقد كان أرجأ النبي ﷺ من نساءه خمسا ، سودة وصفية وجويرية وأم حبيبة وميمونة . وآوى إليه أربعا : عائشة وزينب وأم سلمة وحفصة . ألا تعجب لم اختار أربعا ولم يزد عليهن ؟ فأما في ذكرهن الحكمة واحترامهن وعباداتهن فاقرأها قال الله : ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ . أمرهن بالصلاة والزكاة وأن يعلمن الحكمة ويذكرنها عسى أن يعلمن الناس ويكن قدوة كما كانت أم سلمة وعائشة يعرفن كثيرا من الأحاديث وتروى عنهن . وكما كانت زينب بنت جحش صناع اليد ماهرة في الخرز وصنع الخفاف فكانت بعده ﷺ تخرز وتدبغ الجلود وتبيع وتتصدق بالثمن على الفقراء والمساكين فكانت قدوة . قال : ويا ليت بنات المسلمين يعلمن ذلك ، ليتهن يعلمن أن بعض الصناعات كانت زوجات النبي ﷺ يقمن بها كما تفعل النساء المتمدنة الآن في أوربا والشرق واليابان . قال الأوربي : عجبا إذا كانت تلك مدرسة !! فقال الأستاذ : نعم ، هما مدرستان فأول مؤسس لمدارس المعلمين والمعلمات في الإسلام النبي ﷺ . ثم قال : هذا مدرسة السيدات . وأما مدرسة الرجال فهو المسجد . والرجال هم الطلاب وهما أهل الصُفة الخ ثم قال الأوربي : واها لك ثم واها واها لقد أتيت بالعجب ، وعلمت منك مَا لم يكن يخطر على بالي.

الغرض منها وهي رسالة طويلة في سر تعداد الأزواج في الإسلام ، وتعدد أزواج النبي ﷺ فراجعها إن شئت .

والسؤال الثاني وهو سؤالكم عن قوله تعالى : ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ . وقوله : ﴿أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم﴾ . وقال المفسر بالنكاح أو بالشراء . هل يجوز التسرّي إذا كان الإنسان اشترى بنتا من أبيها أو قريبة من قريبها كما يقع في بعض الأقطار الخ ؟ فالجواب أن الله أباح لأمة محمد ﷺ الجمع بين أربع حرائر والتزوج بلا حدٍ ما لم يجتمع عند الرجل المسلم أكثر من أربع في العصمة وكذا اتخاذ السراري بلا حصر ولا عدد . والتسري لا يكون إلا بالإماء ، ولابد من أن تكون ملك يمين المشتري ، وذلك في زمن الحاضر لا يكون إلا بالإرث أو الشراء . وشروط البيع مبنية في كتب الفقه طهارة وانتفاع به وإباحة وقدرة على تسليمه أو تسلمه وملك البائع ولا حق لغيره . ولا غرو ، فلابد لبائع الشيء من تقرر ملكه له قبل بيعه وإذا باعه لابد من تقرر ملكه لمبتاعه . فالبيع مبادلة المال بالمال والإنسان لا يتصور ملكه لبنته بحال من الأحوال ، والحرة لا يجوز بيعها ولا ينعقد عليها بيع بحال من الأحوال فكيف يصح شراء البنات من الآباء فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وأما البيع والشراء على وجهه الشرعي فجائز بالكتاب والسنة والإجماع . ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟﴾ . وقد باع النبي ﷺ واشترى وأقر الناس على التبايع وأجمعت الأمة على جوازه وأنه أحد أسبابه الملك . وقوله ﴿أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم﴾ . فمن أراد ذلك فيبحث حتى يتحقق له أن المطلوبة أمة قن ويعلم سيدها ويأخذها منه يعوض تسلمها سواء فهذا ملك اليمين الذي يحل للرجل أن يشتري بها ، وإن كانت تركة أرضى شركاءه في أنصبائهم وإن كانت لبيت المال فالتصرف فيها إلى السلطان وفقنا الله وإياكم لما يحبه ويرضى وداوى بمنه قلوبنا المرضى والسلام .

إبراهيم بن عبد الله نياس الكولخي

نكاح السّر ممنوع

لشيخ الإسلام الحاج إبراهيم نياس الكولخي

بسم الله الرحمن الرحيم

نكاح السرّ ممنوع

الحمد لله نكاح السّر ممنوع ومن تزوّج بشهادة عدلين خرج من نكاح السر قال في العارضة شرح الترميذي في حديث « أعلنوا هذا النكاح واجعلوه في المساجد واضربوا عليه بالدف » [1] ما نصّه : قال ابن العربي رحمه الله : النكاح عقد يفتقر إلى إعلان لا خلاف فيه . ونكاح السّر ممنوع لا خلاف فيه ، واختلف في كيفيته ، فقال الشافعي : كل نكاح حضره رجلان عدلان خرج عن حد السر ولو تراضوا بكتمانه وقال أبو حنيفة : إذا حضره رجلان كانا عدلين أو محدودين أو رجل وامرأتان فقد خرج عن حد السر ولو تواصوا بكتمانه وذهبوا إلى أن الإعلان المأمور به هو الإشهاد وقال أصحابنا من غير خلاف : إن نكاح السر أن يتواصوا مع الشهود العدول على الكتمان ولا يجوز ذلك ولو تزوج بغير بيّنة بغير استبراء جاز وأشهدوا فيما يستقبلان ، إذ الشهادة ليست من فرائض النكاح ولا شروطه . وإنّما الغرض الإعلان وإنّما شرع الإشهاد لرفع الخلاف المتوقع من المتعاقدين .

وعلى هذا جرت أنكحة الصحابة ما كانت قط بشهادة وإنّما كانوا يعلنون لا منهم التداور بينهم الخ كلامه ، وفي الحطّاب عند قول خليل وفسخ موصى إلخ .. وما ذكره المصنف قال في توضيحه أنّه المشهور وعند يحيى نكاح السر ما كان بغير بيّنة أو بشهادة امرأتين أو رجل وامرأتين وعلى المشهور فإنّما يفسد إذا أوصى بالكتمان قبل العقد وأمّا لو أمر الشهود بالكتمان بعد العقد ، فإنّه صحيح . وقال في إكمال الإكمال ورسمه أي النكاح للشيخ بأنّه عقد على مجرد متعة التلذذ بآدمية غير موجب قيمتها ببيّنة قبله غير عالم عاقدها حرمتها أن حرّمها الكتاب على المشهور والإجماع على الآخر فيقوله غير موجب قيمتها خرج تحليل وطئ الأمة إذا وقع ببينة قبله .

---

(1) أخرجه الترمذي 3/ 398، حديث رقم 1089 ، وابن ماجه 1/ 611، حديث رقم 1895 ، والبيهقي في السنن الكبرى 290/7 .

أي قبله التلذذ دخل ما عقد وتأخرت فيه البيّنة عن العقد لأن البيّنة إنما هي شرط في الدخول لا في العقد وبقوله غير عالم حرمتها حرمة المتعة قال الباجى في المنتقى : فرع إذا ثبت ذلك فإن الذي يراعى فيه ترك الوطئ على الكتمان ولا إعلان ، فمتى عقد على هذا فهو عقد صحيح حتى يقترن به التواطؤ على الكتمان عندنا أهـ .

وفي المنتقى أيضا بعد كلام وروى ابن مزين عن يحيى بن يحيى قال : لا يكون نكاح السر إلا في مثل الذي وقع بعهد عمر بن الخطاب ، رجل وامرأة فأما أن يشهد فيه رجلان فصاعدا فهو نكاح حلال جائز وإن استكتم ذلك الشهود لأنه إذا علمه رجلان فصاعدا فليس بسر . أهـ منه فيظهر من هذا أن الإعلان المأمور به في الحديث يحصل بشهادة عدلين وصاعدا والله أعلم .

وكتب علي سيس من إملاء شيخنا ووسيلتنا إلى الله الشيخ الحاج إبراهيم بن الحاج عبد الله التيجاني نفعنا الله به وبعلومه وأسراره آمين عام 1360 هجري .

رسالة في مسألة غزو الفضاء

بقلم صاحب الفيضة الشيخ الحاج إبراهيم نياس الكولخي

متعنا الله بطول بقائه آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على النبي الكريم

الحمد لله الأول والآخر والظاهر الباطن وهو بكل شيء عليم الحي القديم المدبر العالم العلي العظيم لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤا أحد الفرد الصمد سبحانه وتعالى عما يصفون ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ ، ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ أبدع بقدرته وعلمه وحكمته ومشيئته الإنسان وجعله خليفته ، وأبدع الكون ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ تعليما مستمرا متجددا ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ ، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ ، ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ ، ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ ، ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ﴾ ، نحمده ونشكره أن أرانا الحق حقا ورزقنا اتباعه والباطل باطلا ورزقنا اجتنابه ، فهو القديم الباقي ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾، وهي شئون يبديها لا شئون يبتديها ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنه هو رب الشعرى وأن محمدا عبده ورسوله الذي عرج به بعدما أسري والصلاة والسلام على أكمل الناس وأكرم الناس وأعلم الناس ، ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ .

(أما بعد) فإن الإسلام جاء التعريف به واضحا في حديث جبريل الذي رواه مسلم على عبد الله بن عمر بن الخطاب قال : « بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال : يا محمد أخبرني عن الإسلام ؟ قال : الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا . قال : صدقت ، فعجبنا له يسأله ويصدقه : قال فأخبرني عن الإيمان ؟ قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره . قال : صدقت قال : فأخبرني عن الإحسان ؟

قال : أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك . قال : فأخبرني عن الساعة ؟ قال : ما المسئول عنها بأعلم من السائل . قال : فأخبرني عن أماراتها ؟ قال : أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة رعاء الشاة يتطاولون في البنيان . قال : ثم انطلق فلبثت مليا ثم قال : يا عمر أتدري من السائل ؟ قلت : الله ورسوله أعلم قال : فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم » [1] . رواه مسلم وأصحاب السنن .

إن هذا الإسلام لا يعارض شيئا مما يقع في الكون من تكشف وزيادة في العلم ، بل الإسلام يرشد إلى التدبر والتفكر والنظر والتبصر والتذكر وطلب الزيادة من العلم وإليك آيات بينات من الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنور طريق الحق لمن أنار الله بصيرته بنور الإيمان وهداه إلى الصراط المستقيم ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من يحيى عن بينة ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ .

قال الله تعالى : وهي أعظم آية نزلت ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾ (أي من معلوماته) ﴿إِلَّا بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ وقال : ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ﴾ . وقال في معرض الحديث عن المراكب ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ وقال : ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ وهل ثم شيء إلا من خزائنه تعالى وقال : ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾ . وقال :

---

(1) أخرجه مسلم 36/1 ، حديث رقم 8 ، وأبو داود 635/2 ، حديث رقم 4695 ، والترمذي 6/5 ، حديث رقم 2610 ، والنسائي 97/8 ، حديث رقم 4990 ، وابن ماجه 24/1 ، حديث رقم 63 .

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ وقال : ﴿وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ﴾ وقال : ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ وقال : ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ وقال : ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ﴾ ، وقال : ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾ .

وهذا وإن كان في عرصات القيامة فالقرآن معانيه لا تنحصر فأمكن النفوذ بسلطان العلم وبقوة مشيئته تعالى ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وقال : ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ وقال : ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ ، وقال : ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ ، وقال : ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ . وقال : ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ ، وقال : ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾ ، وقال : ﴿وَيْلٌ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ ، وقال ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ .

* * *

فصل

وأما إجراء هذه الخوارق على يد من ليس بمؤمن ولا مقر بوجود الباري فكغيرها مما سخره الله لغير المؤمن استدراجا ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ، وقال : ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴿١٩٦﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ﴾ . ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾ ، ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ﴾ .

فالمسلم وقد تقدم التعريف به في حديث جبريل في واد والكافر في واد ، **فالأول** : من يؤمن بآيات الله وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد ، ويتقرب إليه تعالى على الدوام .

والثاني : ﴿مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ وحيث أنه فقد الإيمان الذي هو أساس كل أعماله تكون كسراب بقيعة ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ . والخوارق يختلف الحكم عليها أولها باختلاف من تظهر على أيديهم فإن ظهرت على يد مدعي الرسالة فمعجزة يقارنها التحدي وإن ظهرت على يد المؤمن الصالح فكرامة صاحبها لا يتحدى بها بل ولا يرى أنها منه وأما إن ظهرت خوارق على يد من لا يؤمن بالله فهي استدراج ومكر .

قال تعالى : ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ وَأُمْلِي إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ . وهذا إبليس رأس الكفرة الفجرة يطوف حول العالم في أقل من ثانية ولكن مع ذلك فهو في لعنة الله تعالى وإني أقول لمن يتملكه الدهش أو يعتريه شك للخوارق المادية في هذا الزمان إنه سيظهر ما هو أعظم وأكبر وأدهى ، وأمر ، حيث يخرج الدجال الأكبر معه الجنة والنار فيما يرى الرائي ويظهر أنه يحي ويميت ففي جميع الخوارق ذكر حديث الدجال عن أبي سعيد قال : حدثنا النبي ﷺ عن الدجال فكان فيما حدثنا به أن قال : « يأتي الدجال وهو محرم عليه أن يدخل نقاب المدينة فينتهي إلى بعض السباخ

التي بالمدينة فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس أو هو من خير الناس فيقول : أشهد أنك الدجال الذي حدثنا عنك رسول الله ﷺ حديثه فيقول الدجال : أرأيتم إن قتلت هذا ثم أحييته أتشكون في الأمر فيقولون : لا فيقتله ثم يحييه : فيقول حين يحييه والله ما كنت قط أشد بصيرة مني اليوم فيقول الدجال : أقتله فلا يسلط عليه »[1].

وفي رواية بنحوه وفيه قول الرجل : « هذا الدجال الذي ذكر رسول الله ﷺ فيأمر فيشبح فيقول : خذوه واشبحوه فيوسع ظهره وبطنه ضربا فيقول : أما تؤمن بي فيقول أنت المسيح الكذاب فيؤمر به فيوشر بالمنشار من مفرقه حتى يفرق بين رجليه ثم يمشي الدجال بين قطعتين ، ثم يقول له : قم فيستوي قائما ثم يقول : له أتؤمن بي فيقول : ما ازددت فيك إلا بصيرة ثم يقول : أيها الناس إنه لا يفعل بعد بأحد من الناس فيأخذه الدجال ليذبحه فيجعل ما بين رقبته إلى ترقوته نحاسا فلا يستطيع إليه سبيلا فيأخذ بيديه ورجليه فيقذف به فيحسب الناس إنما قذفه إلى النار وإنما ألقي في الجنة وقال ﷺ هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين »[2] رواه الشيخان .

فسبحان الواحد القهار الفعال لما يريد فما وصل إليه تقدم العلم البشري لم يعد أن بعض الناس ما كانوا يعلمون أن في الإمكان الوصول إلى مثله ولسوف يظهر ما هو أكثر وأكثر وقد كان وقع من طريق العبادة والصلاح أضعاف أضعاف ما يظهر اليوم من طريق الكشف المادي . وقال تعالى : ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ وقال : ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ كما في سورة الروم وهذا القرآن يذكر لنا عبدا صالحا ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ حتى بلغ مغرب الشمس ثم اتبع سببا حتى بلغ مطلع الشمس وآنذاك لا سفن ولا طيران ثم ذكر عبادا من أهل الفساد ووصفهم ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ فسبحان الفعال لما يريد ولا فاعل سواه وقد ذكرت في رسالة الحجة البالغة شيئا من الأحاديث التي تشير إلى

(1) أخرجه البخاري 2/665 ، حديث رقم 1783 ، 6/2608 ، حديث رقم 6713 ، ومسلم 4/ 2256، حديث رقم 2938 .

(2) أخرجه مسلم 4/ 2256، حديث رقم 2938 ، وأبو يعلى في مسنده 2/ 534 .

مثل هذه الأحاديث وذلك من أعلام نبوته ﷺ فراجعها وعلى الله قصد السبيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وفقنا الله وإياكم لما يحب ويرضى وداوى بمنه قلوبنا المرضى والسلام .

كولخ أوائل جمادى الثانية

عام 1389 . هجري

كلمة مولانا الحاج إبراهيم نياس

زعيم مسلمي غرب إفريقيا

ألقاها سيادته بالزاوية التجانية

بالقاهرة يوم 1961/3/24 م

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

إخواني الأعزاء السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ، لقد سررت أبلغ السرور منذ حضرت هذه الديار وعلى الأخص في هذه العشية المباركة وفي هذه الليلة وإني أحمد الله الذي بستره الجميل ترون في صفاتكم الجميلة الطيبة ، وأنا لست كذلك .

يظنون بي خيرا وما بي من خير ، ولكنني عبد مسيء كما تدري سبحانك ربي سترت عيوبي كلها عن عيونهم ، فتمم بفضل منك ما جدت من ستر ، وإنما رأيتم أوصافكم الجميلة وما هو إلا ستر الله الجميل فأحمد الله على ذلك وأحمدكم على حسن ظنكم فقد ورد خصلتان ليس فوقهما شيء من الخير : حسن الظن بالله ، وحسن الظن بعباد الله وأني جئتكم زائرا لا بصفة زعيم إلا على وفق قوله ﷺ : « كلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته » [1] ، وإذا كان كلنا راعيا فكلنا زعيم أما أنا فلا أمثل شيئا إلا أني أحب الإسلام وأحب إخواني المسلمين حيثما كانوا وهذه المحبة قد أشار إليها الخطباء كلهم شأنه كبير عند الله تبارك وتعالى لأن المرء مع من أحب ومن أحب قوما حشر معهم . المتحابان في الله تحت ظله يوم لا ظل إلا ظله .

وأنا أشهدكم أني أحبكم جميعا في الله كما أشهد أنكم تحبونني في الله وهذا أرجى ما أرجوه لنفسي ولكم ، المرء كثير بأخيه . والحق أن ديننا هو الدين الجامع لجميع الخيرات الدنيوية والأخروية وهو دين الوحدة دين الإسلام دين الكفاح دين الأخوة دين الحرية دين المساواة . الله تبارك وتعالى يقول في كتابه الذي هو دستور

---

(1) أخرجه البخاري 304/1 ، 430 ، 848/2 ، 901/2 ، 902 ، 1010/3 ، 1988/5 ، 1996 ، 6/ 2611 ، حديث رقم 853 ، 2278 ، 2416 ، 2419 ، 2600 ، 4892 ، 4904 ، 6719 ، ومسلم 3/ 1459، حديث رقم 1829 .

كل زمان ومكان . أما الدساتير التي أشار إليها الخطباء فكل دستور فيها قاصر ينقطع في زمان . أما الدستور الكلي الدائم لجميع العالم فهو القرآن ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ وهو دين الوحدة بقوله تعالى : ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ ودين الأخوة : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ ودين السلام : ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ﴾ والنبي ﷺ يقول لعظماء البلاد : «أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين»[1] والإسلام مشتق من السلام «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»[2] فإذا هذا الدين هو دين السلام دين المساواة ، لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى ونحن إذ نحبكم في الله وتحبونني في الله أقول إني أوصي نفسي وإياكم بتقوى الله في السر والجهر ومراقبته مع الأنفاس ، فالعبد إذا عمل بهاتين الخصلتين فاز بالحسنيين . وتقوى الله هو امتثال أمره واجتناب نهيه في الظاهر والباطن هذا بحسب الجوارح ومراقبة الأنفاس هذا بحسب الباطن والسر نسمع الكثير للأولياء ولشيخنا التجاني الكرامات وكذلك للعلماء كرامات وهم ما فعلوا إلا هاتين الخصلتين تقوى الله ومراقبته فإذا كلنا إذا اتقى الله وراقبه مع أنفاسه لم يبق معه إلا الله ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ﴾ لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء إذا تحقق بهاتين الخصلتين فهما كفيلتان بكل ما يحب في الدنيا والآخرة والإنسان كما قال الأستاذ الكبير هو العالم الأكبر إن الله تبارك وتعالى قال في كتابه : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ وهو آدم أبو البشر قالت الملائكة : ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يعلم صفة الإنسان وصفة الملائكة فالملائكة نظروا إلى طبيعة آدم فوجدوا فيه الغضب والشهوة والعقل ولا يأمر بالخير إلا عقله فقط فظنوا أن القوتين ستغلب العقل . والغضب يحمله على سفك الدماء والشهوة تحمله على الفساد ولكن العقل أقوى منهما والإنسان جعل الله فيه هذه الشهوة وجعل فيه قوة الغضب

---

(1) أخرجه البخاري 7/1 ، 1074/3 ، 1657 ، حديث رقم 7 ، 2782 ، 4278 ، ومسلم 1393/3 ، حديث رقم 1773 .

(2) أخرجه البخاري 13/1 ، 2379/5 ، حديث رقم 10 ، 6119 ، ومسلم 1/ 65 ، حديث رقم 41.

والخديعة والمكر كالشياطين ، ولكنه جعل فيه الاستعداد للصفاء باستعمال العقل كالملائكة فالذي اشتغل بشهوته حتى صار لا هم له إلا في المأكل والملبس والتنعم بالشهوات والبطش يصدق عليه ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ وإذا أطاع قوة غضبه حتى صار يفترس ويؤذي خرج من حد الإنسانية كذلك إذا أطاع الشهوة وهذا الذي ضيع الإنسانية فيمن كان كذلك صار من جنس البهائم وضيع الإنسانية حتى صار من جنس الشياطين وبقيت خصلة إذا استعمل عبادة الله والصفاء والتقرب إلى الله حتى وصل إلى معرفة الله صار من جنس الملائكة أو خيرا من بعض الملائكة . ولهذا وصف الله تعالى الإنسان بقوله : ﴿أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ إنسان وصفه بأنه شر البرية ، وإنسان وصفه بأنه خير البرية .

إذا كان يميل إلى الخير فلا يعمل إلا الخير ويستقله ويزيد منه حتى يصير من خير البرية ، وإذا كان من الجانب الآخر استقله وزاد منه حتى يصير من شر البرية . وديننا يدعو إلى الحياة الروحية الأبدية السرمدية وهو استخدام الجوارح ظاهرا وباطنا في امتثال الأوامر واجتناب النواهي واستغراق القلب في ذكر الله .

فالخلق ثلاثة أقسام قسم كامل مطلق لا يتطرق إليه النقص أبدا وقسم لا يتطرق إليه الكمال أبدا وقسم تارة يكمل وتارة ينقص . فالقسم الأول الملائكة ليس فيهم نقص بحال من الأحوال ، وقسم لا يتطرق إلى الكمال أبدا وهو الحيوان والنبات ، والإنسان تارة يكون كاملا وتارة ناقصا فكماله ليس من ذاته فلو كان من ذاته لاستمر له الكمال ، فما دام ذاكرا لله في قلبه ولسانه فهو كامل ، ومهما غفل عن ذكر الله فهو ناقص فينبغي للعبد دائما أن يذكر الله وقد أمرنا بالصلاة لأنها ذكر الله ، ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ والصيام والزكاة والحج كل هذه عبادات تدعو العبد إلى ذكر الله فذكر الله هو المراقبة العلياء في الدين ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾ فذكر الله الذاكرين في آخر الدرجات كلها لأن ذكر الله هو منشور الولاية ، فمن ذكر الله فهو من أوليائه ومن غفل ألحق بالشياطين .

ولهذا نحمد الله على ما من به من نعمة الإيمان وكفى بها نعمة ، والحمد لله على

نعمة القرآن والحمد لله على سيدنا محمد ﷺ والحمد لله الذي أعطانا في آخر الزمان طريق الذاكرين وطريق الشيخ سيدي أحمد التجاني رضي الله عنه . إننا نرى جميع المتمسكين بها محافظين على قواعد الإسلام وسنة الرسول ﷺ وطلب العلم والخير وعلى ذكر الله وتقوى الله كفيل للعبد بجميع مطالبه الدنيوية والأخروية فإن كان العبد طالب علم فليتق الله قال تعالى : ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ﴾ وإن كان طلب ولاية فالله تبارك وتعالى يقول : ﴿إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ﴾ وإن كان طالب جنة فالله تبارك وتعالى يقول : ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ وإن كان طالب محبة فالله تبارك وتعالى يقول : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ وإن كان طالب العاقبة فالله تبارك وتعالى يقول : ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ وإن كان طالب النجاة من كيد الكائدين فالله تبارك وتعالى يقول : ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ وإن كان طالب النجاة من الشدائد وطلب الرزق فالله يقول : ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ .

وإن كان طالب تيسير أموره فالله يقول : ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ وإن كان طالب النجاة من النار فالله يقول : ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ وإن كان طالب الكرم على الله فالله يقول : ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ فكل مطالب العبد مندرجة في التقوى : وأوصيكم بالتقوى وهي امتثال الأوامر واجتناب النواهي ، وإني أحمد الله حق حمده الذي أتاح لي هذه الفرصة لزيارة خليفة الشيخ سيدي أحمد التجاني من غير شك أو ريب الذي تصفونه كما أصفه وكما أعلمه وإني عند ما أنظره أرى كأني أنظر أحمد التجاني وبوجوده وجدت فرصة الاجتماع بهؤلاء الإخوان أصحاب الشيخ وأصحاب الشيخ كلهم أولياء وإن أولياء الله هم المشتغلون بالله ومحبتهم كفيلة بالسعادة الدنيوية والأخروية والشيخ ضمن له الرسول الله ﷺ أن أصحابه كلهم أولياء فلابد إن شاء الله أن تتحقق هذه الضمانة وإننا ننظر إلى ذاكري الله المحافظين على الشرع بأنهم جماعة الأولياء فهم القوم لا يشقى بهم جليسهم ، وأشكركم جميعا على هذا الاستقبال والحفاوة والمحبة في الله وأرجو لي ولكم بهذه المحبة أن نكون ممن ورد فيهم الحديث : (إن لله عبادا ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء لقربهم من الحق يوم القيامة وهم الذين اجتمعوا

على الله) [1] وأسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا من خاصة أصحاب الشيخ وأن يمن علينا بمحض فضله ورضاه .

والسلام عليكم ورحمة الله .

وتليه

تحية الضيف الكبير الشيخ إبراهيم نياس بالزاوية التجانية الكبير بالقاهرة :

إيه يا عذب الخلال — اسكب الخمر الحلال
هاتها تروي قلوبا — شفها الوجد وطال
هاتها تنعش مضرا — من رحيق السنغال
تملأ النيل فيضا — ماؤه منها زلال
جلب الإنياس أنسا — إذ غدا ضيف جمال
ضيف فخر ضيف سعي — نحو توحيد المجال
العروبة قد دعتنا — للندى لبى رجال
قادة صيد حماة — ما دروا طعم الملال
يبعثون المجد فينا — وسينات الخصال
ينصر الله التآخي — وبذا المعصوم قال
ورسول الله إن قرر — قولا لا جدال
من سنا الختم التجاني — نوركم فيض وحال
شيخنا الحافظ أبشر — جاءكم أهل الوصال
شدت دارا للتجاني — دار أقطاب الكمال
وهي تزهو اليوم فخرا — في صفاء ودلال
تنفح القوم عبيرا — طيبا سهل المنال
وبها الذكر مقام — بانتظام واعتدال

---

(1) أخرجه أبو داود 310/2 ، حديث رقم 3527 ، وأحمد في المسند 342/5 ، 343 ، وابن حبان في صحيحه 332/2 ، وأبو يعلى في مسنده 495/10 ، 233/12 ، وابن أبي شيبة في المصنف 45/7 ، والبيهقي في شعب الإيمان 485/6 ، 486 ، والنسائي في السنن الكبرى 362/6 .

إن حب القطب التجاني بـالـرضـي فـالـهـم زال
روحـه فـيـنـا جـمـعـا سـرهـا يـمـحـو الـضـلال
والـرجـاء مـنـا وطـيـد والـتـجـاء وابـتـهـال
أن يـتـيـح الله لـلـسـنـغـال تـحـقـيـق الآمـال
مـنـك يـا إبـراهـيـم نـور لـلـهـدى در غـوال
وعـلـى طـه صـلاة وبـهـا خـتـم الـمـقـال

خليل عبد المجيد وهبي

انتهى

المشهد

للقطب الشهير مولانا / الحاج إبراهيم نياس الكولخي

بسم الله الرحمن الرحيم

قال سيّدنا القطب الشهير الحاج إبراهيم نياس بن الحاج عبد الله :

اللهمّ صلّ على سيّدنا محمد الذي هو باب السّيادة ومفتاح أبواب السّعادة وعلى آله وصحبه الموصوفين بالزهادة والعبادة ، صلاة وسلاما ينيلان الحسنى وزيادة ، ويوجبان الفوز بالرضى الأبدي والختم بالشهادة .

وبعد :

فقد شاهد الفقير الذليل وأشهد ما به ينتج في الدارين هذا المشهد عيانا أنتجه إيمان وأرجو من الكريم المنان أن يرزق مثله جميع الإخوان مصداق قول شيخنا القطب المكتوم والختم المحمدي المعلوم عليه من الله أتمّ الرضوان المختوم أن مقامنا عند الله لا يصله من الأولياء من كبر شأنه ولا من صغر . وقوله رضي الله عنه وأرضاه وعنّا به آمين : إن لنا مرتبة عند الله تناهت في العلوّ إلى حدّ يحرم ذكره وليس هو ما أفشيه لكم إلى آخر ما قال : وقوله رضي الله عنه وأرضاه وعنا به آمين لو اطلع أكابر العارفين على ما أعدّ الله لأصحابي لبكوا وقالوا ربنا ما أعطيتنا شيئا . وقوله رضي الله عنه وأرضاه وعنا به آمين : أعمار الناس ذهبت مجانا إلا أصحاب الفاتح لما أغلق . وقوله رضي الله عنه أعطاني الله سبحانه وتعالى في السبع المثاني ما لا يعلمه ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا هو ﷺ وهو الذي تفضل علي وأولانا ولله الحمد ومزيد الشكر وقوله رضي الله عنه وأرضاه وعنا به آمين : إن الفيوض التي تفيض من ذات سيّد الوجود تتلقاه ذاتي ومني يتفرّق على سائر الخليقة . وقوله رضي الله عنه وأرضاه وعنا به آمين : كل الطرق تدخل عليها طريقنا وتبطلها وطابعنا محمدي يركب كل طابع ولا يركب طابع طابعنا . وقوله رضي الله عنه وأرضاه وعنا به آمين : قدماي هاتان على رقبة كل ولي لله تعالى من أول النشأة إلى النفخ في الصور . وقوله رضي الله عنه وأرضاه وعنا به آمين : روحي وروحه ﷺ كهاتين وأشار بإصبعيه والتي تليها روحه ﷺ تمدّ الأنبياء والمرسلين وروحي تمدّ الأولياء

والعارفين من عهد آدم إلى النفخ في الصور . وقوله رضي الله عنه وأرضاه وعنا به آمين : لو كان ابن الناصر حيّا وقلت له تحيّد لا يسعه إلا التحيّد . وقوله رضي الله عنه وأرضاه وعنا به آمين أنا خاتم الأولياء كما أنه ﷺ خاتم الأنبياء عليه السلام .

فقلت : الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا جزيلا جميلا دائما دوام ملك الله قد شاهدت في ذلك المشهد العظيم ليلة العاشر من شهر ربيع المولد ليلة الأحد عام : 1366 هجرية على مهاجرها أتمّ التحيّة وأطيب السلام ، ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر من علو مرتبة سيخنا القطب المكتوم وتوحده في مقام التصرف المطلق في العلوي والسفلي والإنسي والجني والمكي في حياته وبعدها إلى النفخ في الصور ، ومن إحاطته بجميع المقامات والأحوال والمعارف والحقائق والدقائق والرقائق واللطائف والمنح والفيوضات الربّانية واستيلائه على قصوى مراتب الجميع ومن سريان سره ومن استمداده من العيون ومن إنسان العيون وإفاضته العيون على العيون ومن إجراء فيضه الفيّاض الساري مدده إلى كافة أصحابه ومن هم إلى أصحابهم بقدر ما للكل من الحظ والنصيب ومن اختصاص أصحاب الفاتح بالنور الواضح والربح الراجح وحوزهم ما لا يحيط به إلا مانح الفضل ذو الطول ومن تقسيم أصحاب المقامات تحت صفوف أصحابه الفائزين به صفوفا صفوفا ألوفا ، ومن كيفية إمداده للأعلين وتنزله لإفاضته للأسفلين كل بقدر ما خصّه به الفاعل المختار ، ومن اختصاص فقرائه بسر اللطف الخصوصي بعد اللطف العمومي ، ومن فوزهم بالخمس التي ما دناهم فيها غيرهم لا من سبق ومن سيلحق الصحبة والمحبة والقبول والرضى والأمان ، فيا لها من خمس لا تنال إلا بمحض فضل الكريم المنان ، ومن تقسيم رجال طريقته المحمدية الكاملين أصحاب التربية إلى ثلاثمائة وثلاثة عشر قسما تحقيقا للوراثة المحمّدية والملة الحنيفية ، منهم أربعون يربّون بها بالهمة وثلاثون باللحظة وعشرون بالخلطة وعشرة باللقمة وثمانون باللقاء وأربعون بالسرّ وتسعة عشر بالذكر ، ومن أصحاب الفيض الخاص الماضي والآتي والحال ومشاهدتي للحال ذي المغرب الجمالي ومشاهدتي لسرّ تحمله الفيضة الأحمدية جملة وتفصيلا وتحققي بمشاهدة إفاضته لها على الكلّ تمليكا وتنويلا .

فأحمد الله الذي جعل له المنّة عليّ وقدّر بفضله إجراء الفيضة عليّ وقال خذها

من الشيخ إليك ومنه إليّ ومني إليك ومنك إليهم هذا والله مقام عند بلوغه ذابت له كليتي واندكت جملتي :

ما كنت أدري من أنا ولا بدا لي من هنا
ذابت هنا كليتي وغبت عن هويتي
وما رجوت أنني دريت أني أنني
حتّى تبدت شمسه وعانقتني نفسه
وشمّ كلي طيبه فانجاب عنّي غيبه

ولمّا تمّ لي الإحساس فإذا قلمي بيد صاحب الفيضة كأنّه قرطاس فأمر صاحب الختميّة صاحب الفيضة أن يكتب فيه سبعة أسطر فإذا به قد كتب :

الحمد لله على ما وهب .

السطر الأول : سبع المثاني مع البسملة الجامعة لأسرار المعاني .

السطر الثاني : ا ل م ر ص ن ق

السطر الثالث : حي قيّوم قهار عليم قادر لطيف كريم

السطر الرابع : اللهم صلّ على سيّدنا محمد الفاتح إلخ ، وكتب معها الحروف الأربعة التي بها يدرك الفرق بين الظاهر والباطن والمنقول والمعقول والمقبول والمطرود والمفتوح والمحجوب إلخ ..

السطر الخامس : قوله الحقّ وله الملك .

السطر السادس : لا إله إلا الله محمّد رسول الله .

السطر السادس : هو هو هو هو هو هو هو

فمسح الختم على صدري ودعا الله أن يطيل عمري ويديم برّي ويهديني ويرزقني مقام الحبّ والقرب .

والحمد لله ربّ العالمين سبحان ﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ .

يوم الأحد 10 ربيع الأول عام 1366 هجرية ، اعلم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ، ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ ، ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ .

* * *

أخبار مطلع الخطبة التي تكلم بها
مولانا الشيخ بنعمر
حين نزل في كولخ وسيدنا الشيخ إبراهيم هو المترجم
ومبلغ الجماعة عام 1370 هـ أم فتوح ربنا المتعالي

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على النبي الكريم

الحمد لله الذي أنعم علينا بإيجاد سيدنا محمد رسول الله ﷺ خاتم النبيئين ، وكمل لنا تلك النعمة بإيجاد سيدنا أحمد التجاني رضي الله عنه خاتم الأولياء ، فجعلنا بالأول خير أمة كما نطق القرآن العزيز ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ وبالثاني ثلة من الآخرين ، بوعد صادق صدر لنا من الشيخ أبي العباس وأكرمنا اليوم بحلول فرع الشجرتين وسلالة الأرومتين والجامع بين النسبتين والمتخلق بأخلاق تينك الحضرتين ، وهو سيدنا ومولانا بنعمر بن سيدنا محمد الكبير بن سيدنا ومولانا محمد البشير بن سيدنا ومولانا محمد الحبيب بن سيدنا ومولانا شيخنا ووسيلتنا إلى ربنا القطب المكتوم والبرزخ المعلوم خاتم الولاية المحمدية وصاحب الحضرة الأحمدية شيخنا أحمد بن محمد التجاني الحسني رضي الله عنه وأرضاهم وعنا به آمين القائل لا يشرب ولي ولا يسقى إلا من بحرنا وهو القائل أنا رجلها من قاف إلى قاف وهو القائل كل الشيوخ أخذوا عني وهو القائل : قال لي سيد الوجود ﷺ : (أنت من الآمنين) وهو القائل قدماي هاتان على رقبة كل ولي لله تعالى من نشأة العالم إلى النفخ في الصور وليس لأحد من الأقطاب أن يدخل كافة أصحابه الجنة بغير حساب ولا عقاب ولو عملوا من المعاصي ما عملوا وبلغوا من الذنوب ما بلغوا إلا أنا وحدي إلى غير ذلك من مقالاته التي تشير إلى مقامه . وظفر من تعلق به بمرامه ، فجال هذا الحفيد الوارث سيدنا الشيخ التجاني بنعمر من المغرب الأقصى إلى الشرق الأدنى ودخل بلادنا الإفريقيا الشمالية محفوفا بالكرامة ملحوظا بالعناية سيدنا ومولانا هذه بلاد الإسلام بقدرة الله الكريم الوهاب يرزق من يشاء بغير حساب ولكن ما دخلها نبي ولا رسول ولا صحابي ولا تابعي بإرادة الله تعالى بل ولا سيدنا التجاني رضي الله عنه وأرضاه وادخرها الله لكم وربما للمتأخر . سيدنا دخلتم هذه البلاد وهذه الأقطار في هذه الأزمان والأعصار وما دخلتم بلدة إلا ودخل الكفار في الإسلام وشاع ذكر الله في الأعراب والأعاجم ودخل في الطريقة

السلاطين والعلماء الأعلام حتى حللتم اليوم مدينة كولخ ضيفا كريما عزيزا محبوبا طالما راقبنا منكم ذلك الحلول وتشوفنا إليه وتشوقنا وتعطشنا وتوحشنا منذ زمن طويل فمرحبا بكم وأهلا وسهلا فجعلتمونا سيدنا خاتمة سياحتكم ومن يمنكم نرجو أن يكون ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون . كولخ عاصمة سين سالم الذي في عدد السكان ثلث سنغال وفي المحصلات والثمرة هي ثلثا سنغال ، وتسعون في المائة من أهلها مسلمون وتسعون في المائة من المسلمين تجانيون وكلهم تحت أمركم ، وجزء من تلك الطائفة حوالي جلالتكم لزيارتكم وتجديد العهد منكم والاستمداد . وكلنا يتمنى أن يسمع من سيادتكم ألفاظا تقوده إلى سبيل الرشاد فذكرنا كما قال تعالى : ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ .

إخواني وأحبابي هذا العبد الحقير كان يبلغ لكم نائبا عن هذه الحضرة واليوم فهذا هو صاحب الطريقة إذ هو الشيخ التجاني فقد قال رضي الله عنه : (أنا لا أموت) فاسمعوا منه ووعوا واعتقدوا أن من سمع عن الشيخ رضي الله عنه فقد سمع عن سيد الوجود ﷺ .

ومن سمع عن النبي ﷺ فكأنما سمع عن الله تعالى ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ﴾ أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

والسلام أخوكم ومحبكم إبراهيم بن الحاج عبد الله الكولخي .

انتهى

صارم الأحمدي في قطع تلبيسات ابن أحمدي

لمولانا شيخ الإسلام الحاج إبراهيم نياس الكولخي

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلّى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله حقّ قدره ومقداره العظيم يقول العبد الفقير إلى مولاه إبراهيم بن الحاج عبد الله التجاني :

الحمد لله الأوّل والآخر والظاهر والباطن وهو بكلّ شيء عليم . من لا يحاط بشيء من عمله إلاّ بما شاء القائل ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ .

والصلاة والسلام على من أنزل عليه ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ . وعلى آله وصحابته الهادين المهتدين القادة لكل من أتى من بعدهم عليهم ، والتابعين الآخذين بحبله المتين ، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين . أمّا بعد فقد جعل لكلّ نبي وصديق عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا . كما سبقت به مشيئته ونصّ عليه كتابه ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ . فلم تزل الأشراف تبتلى بالأطراف . إن يسمعوا غيبة طاروا بها فرحا وما سمعوا من صالح عمل دفنوا . فمن ذلك أن نصح العالم العلامة ، والدراكة النقادة الفهامة الخلف بعد السلف حامد ابن سيدي محنض أسامي لم تزد معرفة وإنما لذة كتبناها فصار يكابر ويعانده من لا يشق له غبار تصنعا وسمعة وعنادا واستكبارا بما تحدثه به نفسه من أنه ناصر السنة وللمسلمين والإسلام مصباح الدجنة فجره ذلك إلى التجاسر على الإنكار على أولياء الله المقربين حتى صار ينفي ما أثبته في محكم التنزيل ربّ العالمين هذا واكتفى بقراءة آي الصفات ويفوض في علم المتشابهات إلى علام الخفيات ، أو يقبل نصيحة أرباب العلوم والديانات ويكف لسانه عن أولي العلم والتقى والولايات ، ويجعل ما جهل من جملة ما لديه من المجهولات ويشتغل بنفسها وعيوبها عن تتبع العورات ويترك الحسد الذي هو بعد الجهل أكبر الأمراض المعضلات فلما لم يردعه شيء عن غوايته وإغوائه ولم يرعو في إبان ارعوائه . وقد وقفت على تلبيساته وترهاته وما زخرفه في خزعبلاته قيّدت له هذه الرسالة وقطعت أباطيله في هذه العجالة ، وسميتها صارم الأحمدي في قطع تلبيسات ابن أحمدي . وهذا أوان الشروع في المقصود بعون الملك المعبود فأقول وبالله التوفيق وهو الهادي بمنه إلى سواء الطريق :

أما قوله : إن الإجماع لا يحتاج إلى دليل فمخالف لنصوص العلماء قال سيف الدين الآمدي في الأحكام ما نصه : والإجماع حجة ولا يكون إلا عن دليل . والخلاف في هل أدلته سمعية أو وعظية والأول هو الراجح الذي عليه الجمهور . وأيضا فالعلم بحقيقة المعية لا يكون إلا عن كشف وشهود لأنه غيب وقد قال العلامة المواق في سنن المهتدين ما نصه : إنّ محل الإجماع ما يدرك بالاجتهاد دون الأمور الغيبية فلا اعتداد بالإجماع في مثله أهـ . ومع هذا فالإجماع الذي أدعو على تأويل المعية بالعلم قد انتقض بكثرة من نازع فيه وتنصيص الأئمة بوقوع الخلاف فيها قديما وحديثا وأن الإجماع موضوع في غير محله وإضراب السلف عن التأويل مطلقا كما ستقف على ذلك في الأنقال الآتية إن شاء الله تعالى . وأما قوله : إن البحث عن سند الحديث تنطّع الخ ... فالبحث عن سند حديث التأويل يوجبه كثرة اختلاف الناس في ذلك الموضع . والحديث سنده كما ترى قال الفخر الرازي عند آية ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾ : واختلف الناس في هذا الموضع فمنهم من قال إن الكلام تم ههنا ثم الواو في قوله ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾ واو الابتداء وعلى هذا القول لا يعلم المتشابه إلا الله وهذا قول ابن عباس وعائشة والحسن ومالك بن أنس والفراء ومن المعتزلة قول أبي علي الجبائي وهو المختار عندنا والقول الثاني إن الكلام إنما يتم عند قوله ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾ وعلى هذا القول يكون العلم بالمتشابه محصلا عند الله تعالى وعند الراسخين في العلم . وهذا القول أيضا مروي عن ابن عباس ومجاهد وربيع بن أنس وأكثر المتكلمين والذي يدل على صحة القول الأول وجوه إلى أن قال : الحجة السادسة نقل عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال : تفسير القرءان على أربعة أوجه تفسير لا يصح لأحد جهله وتفسير تعرفه العرب وتفسير تعرفه العلماء وتفسير لا يعرفه إلا الله تعالى أهـ وفي الإتقان بعد ذكر الاختلاف في هل المتشابه مما يمكن الاطلاع على علمه أو لا يعلمه إلا الله قال : وأما الأكثرون من الصحابة والتابعين وأتباعهم ومن بعدهم خصوصا أهل السنة فذهبوا إلى الثاني وهو أصح الروايات عن ابن عباس قال ابن السمعاني : لم يذهب إلى القول الأول إلا شرذمة قليلة واختاره العتبي قال : وكان يعتقد مذهب السلف لكنه سها في هذه المسألة قال : فإن لكل جواد كبوة ولكل عالم هفوة . قال السيوطي : ويدل لصحة مذهب

الأكثرين ما أخرجه عبد الرزاق في تفسير الحاكم في مستدركه عن ابن عباس أنه كان يقرأ ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾ ويقول : الراسخون في العلم آمنا به فهذا يدل على أن الواو للاستيناف ولأن هذه الرواية وإن لم تثبت بها القراءة فأقل درجتها أن تكون خبرا بإسناد صحيح إلى ترجمان القرءان فيقدم كلامه في ذلك على من دونه أهـ .

وفي إكمال الإكمال ما نصه : وكاد أن يكون علم الراسخين بالمتشابه من التشابه أهـ منه بلفظه فإن كان الاختلاف هكذا والسلف أضربوا عن التأويل واكتفوا بالتسليم والتفويض والقول بتمام الكلام عند قوله تعالى ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾ رواية عن ابن عباس وكأنه الأقوى فالبحث عن سند التأويل ورع لا تنطع ولا وسوسة فالتعرف الفرق بين الثلاثة . وأما القول عن الحديث إذا استشهد به العلماء في التفسير فذلك يكفي في التنصيص على صحته فباطل لا أصل له ولا قائل به قال الإمام جلال الدين السيوطي في إلحاق ما نصه : وما كل حديث وجد مقطوعا بغير سند في كتاب يجوز الاعتماد عليه حتى يثبت تخريجه في كتاب حافظ بسند متصل صحيح وكم في الكتب من أحاديث لا أصل لها أهـ وقال في الجواب لمن سأله عن أحاديث توجد في الكتب ما نصه : لا ترووا منها إلا ما ثبت وروده وإلا فقفوا عن روايتها حتى تكتبوا إلي بها وأنبئكم بأمرها وإذا علمتم أن الحديث في سائر الكتب الستة أو مسند الإمام أحمد فاروه مطمئنين وكذلك ما كان مذكورا في تصانيف الشيخ محيي الدين النووي أو المنذري صاحب الترغيب والترهيب فاروه أهـ منه بلفظه وضابط الصحيح المتفق عليه والمختلف فيه معروف في اصطلاح أهل الحديث والمدار على ذلك قال العراقي في ألفيته : وأهل هذا الشأن قسموا السنن إلى صحيح وضعيف وحسن فالأول المتصل الإسناد بنقل عدل ضابط الفؤاد عن مثله من غير ما شذوذ وعلة قادحة فتوذي .

وانظر الحاوي فقد قسمه عشرة أقسام خمسة متفق عليها وخمسة مختلف فيها فراجعه إن شئت وقوله إن في روح البيان : إن السلف أول المعية بالعلم لم أقف عليه والذي قال في الآية ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ﴾ وهذه الأينية كالمعية من المبهمات والمتشابهات ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾ ، ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ أهـ

وقوله إن تطرق الخلاف لا يقدح في الإجماع ولا يقطع حجيته فقد قال الفخر الرازي : والإجماع مع مخالفة الواحد أو الاثنين لا ينعقد أهـ ومعلوم أن الأدلة الدالة على كون الإجماع حجة الأخبار الدالة على عصمة الأمة عن الخطأ ومع خروج بعضهم فلا يكون إجماع الأمة بل إجماع بعضهم فلا يكون حجة كما في الحكام وقد قال العلامة أحمد بن مبارك : إن الإجماع بتأويل المعية بالعلم موضوع في غير محله وأن المجمع عليه إنما هو صرف المعية عن الظاهر المحال أهـ وما زعم أن من شـذ عن تأويل المعية بالعمل شـذ به إلى النار لأن العقائد لا يلتفت فيها إلى القول الشاذ أهـ .

فجوابه أن هذه العقيدة لم تعرف قبله فالعلم بالمتشابه ليس فرض عين ولا كفاية فضلا من أن يكون عقيدة بل علم التفسير الذي هو أشرف العلوم وعلم الحديث والفقه ليسا فرض عين بالإجماع بل هي فرض كفاية أهـ . وقال الشعراني ما نصه : فمذهب السلف التسليم ومذهب الخلف التأويل ثم إنهم اتفقوا وخلفا على أن جهلنا بتفصيل ذلك لا يقدح في اعتقادنا المراد منها مجملا قالوا والتفويض أسلم والتأويل إلى الخطأ أقرب أهـ كلامه .

وقال الشيخ زروق في شرح الرسالة : قال بعضهم لئن كان التأويل أعلم فالتسليم أسلم ويسعنا ما وسع سلفنا من ذلك ولا يضرنا الجهل بتعيين المجمل إذا صح لنا التنزيه ونفي التشبيه فليس ثم ألحن من صاحب الحجة بحجته وقد نسب الطرطوشي لمالك القول بالتأويل ونسب له غيره القول بالتفويض وبه قال الشافعي إذا قال آمنا بالله وبما جاء عن الله على مراد الله وبما جاء عن الرسول على مراد رسول الله أهـ وقال الشعراني : وكان الشيخ محيي الدين رضي الله عنه يقول : أسلم العقائد الإيمان بما أنزل الله على مراد الله إذ الحق تعالى ما كلفنا أن نعلم حقيقة نسبة الصفات إليه لعلمه بعجزنا عنه فإنه حقيقته مباينة لجميع صفات خلقه وحقائقهم وإن كان هكذا فمن اتبع مذهب السلف وخالف بعض التأويلات لا يقال إنه شاذ ومبتدع عند أهل الحق بل تبديعه من أعظم البدع قال المواق : وكان السيد ابن السراج يقول : بدعة ضلالة أن تحكم على شيء بغير حكمه وقوله إن برهان باطل لا أصل له وإن بعض الناس غلط في فهم كلام ابن عباس فظن أن معنى كلامه أنه أول المعية التي وردت

في القرءان بالمعية بالعلم وهو فهم فاسد وأن ليس ثم معية أصلا لا بالذات ولا العلم ولا غير ذلك أقول :

خليلي هذا ربع عزة فاعقلا   قلوصيكما ثم ابكيا حيث حلت

قال العارف بالله عبد الوهاب الشعراني في اليواقيت والجواهر ما نصه : وهذه المسئلة من المعضلات لاختلاف السلف فيها قديما وحديثا ولكن من يقول إن المعية راجعة للصفات لا للذات أكمل في الأدب ممن يقول إنه تعالى معنا بذاته وصفاته وإن كانت الصفة الإلهية لا تفارق الموصوف قال وقد وقع في هذه المسئلة عقد مجلس في الجامع الأزهر في سنة خمس وتسع مائة بين الشيخ بدر الدين العلائي الحنفي وبين الشيخ إبراهيم المواهبي الشاذلي وصنف فيها الشيخ إبراهيم رسالة وأنا اذكر لك عيونها لتحيط به علما وأقول وبالله التوفيق ومن خطه نقلت : قال الشيخ بدر الدين العلائي الحنفي والشيخ زكريا والشيخ برهان الدين بن أبي شريف وجماعة أن الله تعالى معنا باسمه وصفاته لا بذاته فقال الشيخ إبراهيم : بل هو معنا بذاته وصفاته فقالوا له : ما الدليل على ذلك ؟ فقال قوله تعالى : ﴿وَٱللَّهُ مَعَكُمۡ﴾ وقوله تعالى : ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ﴾ ومعلوم أن الله علم على الذات فيجب اعتقاد المعية الذاتية ذوقا عقلا لثبوتها نقلا وعقلا فقالوا له وضح لنا ذلك ؟ فقال : حقيقة المعية مصاحبة شيء لآخر سواء كانا واجبين كذات الله مع صفاته أو جائزين كالإنسان مع مثله أو واجبا وجائزا وهو معية الله تعالى لخلقه بذاته وصفاته المفهومة من قوله تعالى : ﴿وَٱللَّهُ مَعَكُمۡ﴾ ومن نحو ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ وذلك لما قدمناه من أن مدلول الاسم الكريم إنما هو الذات اللازمة لها الصفات المعنية لتعلقها بجميع الممكنات وليست كمعية متحيزين لعدم مماثلته تعالى لخلقه الموصوفة بالجسمية المفتقرة للوازمها الضرورية كالحلول في الجهة الأينية الزمانية والمكانية فتعالت معيته تعالى عن الشبه والنظير بكماله تعالى وارتفاعه عن صفات خلقه ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ قال : ولهذا قررنا انتفاء القول بلزوم الحلول في حيز الكائنات على القول بمعية الذات مع أنه يلزم من معية الصفات دون الذات انفكاك الصفات عن الذات وبعضها وتحيزها وسائر لوازمها وحينئذ فيلزم من معية الصفات لشئ معية الذات له وعكسه لتلازمهما مع تعاليهما

عن المكان ولوازم الإمكان لأنه تعالى مباين لصفات خلقه تباينا مطلقا وقد قال العلامة الغزنوي في شرح عقائد النسفي : إن قول المعتزلة وجمهور البخارية إن الحق تعالى في كل مكان بعلمه وقدرته وتدبيره دون ذاته باطل لأنه لا يلزم أن من علم مكانا أن يكون في ذلك المكان بالعلم فقط ألا إن كل صفاته تنفك عن ذاته كما هو صفة علم الخلق لا علم الحق أهـ على أنه يلزم من القول بأن الله تعالى معنا بالعلم فقط دون الذات استقلال الصفات بأنفسها دون الذات وذلك غير معقول فقالوا له : فهل وافقك أحد غير الغزنوي في ذلك ؟ فقال : نعم . ذكر شيخ الإسلام ابن اللبان رحمه الله في قوله تعالى : ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ إن في هذه الآية دليلا على قربيته تعالى من عبده قربا حقيقيا كما يليق بذاته لتعاليه عن المكان إذ لو كان المراد بقربه تعالى من عبده قربه بالعلم أو بالقدرة أو التدبير مثلا لقال ولكن لا تعلمون ونحوه فلما قال ولكن لا تبصرون دل على أن المراد به القرب الحقيقي المدرك بالبصر لو كشف الله عن بصرنا فإن من المعلوم أن البصر لا تعلق لإدراكه بالصفات المعنوية وإنما يتعلق بالمرئية قال : وكذلك القول في قوله تعالى : ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ ويدل أيضا على ما قلناه لأن أفعال من يدل على الإشراك في اسم القرب وإن اختلف الكيف والاشتراك بين قرب الصفات وقرب حبل الوريد لأن قرب الصفات معنوي وقرب حبل الوريد حسي وفي نسبة أقربيّته إلى الإنسان من حبل الوريد الذي هو حقيقي دليل على أن قربه تعالى حقيقي أي بالذات اللازم لها الصفات .

وقال الشيخ إبراهيم : ومما قررناه لكم انتفى أن يكون قربه تعالى منّا بصفاته دون ذاته وإن الحق الصريح هو قربه منا بالذات أيضا إذ الصفات لا تعقل مجردة عن ذات الله تعالى كما مر فقال له العلائي فما قولكم في قوله تعالى : ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ فإنه يوهم أن الله تعالى في مكان فقال الشيخ إبراهيم : لا يلزم من ذلك في حقه تعالى لا ، أين في الآية أطلقت لإفادة معية الله تعالى للمخاطبين في الأين اللازم لهم لأنه تعالى كما قدمنا فهو مع صاحب كل أين بلا أين أهـ .

فدخل عليهم الشيخ العارف بالله تعالى سيدي محمد المغربي الشاذلي شيخ جلال الدين السيوطي فقال : ما جمعكم هنا ؟ فذكروا له المسئلة فقال : تريدون علم

هذا الأمر ذوقا أو سماعا ؟ فقالوا : سماعا فقال : معية الله تعالى أزلية ليس لها ابتداء وكانت الأشياء كلها ثابتة في عمله أزلا يقينا بلا بداية لأنها متعلقة به تعلقا يستحيل عليه العدم استحالة وجود علمه الواجب وجوده بغير معلوم واستحالة طريان تعلقه بها لما يلزم عليه من حدوث علمه تعالى بعد أن لم يكن وكما أن معيته تعالى أزلية كذلك هي أبدية ليس لها انتهاء فهو تعالى معها بعد حدوثها من العدم على وفق ما في العلم يقينا وهكذا يكون الحلال بينما كان في عوالم بساطها وتركيبها وإضافتها وتجريدها من الأزل إلى ما لا نهاية له فأدهش الحاضرين بما قاله فقال لهم : اعتقدوا ما قررته لكم في المعية واعتمدوه ودعوا ما ينافيه تكونوا منزهين لمولاكم حق التنزيه ومخلصين لعقولكم من شبهات التشبيه وإن أراد أحدكم أن يعرف هذه المسئلة ذوقا فليسلم قياده لي أخرجه عن وظائفه وثيابه وماله وأولاده وأدخله الخلوة وأمنعه النوم وأكل الشهوات وأنا أضمن له وصوله إلى علم هذه المسئلة ذوقا وكشفا .

قال الشيخ إبراهيم : فما تجرأ أحد أن يدخل معه في ذلك العهد ثم قام الشيخ زكريا والشيخ برهان الدين والجماعة فقبلوا يده وانصرفوا أهـ .

فتأمل يا أخي في هذا الموضع وتدبره فإنك لا تجده في كتاب الآن أهـ .

وفي القول الأشبه فيمن عرف نفسه عرف ربه لجلال الدين السيوطي عازيا لعز الدين ابن عبد السلام الذي قال فيه ابن عرفة ولا ينعقد للمسلمين إجماع بدونه ما نصه : لمكان الروح في الجسد لا يعلم له الأينة علمنا أنه منزه عن الكيفية والأينية فلا يوصف بأين ولا كيف بل الروح موجودة في كل الجسد ما خلا منها شيء من الجسد كذلك الحق سبحانه وتعالى موجود في كل ما خلا منه مكان وتنزه عن المكان والزمان أهـ .

وقال الفخر الرازي : اعلم أنه قد ثبت أن كل ما عدا الواجب الحق فهو ممكن إلى وجود وكل ممكن فوجوده من الواجب فإذن وصول الماهية الممكنة إلى وجودها بواسطة إفادة الواجب الحق ذلك الوجود لتلك الماهية فالحق سبحانه هو المتوسط بين كل ماهية وبين وجودها فهو إلى كل ماهية أقرب من وجود تلك الماهية ومن هذا السر قال المحققون : ما رأيت شيئا إلا ورأيت الله قبله وقال المتوسطون : ما رأيت شيئا إلا ورأيت الله معه وقال الظاهريون : ما رأيت شيئا إلاّ

ورأيت الله بعده أهـ ثم قال ثم بين بقوله ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ معيته لنا بسبب القدرة والإيجاد والتكوين وبسبب العلم وهو كونه عالما بظواهرنا وبواطننا أهـ وفي الفخر إن مصحف عبد الله (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا الله رابعهم ولا أربعة إلا الله خامسهم ولا خمسة إلا الله سادسهم ولا أقل من ذلك ولا أكثر إلا الله معهم إذا أخذوا في التناجي) أهـ .

وقال أبو السعود عند قوله تعالى : ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ ما نصه : عبر عن قرب العلم بقرب الذات تجوزا إلا أنه واجب له أهـ .

وقال العلامة الشيخ محمد عليش في فتاوى ما نصه : وقد سئل شيخ المشائخ خاتمة المحققين أبو محمد الأمين عن معنى قوله في صفات الله تبارك وتعالى واحد لا من قلة وموجود لا من علة فأجاب بما نصه : الحمد لله الذي يحضر الفقير في شرحه وجوه إلى أن قال : الثالث إن وحدته ليست وحدات القلة كما يقع في الحوادث بل واحد إليه ترجع جميع الكثيرات وعلى وحدته تدور ألا إلى الله تصير الأمور فهو واحد ظهرت وحدته في جميع المظاهر فهو الأول والآخر والظاهر والباطن ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ وهذا معنى شريف لا يكمن شرحه بالتعبير إنما يذاق بحسب الفتح والتجلي من الفتاح الخبير وهو معنى شهود الوحدة في الكثرة الذي يعبر عنه القوم بوحدة الوجود وقد سفكت فيها دماء كثيرة بسبب العبارات الموهمة والمعنى قد يتعاظم على العبارة فلا يمكنها الإحاطة به حق الإحاطة فمن تكلف في ذلك التعبير وقع في أمر خطير قال الشاعر :

ويكفيك من ذاك المسمى إشارة ودعه مصونا بالجلال محجبا

فحاشا الله ومعاذ الله من أن يريد القوم حلولا واتحادا كما توهمه العبارة قال العارف ابن وفا رضي الله عنه ونفعنا به حاكيا عن الحضرة :

وعلمك أن كل الأمر أمري هو المعنى المسمى باتحاد ومقام العامة في هذا تصديق الإيمان بأن الأمر كله لله تعالى وإنما اختص الخواص بالذوق والعبارة وفرق

بينهما من يعرف أن العسل حلو وبين حال من يذوقه بالفعل وهذا بحر لا ساحل له فلنمسك عنان القلم قال بعض العارفين : إنما كفر من قال : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ لأنه جعله بعضا من الثلاثة كما هو قاعدة فاعل مع ما اشتق منه من العدد فأوقع المشاكلة والمشابهة وجعله بعضا من متعدد بخلاف ﴿مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ فإن فيه معنى الجعل والتأثير كما هو قاعدة فاعل مع ما هو دونه فمعنى رابع الثلاثة جاعل الثلاثة أربعة فليتأمل وقال في إكمال الإكمال : الأظهر كون المعية بمعنى الحضور لأنه أبعث النفوس على العبادة أهـ وهذه الأقوال من أجلاء العلماء والأئمة الصلحاء الذين حسب المقلد مثلي تقليدهم مصرحة بالمعية بالذات على الوجه اللائق الذي ليس فيه إلا التنزيه الكامل ونفي التشبه وأن ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، وأما من قال إن المعية بالعلم والإحاطة والقدرة وهذا إذا تأمل قريب من الأول بل عينه ففي جواهر الحسان قوله ﴿إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ أي بعلمه وإحاطته وقدرته وكذا قوله في آية : ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ أهـ قال معناه بعلمه وإحاطته وهذه آية أجمعت الأمة على هذا التأويل فيها أهـ .

وقال الجلال المحليّ ﴿إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ بعلمه وقال المحشي الصاوي : أي وبسمعه وبصره ومتعلق بهم قدرته وإرادته ولأهل الله المقربين في سر المعية مشاهدات وتجليات ومقامات يذوقها من شرب من مشاربهم أهـ .

وقال في روح البيان : وقال بعض الكبار : تلك المعية ليست هي ما يتصور بالفعل حسا أو ذهنا أو خيالا أو وهما تعالى شأنه عن ذلك علوا كبيرا وإنما هي معية تفرد الحق سبحانه بعينها وتحققها وعلمها لا يعلم سره إلا من أطلعه الله عليه من الكمل أهـ .

وفي الإتقان بعد ما قال : إن الأصح مذهب السلف وصار يذكر ما وقف عليه من تأويلات العلماء في المعية إلى أن قال : ومن ذلك قوله تعالى : ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ أي بعلمه أهـ هذا وقد سئل عز الدين بن عبد السلام كما في شرح الرسالة للعلامة الشيخ زروق عن كلام الشيخ وهو في كل مكان بعلمه هل ظاهره القول بالجهة فأجاب بظاهره القول بالجهة أهـ وقال فيه بعد كلام : وقال النجارية : هو في كل مكان بذاته وقال المعتزلة هو في كل مكان بعلمه لا بالذات أهـ .

وقال قبل هذا الشيخ زروق ما نصه : فيجب لصفاته تعالى من التنزيه والتعظيم ما يجب لذاته الكريمة أهـ وقال الشرقاوي في حديث : « وأنا معه » (1) هي معية خصوصية أي معية بالرحمة والتوفيق والهداية والرعاية والإعانة فهي غير المعية المعلومة من قوله : ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ فإن معناها المعية بالعلم والإحاطة . فكيف يقال إن برهان المكي باطل وفهمه فاسد وهو مبني على نصوص العلماء الأعلام مشائخ الإسلام بل القول ببطلانه أعظم البطلان وأكبر البهتان :

وكم من عائب قولا صحيحا وآفته من الفهم السقيم

واعلم أن الحق جلّ وعلا مخالف للحوادث إذ ليس كمثله شيء فلا يلحقه بتغيير المضاف إليه إذ القديم كان الله ولا شيء معه وهو مع كل شيء كما قال أن الله تعالى « كان وليس معه شيء » (2) . على نحت المعاني من معادنها وما علي إذا لم تفهم البقر .

قال في إيقاظ الهمم ما نصه : والقديم والحادث لا يلتقيان قال رجل بين يدي الجنيد رضي الله عنه : الحمد لله ولم يقل رب العالمين فقال له الجنيد : كمله يا أخي فقال له الرجل : وأيّ قدر للعالمين حتى يذكروا معه فقال الجنيد قله يا أخي فإن الحادث إذا قرن القديم تلاشى الحادث وبقي القديم فقد تقرر أن الأشياء كلها في حيز العدم إذ لا يثبت الحادث مع مثله وصف القدم فينتفي القول بالاتحاد إذ معنى الاتحاد هو اقتران القديم مع الحادث فيتحدان حتى يكونا شيئا واحدا وهو محال أيضا إذ هو مبني على وجود سوى ولا سوى وقد يطلقون الاتحاد على الوحدة . المراد منه بلفظه وأما خوضه في مذهب المخالفين له وجعله التفويض في المتشابه هو الحضيض فافهم أسوة حسنة في السلف الصالح فإن مذهبهم كما تقدم التفويض في المتشابه ففي حاشية السندى على سنن ابن ماجه ما نصه : قال البغوي في شرح السنة كلما جاء في الكتاب والسنة من هذا القبيل في صفاته تعالى كالنفس

---

(1) هو من حديث : « أنا عند ظن عبدي بي ... » أخرجه البخاري 2694/6 ، حديث رقم 6970 ، ومسلم 2061/4 ، 2067 ، 2099 ، حديث رقم 2675 .

(2) تقدم تخريجه .

والوجه والعين والأصبع واليد والرجل والإتيان والمجيء والنزول إلى السماء والاستواء على العرش والضحك والفرح فهذه ونظائرها صفات الله تعالى عز وجل ورد بها السمع فيجب الإيمان بها وإبقاؤها على ظاهرها معرضا فيه عن التأويل مجتنبا عن التشبيه معتقدا أنّ الباري سبحانه وتعالى لا يشبه من صفاته صفات الخلق كما لا تشبه ذاته ذوات الخلق قال تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ وعلى هذا مضى سلف الأمة وعلماء السنة تلقوها جميعا بالقبول وتجنبوا فيها عن التمثيل والتأويل ووكلوا العلم فيها إلى الله كما أخبر سبحانه عن الراسخين في العلم فقال عز وجل : ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾ قال سفيان بن عيينة : كلما وصف الله سبحانه وتعالى به نفسه في كتابه فتفسيره قراءته والسكوت عليه ليس لأحد أن يفسره إلا الله عز وجل ورسله . وسأل رجل مالك بن أنس عن قوله تعالى : ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ كيف استوى ؟ فقال : الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما أراك إلا ضالا وأمر به أن يخرج من المجلس وقال الوليد بن مسلم : فسألت الأوزاعي وسفيان ابن عيينة ومالكا عن هذه الأحاديث في الصفات والرؤية فقال : أمرها كما جاءت بلا كيف . وقال على البيان وما على الرسول إلا البلاغ وعلينا التسليم وقال بعض السلف : قدم الإسلام لا يثبت إلا على قنطرة التسليم . وبنحو هذا صرح كثير من المحققين فعليك به والله الموفق للصواب . وقال الإمام العلامة الصاوي في حاشيته على الجلالين قوله استواء يليق به هذه طريقة السلف الذين يفوضون علم المتشابه لله تعالى ومن ذلك جواب الإمام مالك رضي الله عنه عن معنى الاستواء على العرش في حقه تعالى حيث قال للسائل : الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة أخرجوا عني هذا المبتدع وأما الخلق وهم من بعد الخمس مائة فيأولونه بمعنى صحيح لائق به سبحانه إلى آخر كلامه في مراجعه وقال إمام الحرمين ما نصه : الذي نرتضيه دينا وندين الله به عقيدة اتباع سلف الأمة الدليل القاطع على أن إجماع الأمة حجة فلو كان تأويل هذه الظواهر حتما لأوشك أن يكون اهتمامهم به فوق اهتمامهم بفروع الشريعة وإذا نص في عصر الصحابة والتابعين على الإضراب عن التأويل كان ذلك هو الوجه المتبع . وأما اعتقادنا في أشياخنا رضوان الله عليهم

وإعجابنا بهم فعن بصيرة ويقين لا يزحزحنا عنه تلبيس ملبس فمن ساءه ذلك فلسان الحال ينشد :

عبد شمس جدي فإن كنت غضبي   فاملأ وجهك الجميل خموشا

وما بقي من تزكيته نفسه وإنه أفضى إلى ما أفضى إليه القرون الثلاثة المزكون وغير ذلك من الأقاويل السخيفة التي لا طائل تحتها فكلها دعاوى لم تقم لها بينه :

والدعاوي ما لم تقيموا عليها   بينات أبناؤها أدعياء

والله يوفقنا وسائر إخواننا لما يحب ويرضى ويرزقنا الحق حقا ويرزقنا اتباعه والباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه . إنه ولي ذلك والقادر عليه والله يقول الحق ويهدي السبيل وصلى الله على سيدنا محمد خير خلقه وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم . وقد وافق الفراغ منها ضحى يوم الجمعة من شهر الله شعبان الجاري عام 1355 هـ بمدينة كولخ عمرها الله وحرسها آمين .

بقلم خديم الحضرة الأحمدية الإبراهيمية التجانية على سيس بن الحسن التجاني عن إذن سيدنا ووسيلتنا إلى الله مربي المريدين ومرقى الواصلين والعارفين الفرد الجامع مولانا الشيخ إبراهيم ابن الحاج عبد الله نفعنا الله به وأحبابنا آمين عند انتصاف الشهر المذكور جزاه الله عنا وعن السنة والطريقة خيرا وأبقاه نفعا للعباد دهرا

والسلام

تنبيه الأذكياء في كون
الشيخ التجاني خاتم الأولياء

تأليف العارف بالله القطب الرباني ،
والغوث الصمداني مرشد السالكين ومربي
المريدين الشيخ الحاج إبراهيم نياس بن الحاج عبد الله
الكولخي التجاني

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد الفاتح الخاتم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم .

يقول العبد الفقير إلى مولاه الرءوف الرحيم ، ابن الشيخ الحاج عبد الله إبراهيم ، لا يزال في جمال مولاه يهيم :

الحمد لله الأول والآخر ، الظاهر والباطن ، حمد مقر بعجزه عن إدراكه مع شهود تجليه للظواهر والبواطن ، على ما أسبغ من نعمه في القفار والقرى والمواطن ، ما سبح بحمده كل متحرك وساكن ، والصلاة والسلام على سيد الأوائل والأواخر والفاتح الخاتم الناصر ، من كان نبيا وآدم بين الماء والطين ، وعلى آله وصحابته الهادين المهتدين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . وبعد :

فلما كان التصديق بالأولياء مفتاح كل فوز وفلاح ، ونصرتهم ومعيتهم تقود إلى نيل الولاية والصلاح وتكذيبهم والإنكار عليهم والانتقاد عليهم موجبة للطرد عن الحضرة وسبب للخسران المبين ، ومحاربتهم وإذايتهم ، تدعو إلى محاربة الواحد القهار ذي القوة المتين . هذا وقد كثر خوض العباد والجدال في شأن الختمية والخاتم ، فبعضهم ينكر أصلا ، وبعض يستشكل ، وقد يجول في شأوها جولان الحائم ، وتبين أن مرتع ذلك وخيم ، فمن لم يذق ولم يصدق فالتسليم :

وإذا لم تر الهلال فسلم   لأناس رأوه بالأبصار

وإن كنت مزكوما فليس بلائق   مقالك هذا المسك ليس بفائح

سألني بعض من عاصرني أن أبين له معنى الختمية في اصطلاح أهل الحقيقة ومن هو خاتم . وأرى وإن استسمن ذا ورم ونفخ في ضرم : إن التكاسل عن جوابه والإعراض عن خطابه من رذائل الأخلاق ، ومن قبيل الممنوعات عند العلماء الحذاق ، فوضعت هذه العجالة ، وساعفته بتقييد هذه الرسالة وسميتها : **(تنبيه الأذكياء ، في كون الشيخ أحمد التجاني خاتم الأولياء)** وهذا أوان الشروع في المقصود بعون الملك المعبود .

فأقول وبالله التوفيق ، وهو الهادي بمنه إلى سواء الطريق :

الولاية كما قرروا قسمان : صغرى وكبرى ومراد القوم حيث أطلقوا الولاية الكبرى وهي أيضا عامة وخاصة ، فالعامة من آدم عليه السلام إلى عيسى عليه السلام ، حين ينزله الله آخر الزمن وليا من هذه الأمة ، وارثا وخاتما فلا ولي بعده فما بينهما من الأولياء هي عامة ، الأولياء ليسوا رؤوس الطرق بل ينخرطون في سلك ولي مخصوص بطريقة من طريق الحق الموصلة إليه ، وذلك الولي المخصوص : إما أن يكون نبيا أو وليا خاصا ، والخاصة من سيد الوجود ﷺ إلى الختم الأكبر . ففيما بين هذين ظهر أرباب الطرق من الأولياء كمال الظهور ، فبدئت الولاية بآدم عليه السلام وختمت بعيسى طلبا للمشاكلة بين الطرفين قال تعالى : ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾ فافهم وبدئت الولاية الخاصة التي لولا ختم مقام نبوة التشريع لكانت إياها بسيد الوجود الذي هو الفاتح لما أغلق من الولاية الخاصة ، والخاتم لما سبق من نبوة التشريع ، وختمت بخاتم الأولياء الذي هو سيدنا أحمد طلبا للمشاكلة بين الطرفين أيضا هما صفتان ذاتيتان مشتبهتان تواطآ اسما ووسما وخليقة وطريقة وشريعة وحقيقة فهو الخاتم المحمدي المعلوم . كما أنه القطب البرزخ المكتوم .

والولاية الظاهرة التي هي خلافة التصرف والمملكة والأمر الظاهر بدئت برسول ﷺ وختمت ختما خاصا بمولانا الحسن بن علي كرم الله وجهه لمزيد شبهه برسول الله ﷺ كما ورد في الحديث . وسيختم آخرا بواحد من عترته يوافق اسمه اسم النبي واسم أبيه أبي النبي ، طلبا للمشاكلة في الختمين فتحمل من هذا أن ظاهر الولاية له ختمان . ومع هذا ففي القطبانية مقام يصدق عليه اسم الختم كما ستقف عليه من كلام سيدنا الختم التجاني فإذا تمهد هذا فنأتي بمقالات الشيخ الأكبر مما وقفت عليه في الفتوحات وغيرها التي ينحو نحو أحد الخاتمين ، ولم يفصل في ذلك هربا من إفشاء السر مع أن الخاتم المحمدي مكتوم الحقيقة ، فقد فهم المقام من جهة كشفه ، ولم يتحقق أمره لكتمه فإذا رأيت من كلامه لبسا أو شبه تناقض . فمن ذلك ، بيد أنه صرح بما يدلك على موافقة ما كوشف له ، لما ادعاه شيخنا أحمد رضي الله عنه : قال الشيخ الأكبر والقطب الأشهر ابن عربي الحاتمي رضي الله عنه : أنه رأى في رؤيا حائطا من ذهب وفضة كمل إلا موضع لبنتين ، إحداهما من ذهب

والأخرى من فضة ، فانطبع رضي الله في تينك اللبنتين . وقال رضي الله عنه : (وكنت لا أشك في أني أنا الرائي ولا أني أنا المنطبع في موضعهما وبه كمل الحائط ، ثم عبرت الرؤيا بانختام الولاية بي ، وذكرتها للمشايخ الكاملين المعاصرين وما قلت من المرء فعبروها بما عبرتها به) انتهى بنقل صاحب الرماح شيخنا القطب الفوتي عمر بن سعيد رضي الله عنه .

قال : ولذلك تعرض للتكلم على الأسئلة المائة والخمس والخمسين التي ذكر الحكيم الترميذي أنه لا يعرف الجواب عنها إلا الختم . وإذا تأملت ما أسلفنا علمت أن الختمية التي تكون للخاتم الأكبر لم تثبت لأحد من الشيوخ قبل شيخنا رضي الله تعالى عنهم أجمعين لأن سيدي عليا الخواص قد بين أنه إنما اعتمد على كلام محي الدين رضي الله عنه لقوله : وقد أخبر العارف عن نفسه أنه أحد الختمين . وأنت خبير بأن محيي الدين رضي الله عنه لم يعتمد بكونه خاتما على قاطع ، وإنما اعتمد على هذه الرؤيا ونحوها . ويؤيد ما قلنا ويشهد له أنه صرح بعد ذلك بأنه لم يكن هو القطب المكتوم ، والبرزخ المختوم والخاتم المحمدي المعلوم ، وذلك أنه رضي الله عنه رأى مقاما فوق مقامات الأقطاب كلها ما فوقه إلا مقامات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، فظن أنه له ، واطمأنت نفسه به غاية الاطمئنان والفرح وأنشد :

بنا ختم الله الولاية فانتهت إلينا فلا ختم يكون لها بعدي
وما فاز بالختم الذي بمحمد من أمته والعلم إلا أنا وحدي

فبينما هو كذلك إذ سمع مناديا يقول له : ليس لك ما ظننت وتمنيت ، وإنما هو لولي في آخر الزمان ليس ولي أكرم على الله تعالى منه . فعند ذلك قال : سلمت الأمور إلى خالقها ومكونها . ولقد طال ما جلت ببصيرتي في الغيوب لأطلع عليه وعلى مقامه واسمه واسم بلده ومكانه وكيف حاله فما أطلعني الله تعالى على شيء ، ولا شممت له رائحة أصلا أهـ . بنقل صاحب الرماح .

قال : وهذا كلام من الحاتمي ، فيه تصريح بأنه تبرأ من ادعاء الختمية الكبرى . وأنها لم توجد لواحد ممن تقدم من السادات الذين مضوا قبل زمانه ، وأنها إنما تكون لولي في آخر الزمان . أهـ .

قلت : وقد تبرأ من ادعائها صريحا في خطبة الفتوحات في صحيفة 3 بما نصه : ولما شهدته ﷺ في ذلك العالم سيدا معصوم المقاصد محفوظ المشاهد . منصورا مؤيدا فجميع الرسل بين يديه مصطفون . وأمته التي هي خير أمة هي عليه ملتفون وملائكة التسخير من حول عرش مقامه حافون ، والملائكة المولدة من الأعمال بين يديه صافون ، والصديق على يمينه الأنفس والفاروق على يساره الأقدس ، والختم بين يُديه قد جثى يخبره بحديث الأنثى وعلي عليه السلام يترجم عن الختم بلسانه . وذو النورين مشتمل برداء حيائه مقبل على شأنه ، فالتفت السيد الأعلى والمورد العذب الأحلى والنور الأكثف الأجلى . فرآني وراء الختم لاشتراك بيني وبينه في الحكم ، فقال له السيد : هذا عديلك وخليلك . ونصب له منبر الطرفاء بين يدي . ثم أشار إليَّ أن قم يا محمد عليه فاثن علي من أرسلني وعلي فإن فيك شعرة مني . لا صبر لها عني هي سلطانك في ذاتيتك ولا ترجع إلى إلا بكليتك . ولابد لها من الرجوع إلى اللقاء فإنها ليست من عالم الشقاء . فما كان مني بعد بعثي شيء في شيء إلا سعد وكان ممن شكر في الملأ الأعلى ، وحمد ونصب للختم المنبر في ذلك المشهد الأخطر وعلى جبهة المنبر مكتوب بالنور الأزهر : هذا هو المقام المحمدي الأطهر من رقى فيه فقد ورثه . وأرسله الحق حافظا لحرمة الشريعة وبعثه .

وقال في الجزء الثاني من الفتوحات عند تعرضه للأسئلة في صحيفة 49 ما نصه :

السؤال الثالث عشر : فإن قلت ، ومن الذي يستحق خاتم الولاية كما يستحق محمد ﷺ خاتم النبوة ؟ فلنقل في الجواب : الختم ختمان ختم يختم الله به الولاية المطلقة . وختم يختم الله به الولاية المحمدية . فأما ختم الولاية على الإطلاق فهو عيسى عليه السلام فهو الولي للنبوة المطلقة في زمان هذه الأمة . وقد حيل بينه وبين نبوة التشريع والرسالة . فينزل في آخر الزمان وارثا خاتما لا ولي بعده بنبوة مطلقة كما أن محمدا ﷺ خاتم النبوة لا نبوة تشريع بعده . وإن كان بعده مثل عيسى من أولي العزم من الرسل . وخواص الأنبياء . ولكن زال حكمه من هذا المقام لحكم الزمان عليه الذي هو لغيره فينزل وليا ذا نبوة مطلقة يشركه فيها الأولياء المحمديون ، فهو منا وهو سيدنا فكان أول هذا الأمر نبيا وهو آدم وآخره نبي وهو عيسى ، أعني نبوة الاختصاص فيكون له يوم القيامة حشر معنا وحشر مع الرسل .

وأما ختم الولاية المحمدية فهي لرجل من العرب من أكرمها أصلا وبدأ . وهو في زماننا اليوم موجود عرفت به سنة خمس وتسعين وخمسمائة . ورأيت العلامة التي له قد أخفاها الحق فيه عن عيون عباده وكشفها له بمدينة (فاس) حتى رأيت خاتم الولاية منه وهو خاتم الولاية المطلقة لا يعلمها كثير من الناس . وقد ابتلاه الله بأهل الإنكار عليه فيما يتحقق به من الحق في سره من العلم به . وكما أن الله ختم بمحمد ﷺ نبوة الشرائع ، كذلك ختم الله بالختم المحمدي الولاية التي تحصل من الإرث المحمدي لا التي تحصل من سائر الأولياء . فإن من الأولياء من يرث إبراهيم وموسى وعيسى ، فهؤلاء يوجدون بعد هذا الختم المحمدي ، وبعده فلا يوجد ولي على قلب محمد ﷺ هذا معنى خاتم الولاية .

وأما ختم الولاية العامة الذي لا يوجد بعده ولي فهو عيسى عليه السلام . ولقينا جماعة ممن هو على قلب عيسى عليه السلام وغيره من الرسل عليهم الصلاة والسلام . وقد جمعت بين صاحبي عبد الله وإسماعيل بن سودكين وبين هذا الختم ودعا لهما وانتفعا به والحمد لله أهـ .

قلت : والاجتماع المذكور برزخي ووجوده في زمنه بحقيقته الفردانية ، فافهم وقال في الجزء الثالث من الفتوحات في صحيفة 514 ما نصه : وأما خاتمية عيسى عليه السلام فله ختام دورة الملك فهو آخر رسول ظهر ، وظهر بصورة آدم في نشئه حيث لم يكن له أب بشري ولم يشبه الأنبياء ، أعني ذرية آدم في النشء ، فإنه لم يثبت له في البطن اللبث المعتادة ، فإنه لم ينتقل في أطوار النشأة الطبيعية بمرور الأزمان المعتادة بأن كان انتقاله يشبه البعث ، أعني إحياء الموتى يوم القيامة في الزمان القليل على صورة ما جاءوا عليها في الزمان الكثير ، فإنه داخل تحت عموم قوله : ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ في التناسل والتنقل في الأطوار ، ثم إن عيسى إذا نزل إلى الأرض في آخر الزمان أعطاه ختم الولاية الكبرى من آدم إلى آخر نبي تشريفا لمحمد ﷺ حيث لم يختم الله الولاية العامة في كل أمة إلا برسول تابع إياه ﷺ وحينئذ فله ختم دور الملك وختم الولاية أعني الولاية العامة ، فهو من الخواتم في العالم .

وأما ختم الولاية المحمدية ، هو الختم الخاص لولاية أمة محمد الظاهرة فيدخل في حكم ختمية عيسى عليه السلام وغيره ، كإلياس والخضر وكل ولي لله تعالى من ظاهر الأمة . فعيسى عليه السلام وإن كان ختما فهو مختوم تحت ختم هذا الختم المحمدي . وعلمت حديث هذا الخاتم المحمدي (بفاس) من بلاد المغرب سنة أربع وتسعين وخمسمائة عرفني به الحق وأعطاني علامته ولا أسميه ومنزلته من رسول الله ﷺ منزلة شعرة واحدة من جسده ﷺ ، ولهذا يشعر به إجمالا ولا يعلم به تفصيلا إلا من علمه الله به أو من صدقه إن عرفه بنفسه في دعواه ذلك . فلذلك عرف بأن شعرة من الشعور ، ومثال الشعور أن ترى بابا مغلقا على بيت ، أو صندوقا مغلقا فتحس فيه بحركة تؤذن أن في ذلك البيت حيوانا ولكن لا يعلم أي نوع هو من أنواع الحيوان أو يشعر أنه إنسان ، ولا يعرف له عينا فيفصله من غيره كما تعلم بثقل الصندوق أنه يحتوي على شيء أثقله لا يعلم ما هو عين ذلك الشيء المختزن في ذلك الصندوق فمثال هذا يسمى شعورا لهذا الخفاء . انتهى منها بلفظها .

وقال في الجزء الثاني من الفتوحات في صحيفة 50 ما نصه :

ولما كان أحكام محمد ﷺ عند الله تخالف أحكام سائر الأنبياء والرسل في البعث العام وتحليل الغنائم وطهارة الأرض واتخاذها مسجدا وأوتي جوامع الكلم ونصر بالمعنى وهو الرعب وأوتي مفاتيح خزائن الأرض وختمت به النبوة ، عاد حكم كل نبي بعده حكم ولي فأنزل في الدنيا من مقام اختصاصه واستحق أن يكون لولايته الخاصة ختم يواطئ اسمه ﷺ ويجوز خلقه وما هو بالمهدي المعروف المنتظر فإن ذلك من سلالته وعترته والختم ليس من سلالته الحسية ولكنه من سلالة أعراقه وأخلاقه ﷺ أهـ .

وفي اليواقيت والجواهر لسيدي عبد الوهاب الشعراني رحمه الله ، في صحيفة 79 ما نصه : فإن قلت : فمن هو أعظم الورثة للأنبياء عليهم الصلاة والسلام ؟ فالجواب كما قال الشيخ في الجواب الثالث عشر من الباب الثالث والسبعين : عن أعظم الورثة الختمان وأحدهما أعظم من الآخر ، فواحد يختم الله به الولاية على الإطلاق وواحد يختم الله به الولاية المحمدية ، فأما ختم الولاية فهو عيسى عليه

السلام فهو الولي بالنبوة المطلقة في زمان هذه الأمة وقد حيل بينه وبين التشريع والرسالة فيترك آخر الزمان وارثا وخاتما لا ولي بعده بنبوة مطلقة . كما أن محمدا ﷺ خاتم النبوة لا نبوة تشريع بعده ، فيعلم أن عيسى عليه السلام وإن كان بعده ومن أولي العزم وخواص الرسل فقد زال حكمه من هذا المقام بحكم الزمان عليه الذي لغيره فيرسل وليا ذا نبوة مطلقة ويلهم شرع محمد ﷺ ويفهمه على وجهه كالأولياء المحمديين فهو منا وهو سيدنا وكان آخر الأمر نبيا كما كان آدم أول الأمر نبيا فختمت النبوة بمحمد والولاية بعيسى . قال الشيخ : وأما خاتم الولاية المحمدية فهو رجل من العرب من أكرمها أصلا وبدءا وهو في زماننا اليوم موجود ، وقد اجتمعت به في سنة خمس وتسعين وخمسمائة ورأيت العلامة التي أخفاها الحق تعالى فيه عن عيون عباده وكشفها لي بمدينة (فاس) حتى رأيت خاتم الولاية المحمدية منه ، ورأيته مبتلى بإنكار عليه فيما يتحقق في سره من العلوم الربانية وأطال في ذلك أهـ منه .

قلت : وهذا الاجتماع الذي ذكر الشيخ محيي الدين اجتماع برزخي فلا إشكال فيه لمن نور الله بصيرته وألهمه أسرار حضرته . والله ولي التوفيق .

وقد نقلت من (اليواقيت والجواهر) ، وإن كنت نقلت من الفتوحات نفسها لما لا يخفى من أن القطب الشعراني أيضا سلمه وارتضاه وهو هو ، وقال الشيخ المرتضى في شرحه للقاموس ما نصه : والختم عند أهل الحقيقة من يختم به الولاية المحمدية ، ثم ختم آخر يختم الولاية العامة . أهـ منه .

قلت : وكون هذا العالم المبرز يأتي بخاتم الولاية أدل دليل على أن الأمة مجمعة على وجوده . ومما يدلك علي أن الختمية لم تكن قبل شيخنا أحمد : قال الشيخ سيدي المختار إن الختم في القرن الثاني عشر . ونص كلامه كما في (الطرائف والتلائد) مجيبا للذي سأله عن رؤيا رآها ، وصاحب الرؤيا الصالح بن محمد الشيخ السوقي .

(الحمد لله الذي جعل صدور أوليائه معادنا لحل رموز ما أشكل من الحكم والأحكام وصيرهم مهيئين لورود الكشوفات وبدائع الإلهام ، والصلاة والسلام على بشير الأنام وعلى آله وأصحابه مصابيح الظلام .

سؤالك أيها السائل الهمام عن تأويل قوله عليه الصلاة والسلام فيما رأيته في غيابات المنام: «أرأيتكم ليلتكم هذه فإن على رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض أحد» (1). فتأويله (والله أعلم) أن هذا القرن الذي نحن فيه يشاكل قرنه عليه الصلاة والسلام من وجوه:

أحدها: أن فيه خاتم الأولياء كما أن في قرنه خاتم الأنبياء.

الثاني: أن أتباع هذا الولي المجدد الخاتم يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، كما أن أصحاب ذلك النبي الخاتم الماحي يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله وحده ويجاهدون الأمم الضالة كما أن هؤلاء يجاهدون النفس والهوى والشيطان الجهاد الأكبر. قال رسول الله ﷺ: «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر». قالوا: وما الجهاد الأكبر؟ قال: «جهاد النفس والهوى» (2).

الثالث: الإشارة إلى أن هذا القرن أفضل من جميع ما تقدمه من القرون السابقة سوى القرون الثلاثة لورود النص بأفضلها، قال ﷺ: «خير هذه الأمة أولها وآخرها وبين ذلك نهج أعوج ما أنا منهم ولا هم مني» (3).

يريد أواخر الدولة الأموية والعباسية ودولة القرامطة وبني عبيد وتغلب التتار لما ظهر وانتشر في تلك القرون من أنواع الزندقة والرفض والاعتزال وسفك الدماء والمعاصي والخمور والجهالة وظهور الفجور مما سكن واضمحل أكثره في هذه القرون. ولله الحمد والمنة والحاتمي رضي الله عنه مات كما في (الطرائف والتلائد) سنة ثمان وثلاثين وستمائة هجرية محمدية كما (في اليواقيت). ومولد الشيخ سيدي المختار الكنتي كان سنة اثنين وأربعين ومائة وألف وتوفي سنة ست

---

(1) أخرجه البخاري 55/1، 216، حديث رقم 116، 576، ومسلم 1965/4، حديث رقم 2537.

(2) ذكره الغزالي في إحياء علوم الدين 2/3، 37. وانظر: كشف الخفا للعجلوني 345/2، تذكرة الموضوعات للفتني 1554/1، الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة للسيوطي 256/1.

(3) انظر: كنز العمال 11/ 738وقال: رواه الطبراني عن عبد الله بن السعدي، وفيض القدير للمناوي 463/3، طبعة المكتبة التجارية الكبرى – مصر.

وعشرين ومائتين وألف ومولد الشيخ الختم التجاني سنة خمسين ومائة وألف وتوفي سنة ثلاثين ومائتين وألف . فتبين أنهما متعاصران فافهم نور الله بصيرتنا وبصيرتك . أهـ

قلت : وقد ظهر مصداق ما قال الشيخ سيدي المختار الكنتي في أصحاب الختم من كونهم يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف ، فقد قاموا في هذه الصفات قياما لم يقمه غيرهم حتى كاد الأمر والنهي عن المنكر ونصب مدارس العلم وتعمير المساجد لله لا ترى في هذه البلاد إلا في أصحاب الختم . فانظر بعين الإنصاف ، فالشمس شمس وإن لم يبصرها الضرير والعسل عسل وإن لم يجد طعمه المضرور . وفي كتاب الجامع للعلامة العارف بربه سيدي محمد بن المشري رضي الله عنه ما نصه :

فصل في التعريف بنسب شيخنا رضي الله عنه ووسيلتنا قطب الأقطاب علم الطريقة وبحر الشريعة والحقيقة مولانا أبي العباس أحمد مولانا محمد المكني بابن عمر بن المختار بن أحمد بن محمد بن سلام بن أبي العيد بن سالم بن أحمد الملقب بالعلواني بن أحمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد الجبار بن إدريس ابن إدريس بن إسحاق بن زين العابدين بن أحمد بن محمد بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه . فهذا نسبه الموجود في العقود ، ولكن لم يعول عليه الشيخ رضي الله عنه - وإن كان محققا عند آبائه - حتى سأل النبي ﷺ عن نسبه وحققه له قال المؤلف سيدي محمد : سمعته يقول رضي الله عنه : (سألت سيد الوجود عن نسبي هل أنا شريف أم لا . فأجاب ﷺ : أنت ولدي كررها ثلاثًا) فمن حين سمع تحقيق نسبه من سيد الوجود ﷺ صرح بالشرف وجزم به وذلك لتحقيق نسبه في نفس الأمر لأن سيد الوجود ﷺ أخبره يقظة لا مناما وأخبره بأمور كثيرة ظاهرة وباطنة ، سيأتي إن شاء الله ذكرها إليك في أثناء المجموع .

قال العلامة الأورع زين جمد : ولم أر من طعن في نسبه . أهـ وقال الولي الشهير والعلم النحرير والقدوة الكبير سيدي محمد ، قال محمد بن العاقل في نظمه لآل البيت :

وما من الأقطاب أيضا ينتمي إلى ذرى بيت النبي الأكرم
فبالإمام العارف الرباني ذي المجد عبد القادر الجيلاني
وبالدسوقي الطويل الباع والبدوي وأحمد الرفاعي
والشاذلي سيدي أبي الحسن ذي الصيت في الآفاق والذكر الحسن
وبالإمام غرة الأعلام عبد السلام بن مشيش السامي
وبالجزولي العظيم الشان وبالشريف الماجد التجاني
وسيدي عبد العزيز الفاسي يعرف بالدباغ عند الناس
وأحمد المعروف بالتجاني ذي العلم والأسرار والعرفان

وقال صاحب الجامع - بعد كلام - ما نصه : ولد بعين ماضي سنة خمسين بعد المائة والألف ونشأ بين أبويه الطاهرين إلى أن بلغ التمييز فأسلماه للمكتب فقرأ القرآن وهو صغير وتعلم العلم الظاهر ، وكان حافظا ماهرا فطنا كيسا أديبا : الخ كلامه . ثم قال : فقد قرأ القرآن على سيدي محمد بن حمو التجاني حفظه عليه . قبل البلوغ ونحوه في الجواهر ، وزاد وحفظ القرآن حفظا جيدا في سبعه أعوام على ما أخبرني به عن نفسه رضي الله عنه ، من رواية ورش عن نافع الخ كلامه .

وقال في الجامع : لأن هذا السيد كان رجلا صالحا مؤدبا للصبيان أيضا ، وقرأ هو على شيخه بوعكاز ، وكان رجلا صالحا مشهورا بالولاية في قريته وكان مؤدبا للصبيان ذكر لهم مرة أنه رأى رب العزة في النوم وسرد عليه القرآن برواية ورش من أوله إلى آخره فقال له ربه هكذا أنزل ، وحصل على يديه النفع . ومات سيدي محمد ابن حمو المذكور عام اثنين وستين ومائة وألف . وقرأ على شيخه سيدي المبروك بن أبي عافية التجاني مختصر الشيخ خليل والرسالة ومقدمة ابن رشد والأخضري .

وتوفي هذا الشيخ عام ستة وستين ومائة وألفا أهـ : ولشيخنا رضي الله عنه مرائي في أول عمره تدل على مقامه منها أنه قال : رأيت وأنا صغير قبل البلوغ كأنه انتصب لي كرسي المملكة وأنا جالس عليه ولي عساكر كثيرة وأنا أصرفها في قضاء الحوائج كأني ملك . قال لي رأيت هذا وأنا في عين ماضي . ثم حين كان في تلمسان قال : رأيت نفسي في صفة ملك وعقد لي الناس البيعة ومعي خلق كثير ونصبوا لي كرسي

الخلافة على سطح مرتفع وفوقي لباس الملوك من ملك وغيره ، فلما حانت الصلاة وهو وقت الظهر بادرت أن آمر أحدا من الناس يصلي بنا على عادته في اليقظة ففكرت وقلت : الخليفة هو الذي يصلي بالناس فتقدمت وصليت بالناس حتى أتممت الصلاة وسلمت ، فلما قصها علي قال لي : وأظن أن الله سبحانه وتعالى أراد بي القطبانية وأنا أطلب غيرها . فقال له سيدي محمد المشري - على سبيل المزاح ضرك حيث أرادك بهذه المرتبة العظيمة فضحك رضي الله عنه ، ثم بعد مدة صرف وجهه لطلب القطبانية إلى آخر كلامه . قال شيخنا ووسيلتنا إلى ربنا حسان الطريق سيدي محمد بن سيدي عبد الله العلوي في كتابه « نزهة المستمع والحافظ في مناقب الشيخ محمد الحافظ » ما نصه : ومما يدلك على سعة علمه وحفظه وفهمه أنه قدم على فاس كما أخبرني شيخنا وفيه ما فيه من علماء الظاهر فأبغضوه وحسدوه أشد البغض والحسد وأنكروا عليه ، ومع هذا لا يقدر أحد منهم أن يتجاهر على أن ينكر عليه مشافهة أو يكاتبه مراسلة لما يعلمون فيه وهو يرد عليهم ويخالفهم ، حتى أنه يوما بحضرة مولاي سليمان وسيدي الطيب بن كيران بيده كتاب يقرأ في التفسير فرد عليه الشيخ فقال له سيدي الطيب هذا الذي قال صاحب الكتاب . فقال له الشيخ إنما أردُّ عليه وقال لي شيخنا : ومن عجيب أمره أني حضرت إملاآته لكتاب جواهر المعاني على تلميذه الحاج علي حرازم الذي كان معروفا بسرعة الخط وهو يكتب والشيخ يملي من غير مطالعة ولا نظر ولا يقف قلم الحاج على حرازم . وكان علماء فاس على حسدهم له ينقلون عنه العلم ويبهمونه في العزو ، يقولون ولبعضهم كذا . أهـ قلت : وإذا أردت الوقوف على قطرة من بحر علمه الزاخر الذي لم يدركه فيه أول ولا آخر فطالع كتاب (جواهر المعاني) و(الجامع) ترى ما ينبئك على أن العلوم كلها هو ابن بجدتها والخبير بها ، هذا في العلم الظاهر . وأما علم الباطن فما شرب ولي ولا سقى إلا من بحره ، كما ستقف عليه فيما يحدث عن نفسه في أثناء هذه العجالة . وفي الجامع قال سيدي محمد بن المشري : سألت سيدنا رضي الله عنه قبل أن يخبرني بعلو مقامه ، هل بلغ أحد مقام الشيخ عبد القادر والحاتمي رضي الله عنهما : لما سمعت من شطحاتهما ، كقول الشيخ عبد القادر الجيلاني :

ما في الصبابة منهل مستعذب   إلا ولي فيه الألذ الأطيب

إلى آخر الأبيات . وكقول الحاتمي :

بنا ختم الله الولاية فانتهت   إلينا فلا ختم يكون لها بعدي
وما فاز بالختم الذي لمحمّد   من أمته والعلم إلا أنا وحدي

فأجاب مخبرا عن سيد الوجود ﷺ لأنه سأله عن جميع الأولياء أيهم أعلى مقاما وأخبره ﷺ أن للشيخ عبد القادر والحاتمي مقاما أعلى من جميع الأولياء . وأخبرني شيخنا رضي الله عنه أنه زاد على الشيخين المذكورين في المقام بأمر لم يصلاه ولم يظفرا به فإن فضل الله لا حد له إلا ما حجره الحق من النبوة قال ﷺ : « أمتي كالمطر » (1) الحديث . أهـ

وسئل سيدنا رضي الله عنه عن مقامه والفضل الذي خصه الله به وأجاب رضي الله عنه : أن مقامه لم يعط لأحد غيره ما عدا الصحابة رضي الله عنهم أجمعين . قال له بعض الحاضرين يقول المعاند هذا تحجير قال ليست بتحجير وإنما هو فضل سبقت مشيئة الحق ، يختص برحمته من يشاء ، ولا منازع له في حكمه .

قال سيدي محمد يقال للمعاند : سيد الوجود ﷺ أفضل الخلق على الإطلاق ولا يقال في شأنه أنه تحجير على الحق ولا تعجيز للقدرة كما توهمه بعض الضالين قبحه الله . أهـ

فضل سيدنا رضي الله عنه أنه اقتطاع إلهي من فيض بحر الحقيقة المحمدية باختيار الحق سبحانه ، فلا منازع أن هذا القطب المكتوم هو الواسطة بين الحقيقة المحمدية وبين الخلق في إفاضة المدد والخيرات الدينية والدنيوية على العموم فردا فردا عدا النبيين والمرسلين عليهم الصلاة والسلام ، لأنه واسطة بينهم وبين الحقيقة المحمدية في الإمداد ، وكذلك القطب المكتوم ، وأما غيره من الأقطاب فكلهم بواسطته لكن لم يروها لأنها محجوبة عنهم ، ومع ذلك أن كل واحد منهم يصرح بأنه يأخذ العلم من غير واسطة رفقا بهم ، لأن حقيقة هذا القطب المكتوم في مقامه

---

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط 78/4 ، والقضاعي في مسند الشهاب 276/2 ، والتمهيد ، لابن عبد البر 252/20 ، 253 ، 254 ، والاستذكار له أيضا 189/1 ، طبعة دار الكتب العلمية – بيروت ، تحقيق سالم محمد عطا ، محمد علي معوض .

محجوبة عن الجميع لم يرها أحد منهم ، فهذا الشيخ الأكبر بجلالته بحث عن معرفة هذا القطب ما اسمه وما قبيلته وما موضعه وما وقته فلم يطلعه الله على شيء من أحواله فسلم الأمر لله وترك . وأما الذي وقع له النهي عن إفشاء أمره بعد اطلاعه على حاله فهو الذي يظهره الله سلطانا عدلا في الأمة وهو غير الإمام المنتظر لأن الإمام المنتظر غير قطب فلما نهى عنه سماه مكتوما من عند نفسه . وأما المكتوم الأكبر فسماه سيد الوجود ﷺ لأن مقامه مكتوم عن جميع الأولياء فلم يطلع عليه أحد وما بحث عليه حتى علم مقامه ورفعة شأنه عند الله تعالى . أهـ

قال في (جواهر المعاني) : وسألته رضي الله عنه عن حقيقة الولاية : فأجاب رضي الله عنه بما نصه : الولاية عامة وخاصة ، فالعامة هي من آدم عليه السلام إلى عيسى عليه السلام ، والخاصة هي من سيد الوجود ﷺ إلى الختم . والمراد بالخاصة هي من اتصف صاحبها بأوصاف الحق الثلاثمائة على الكمال ولم ينقص منها أن لله ثلاثمائة خلق من اتصف بواحد منها دخل الجنة ، وهذا خاص بسيد الوجود ﷺ ومن ورثه من أقطاب هذه الأمة الشريفة إلى الختم ، هكذا قال ونسبه للحاتمي رضي الله عنه ثم قال سيدنا رضي الله عنه ولا يلزم من هذه الخصوصية التي هي الاتصاف بالأخلاق على الكمال أن يكون كلهم أعلى من غيرهم في كل وجه بل قد يكون من لم يتصف بها أعلى من غيره في المقام . قال الخليفة سيدي الحاج علي حرازم : وأظنه يشير إلى نفسه رضي الله عنه وبعض الأكابر من أصحابه لأنه أخبره سيد الوجود ﷺ بأن مقامه أعلى من جميع المقامات أهـ .

قلت : وقولَ السيد الحاج حرازم رضي الله عنه : وأظنه يشير إلى نفسه وبعض الأكابر من أصحابه صدر منه قبل أن يعلمه الشيخ بأنه هو الختم فلم يبق إلا أنه كان يشير إلى بعض الأكابر من أصحابه رضي الله عنه ، فليتأمل ، والله تعالى أعلم .

والحاصل أن شيخنا ووسيلتنا إلى الله مولانا القطب المكتوم والبرزخ المعلوم والخاتم المحمدي وسيد العارفين والأقطاب وممدهم وواسطتهم لدى حضرة رب الأرباب وهو البحر الذي لا يشرب ولي ولا يسقي إلا منه ، وسواء في ذلك من كبر شأنه ومن صغر ومن تقدم ومن تأخر فهو شأن التجليات وسر السر وغيب الغيب

والوارث الأكبر وختم الختم المتصدي لإيصال المدد إلى جميع الكائنات من الأزل إلى الأبد قبل بروز بشريته وترابيته وبعد مغيبه لا فرق بين حياته ومماته في ذلك ، وذلك معنى قوله : قل هو لا يموت فتلك الحقيقة من أول الوجود إلى آخرهم حية بالحياة الأزلية الأبدية ، وكونه هو الختم واضح إلا لمعاند بل هو ختم الختم ، والختم مقام في القطبانية يدركه أفراد الأقطاب ودخله عبد القادر والحاتمي ، وختمية الشيخ الأكبر فوق ذلك فهو ختم الختم وقد ظهر لكل من نور الله بصيرته نسخ طريقه لجميع الطرق وكونه آخر من جاء بطريقة لأنه ما رأينا بعده من أتى بطريق انتفع الناس بها انتفاعا حـــقيقيا ، وهو وصول من سلك بها إلى الله مع الاستقامة التامة . وإذا لم تكن طريقة بعد طريقته وإن ادعيت . قال الإمام البوصيري رحمه الله تعالى :

والدعاوي ما لم تقيموا عليها بينات أبناؤها أدعياء

والمدعون ادعوا ما هو أعظم من ذلك ، ولا عبرة بذلك ، فقد ادعوا النبوة كذبا بعد ما ختمت ، والختم ما ادعى على ختم مقام الولاية العامة بل ذكر أن سيد الوجود ضمن له وصول كل من أخذ طريقته وداوم عليها بشروطها وآدابها ما دام يتلو ورده ، وضمن له أن يصل إلى كمال معرفة العيانية من أهل طريقته ألف ألف ألف أربع مراتب من الرجال ومائة ألف ألف ألف مراتب من النساء . وقال : قدمايّ هاتان على رقبة كل ولي لله تعالى من نشأة العالم إلى النفخ في الصور . وقال لي سيدي ومولاي الحاج عبد الله بن الحاج العلوي أنهما قدما الشريعة والحقيقة . فافهم .

وقال تأتي الفيضة على أصحابي . إلى غير ذلك من بشاراته التي تنافي مقصود المعاند ، ومع هذا فالعامة إن لم يفهموا كلام الأولياء فلا عليهم .

قال العلامة عبد الودود :

كلام الأولياء لست أفهم لأنني أنا أنا وهم هم

وإياك وإنكار ما لم يبلغه فهمك فإنه السم القاتل ، والسلام .

ولقد أفصح رضي الله عنه عن مقامه وصرح بأنه هو خاتم الأولياء المحمدي المعلوم وقطبهم المكتوم في رسالة التحدث بالنعم . ونص الرسالة كما في الجواهر

والجامع بعد البسملة والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ بحمد الله يصل الكتاب إلى يد أحبابا وأصفيائنا فلان وفلان وكافة الفقراء والذين معهم بالأغواط كل واحد باسمه وعينه ، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

من كاتبه إليكم العبد الفقير إلى الله أحمد بن محمد التجاني ، وبعد : نسأل الله عز وجل أن يتولاكم بعنايته وأن يفيض عليكم بحور فضله وولايته وأن يكفيكم هم الدنيا والآخر . وأن ينجيكم من فقر الدنيا وعذاب الآخرة . ويليه إعلامكم أن فضل الله لا حد له وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء . وأقول لكم إن مقامنا عند الله في الآخرة لا يصله أحد من الأولياء ولا يقاربه لا من صغر شأنه ولا من كبر ، وأن جميع الأولياء من عصر الصحابة إلى النفخ في الصور ليس فيهم من يصل مقامنا ولا يقاربه لبعد مرامه عن جميع العقول وصعوبة مسلكه على أكابر الفحول . ولم أقل هذا حتى سمعته منه ﷺ تحقيقا . وليس لأحد من الرجال أن يدخل كافة أصحابه الجنة بغير حساب ولا عقاب ولو عملوا من الذنوب ما عملوا وبلغوا من المعاصي ما بلغوا إلا أنا وحدي ووراء ذلك مما ذكر لي وضمنه ﷺ لهم أمر لا يحل ذكره ولا يرى ولا يعرف إلا في الآخرة . ومع هذا كله فلسنا نستهزئ بحرمة ساداتنا الأولياء ولا نتهاون بتعظيمهم ، فعظموا حرمة الأولياء الأحياء والأموات ، فإن من عظم حرمتهم عظم الله حرمته ومن أهانهم أذله الله وغضب عليه لا تستهينوا بحرمة الأولياء . والسلام . أهـ . من الكتابين بجواهر حروفه .

ومن كراماته رضي الله عنه قال لي : ضمن لي من الأصحاب كرامة من الله وفضلا ألف ألف من الرجال إلى أن تعد أربع مرات ومائة ألف ألف إلى أن تعد ثلاث مرات من النساء وضمن لي الغنى ما دمت حيا ولأولادي وأولادهم أي أولاد الصلب والحفدة . ومنها أنه يشفع في أهل العصر كافة . ومن كرامته الكبرى التي شاعت في الأقطار واستفاضت في البوادي والقرى والأمصار ، وهو قول سيد الوجود ﷺ : إن كل من رأى وجهك يوم الجمعة أو يوم الاثنين دخل الجنة بلا حساب ولا عقاب . وقوله ﷺ إن كل من أحبك لا يموت إلا وليا . وهذا نص قوله ﷺ لقدوتنا بعزة ربي يوم الاثنين ويوم الجمعة لم أفارقك فيهما من الفجر إلى الغروب ، ومعي سبعة الأملاك وكل من رآك في اليومين يكتبون اسمه في ورقة من

الذهب ويكتبونه من أهل الجنة وأنا شاهد على ذلك ولتكثر من الصلاة علي في هذين اليومين . كل صلاة تصليها علي أسمعك وأرد عليك وكذلك جميع أعمالك تعرض علي . والسلام .

ومنها أني سمعته يقول رضي الله عنه قال لي ﷺ : لك في الجنة أربعون مقاما من مقامات الأنبياء . ومنها أنه قال له : إذا بلغت مقام كذا يكون لك تصرف عظيم تكون لك عوالم تربح على يديك أناس وتخسر آخرون أهـ . من (الجامع) لابن المشري . وفيه : ومن كراماته أن سيد الوجود ﷺ قال له : كل ما أمليت فأنت مترجم عني . أو كلاما هذا معناه . ومع ما سمعت من كرامات هذا الشيخ الجليل القدر فإنه كان في غاية التواضع . ومن لم يعرفه لم يميزه من بين أصحابه . ومن صفته إنه كان زاهدا راغبا آخذا تاركا فطنا متغافلا عن أحوال الناس مشتغلا بنفسه ومشددا في اتباع السنة غير مسهل فيها لأحد إلا من لم يمتثل أمره . وكان رضي الله عنه يحثنا على صلاة الصف إذا سافرنا ويقول : من لم يصل معكم في الصف لا تتركوه يرافقكم . ويقول : المحافظة على صلاة الصف يصرف الله بها أكثر المصائب . ومن متابعته كثرة المحبة لأهل البيت والحث على توقيرهم وتعظيمهم وعدم إذايتهم . وهذا كله من شدة محبة لسيدهم ﷺ الذي عظموا من أجله . ومن أراد أن يعرف قدر أهل البيت ويعرف تعظيم شيخنا رضي الله عنه لهم ، فليطالع تقييدنا المسمى (بنصرة الشرفاء في الرد على أهل الجفاء) فإن أكثره كتبته من سماعي عنه رضي الله عنه وهو كتاب صغير الجرم كثير العلم في فضائل أهل البيت عليهم السلام .

وأما حاله مع أصحابه فلا أظن أنه يكون لأحد إلا ما كان من شمائل المصطفى ﷺ فإن كل من أتى الجلوس معه من أتباعه يظن بل يعتقد أنه يحبه أكثر من جميعهم من كثرة حسن خلقه .

ومن مناقبه علمه بالوقت ، وهو علم خاص لا يعلمه إلا بعض الخواص من الأولياء . وأما كشفه رضي الله عنه فإنه كثيرا ما يستره لقوله : قلبي يحدثني ووقع في خاطري كذا وكذا . فيخرج كما قال ، وأخبرني بقدوم الأمير الظالم في وقته حين

كنا في البلاد الصحراء ، وبخراب قرية قبل وقوعه ، وبقدوم بعض خواص أصحابه ، فكان كما قال . وهذا عند أهل الطريقة من كرامة منزل الإخلاص . وأما إجابة دعائه فهي كالسيف الصارم ، وهو أيضا من منزل الإخلاص .

وأما وقايته من الأعداء مع كثرتهم ولم يمكنهم الله منه وكل هذا من كرامة هذا المنزل . وأما تيسير الأرزاق والبركات فيها وفيضانها دائما فيشاهد عند الخاص والعام حتى عند أهل الانتقاد من غير تعب ولا تجارة ولا حرث ، وهي من كرامة منزل التقوى وكل ما ذكرت من أمور الكشف فهي في أول أمره ، وأما اليوم فضرب عنها وسد بابها لكماله رضي الله عنه ونفعنا به آمين .

ومن مناقبه أن كل من خدمه أو أطعمه أو أحسن إليه بشيء ولو مثقال حبة يدخله الله الجنة بغير حساب ولا عقاب بضمانة سيد الوجود ﷺ وعلم الشهود ﷺ وسيأتي النص عليها في الباب أهـ

(قلت) شاهدت الاسم الأعظم ذاتا مجردة عن النسب ليس لها أول ولا آخر ، وبحثت أقول إن الذات اسم والاسم ذات لاتحاد الاسم مع المسمى فوقفت طويلا وأنا أطلب الأسماء الحسنى والصفات العلى فلم أر منها اسما ولا صفة لاندراج الأسماء والصفات في الأعظمية ، ثم وقع شأن من شئون الحق لا أعبر عنه فإذا الاسم بحاله ، إلا أن الأسماء ظهرت أجزاء متفرقة مثال ذلك ولله المثل الأعلى ظهور النجوم في ذات السماء ، فنجوم الأسماء تراءت له في سماء ذات الاسم وكل جزء من تلك الأجزاء ليس له أول ولا آخر فنظري إلى الذات التي هي الأعظمية أرى كل اسم جزءا وبنظري إلى اسم من الأسماء أراه هو هو لا فرق ، فعلمت أن من قال أن الاسم ليس الذات غيره صدق ، ومن قال أن الأسماء كلها أعظم صدق ، وفي هذا المشهد ما تجلى له الحق إلا باسم ولم أر كالاسم عظمة وجاها ، ولا كالأسماء كثرة وقربا وجاها ، ثم وقع شأن لا أعبر عنه فوقفت أتطلب الأنبياء والرسل من آدم إلى عيسى عليه الصلاة والسلام فلم أر للذات نبيا ولا رسولا لاندراج الرسل في رسالة سيدنا محمد ﷺ ، ثم وقع شأن فإذا سيدنا محمد ﷺ بحاله والرسل أجزاء متفرقة كالمثال المتقدم سواء بسواء، فصرت ألقى الأنبياء واحد بعد واحدًا ولا أرى واحدا

منهم إلا وقلت هذا هو نبينا ما لم أنظر إلى سيدنا محمد ﷺ ، وفي هذا المشهد ما تجلى لي الحق إلا بسيدنا محمد ، ثم وقع شأن فرأيت القطب المكتوم وخاتم الأولياء فوجدته في محل سيدنا محمد ﷺ فوقعت أطلب الأولياء والأقطاب فلم أجد وليا غير سيدنا أحمد لاندراجهم في ولايته رضي الله عنه ، ثم وقع شأن فتراءت الأولياء والأقطاب أجزاء متفرقة فيه كالمثال الأول حرفا بحرف فعلمت أن سيدنا محمدا ﷺ ختم الرسالة بكونه خليفة عن الاسم والأنبياء في محل الأسماء وأن سيدنا أحمد ختم الولاية بكونه خليفة لسيدنا محمد والأولياء في محل الأنبياء . فهذا معنى خاتم الولاية المحمدية . وكون بعضهم متقدما وبعضهم متأخرا لا عبرة به هنا لوقوع هذا قبل الزمان . فقد كان خاتم الأنبياء نبيا عارفا بنبوته وآدم بين الماء والطين ، كذلك خاتم الأولياء كان وليا وآدم بين الماء والطين . والسلام ، قال الخليفة سيدنا الحاج على حرازم . إن الإمام الهام قدوة الأنام وحجة الإسلام العارف بالله أبا العباس سيدنا أحمد بن محمد بن سالم التيجاني الحسني هو القطب المكتوم المعلوم الذي أخبرت به أكابر الأولياء وأشارت إليه وتحدثت في كل مجمع من مجامعها وتمنى كل واحد منهم أن يكون هو ذلك القطب كالشيخ الأكبر القطب الأنور ابن العربي الحاتمي رضي الله عنه وذلك أنه رأى مقاما ما فوقه إلا مقام النبوة وظن أنه له واطمأنت به نفسه غاية الاطمئنان ، فبينما هو كذلك إذ بمناد ينادي ليس لك ما ظننت وتمنيت إنما هو لولى من أوليائي في آخر الزمان ليس ولي أكرم على الله منه . قال : فعند ذلك سلمت الأمور إلى مولاها . ولطالما جلت في الغيوب ببصيرتي لأطلع عليها وعلى مقامه ونسبه واسمه وكيف يكون حاله ، فما أطلعني الله على شيء من ذلك ، ولا شممت له رائحة أصلا ، أما سيدنا رضي الله عنه فقال لي سيد الوجود ﷺ بأنه القطب المكتوم منه إلى مشافهة يقظة لامنامًا ، فقلت يا سيدي وما معنى المكتوم ؟ قال رضي الله عنه هو الذي بمراتب الأولياء وحاز كل ما عند الله من الأسرار واحتوى على جميعها . وأكبر من هذا أن النبي ﷺ قال : إن لله سبحانه ثلاثمائة خلق من تخلق بواحدة منها أدخله الله الجنة ، وما اجتمعت في نبي ولا ولي إلا في سيد الوجود ﷺ ولا في الأقطاب من بعده إلى الحجة العظمى ابن العربي الحاتمي ، فبه ختم الأقطاب الذي اجتمعت فيهم الأخلاق الألوهية والربوبية

وهذه الأخلاق لا يعرفها إلا من ذاقها ولا تدرك بالوصف ولا يعرف فيها ، ولقد قال لي سيدنا رضي الله عنه : ما كشف الله لأحد من الأنبياء والأولياء عن بواطنها وأسرارها وعلومها وخباياها إلا لسيد الوجود ﷺ وأنا معه في ذلك حمدا وشكرا لله ، وأما غيرنا فيعرف ظواهرها فقط . ومعنى المكتوم الذي كتمه الله عن جميع خلقه حتى الملائكة والنبيين إلا سيد الوجود ﷺ فإنه علم به وبحاله . وقال رضي الله عنه إن الفيوض التي تفيض من ذات سيد الوجود ﷺ تتلقاها ذوات الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ، وما فاض وبرز من ذوات الأنبياء والرسل تتلقاه ذاتي ومني تستمد جميع الخلائق من أول الوجود إلى يوم القيامة . وبينه وبين سيد الوجود ﷺ علوم يتخذها منه بلا واسطة ولم يكن لأحد بها علم ولا شعور إلا الله عز وجل ، وهو الذي قال : لا يشرب والي ولا يسقي ولي إلا من بحرنا من نشأة العالم إلى النفخ في الصور . وهو الذي قال جميع الأولياء يدخلون زمرتنا ويتمسكون بطريقتنا ويأخذون أورادنا من أول الوجود إلى يوم القيامة ، وإن الإمام المهدي يأخذ عنا إذا قام آخر الزمان وبعد مماتنا وانتقالنا من دار الدنيا إلى الآخرة لأنه من جملة الأولياء . وهو الذي قال : أنا ذنب الجواهر ينحل كل من قاربني من الأولياء الصغار والكبار . وهو الذي قال : أعطاني الله وردا يسمى جوهرة الكمال ألقنه أصحابي يغنيهم عن زيادة كل ولي إلا سيد الوجود ﷺ والأنبياء ، وكذلك وأن كل من ذكره اثني عشر مرة على طهارة ثوبا وبدنا ومكانا وقال هذه هدية لك يا رسول الله فكأنه زاره في روضته الشريفة ﷺ وكأنما زار أولياء الله الصالحين من أول الوجود إلى يوم القيامة .

وهو الذي قال : أصحابنا لا يدخلون حفرة المحشر مع الناس ولا يرون مشقة ولا محنة من تغميض أعينهم إلى الاستقرار في عليين في جوار المصطفى ﷺ . وهو الذي قال رضي الله عنه : إذا كان الناس في الموقف ينادي مناد في الموقف يوم القيامة : هذا إمامكم الذي كان ممدكم من نشأة العالم إلى الآن . وهو الذي قال : أعطاني الله في السبع المثاني ما لم يعطه لأحد غيري إلا الأنبياء عليهم السلام . وهو الذي قال : أعطاني الله في الجنة مقام أربعين نبيا . وهو الذي قال كل الطرق تدخل في طريقة الإمام الشاذلي رضي الله عنه إلا طريقتنا لأنها طريقة محمدية إبراهيمية

حنيفية لأنه ﷺ أعطانا منه إلينا وقال : لي لا يسلك شيء إلا على يدي . وهو ﷺ رباني وسلك بي حتى يبلغ بي ما بلغ. وهو الذي قال : لو بحت ما علمه الله لي لاجتمع أهل العرفان على قتلي . وهو الذي قال : صاحبي لا تأكله النار ولو قتل سبعين روحا إذا تاب بعدها . وهو الذي قال : ليس لأحد من الأولياء أن يدخل كافة أصحابه الجنة بغير حساب ولا عقاب ولو عملوا من الذنوب ما عملوا وبلغوا ما بلغوا من المعاصي إلا أنا وحدي ، وأما سائر الأولياء رضي الله عنه يدخلون الجنة أصحابهم بعد الحساب بل والمناقشة . وهو الذي قال : أعطاني الله تبارك وتعالى شفاعة في عصري من يوم ولادتي ووضعي من بطن أمي إلى يوم مماتي . وهو الذي قال : قال لي سيد الوجود ﷺ أنت من الآمنين وكل من أحبك من الآمنين وكل آخذ وردنا فهو محرر من النار ووالداه وذريته وأزواجه . وهو الذي قال : طريقتنا هذه المحمدية لا ينبغي لنا إلا التفرد بها وكل الطرق تدخل عليها فتبطلها ، وطابعها يركب على كل طابع ولا يحمل طابعنا غيره . وهو الذي قال من ترك وردا من أوراد المشايخ لأجل الدخول في طريقتنا هذه أمنه الله في الدنيا والآخرة ، وإن كل من تمسك بطريقتنا وانتقل إلى غيرها طرده الله من حضرته ولا يفلح أبدا وتحل به المصائب دنيا وأخرى ولا ينفعه غيرها من أولياء أبدا وهكذا بوعد صادق من سيد الوجود ﷺ وهو الذي قال : كل أعمار الناس ذهبت مجانا وخسارة إلا صاحب الفاتح لما أغلق الخ . فإنه فاز بالربح دنيا وأخرى ولا يشتغل بها عمره إلا السعيد ، وإن المرة الواحدة منها بأربعمائة غزوة وكل غزوة بأربعمائة حجة وإن المرة الواحدة منها بفدية من النار ، والتي سمعت من سيدنا رضي الله عنه ، أنه قال : من ذكرها مرة يغفر الله ذنوبه ولو كانت في عمره مائة ألف عام وإن ذاكرها يعطى له ثواب كل ذاكر يذكر الله في الكون بأضعاف مضاعفة ، قل ذلك أو كثر .

قال البعض ويكفيك ما وضعنا في هذه الصحيفة على قلق وعجلة وإن أردت البحث والتطويل عليك بمناقب سيدنا وكلامه على الفاتح لما أغلق . وانظر رحمك الله إلى هذه المنح العظيمة والجواهر النفيسة كيف يتلفت إلى غيرها من أعطيت له وتمسك بها ، أو كيف يطمئن القلب بدونها ولا يتصل بها ويثبت عليها ، بل لا ينخرط فيها إلا من سبقت له السعادة الكبرى أهـ كلام الخليفة الحاج حرازم المذكور باختصار .

وأما ما سمعناه من سيدنا من كلامه مع الحق سبحانه لا يمكن ذكرها لضعف العقول . وفي (البغية المستفيد) لأبي المواهب السيد العربي ابن السائح رضي الله عنه ما نصه : ومعنى كونه خاتما لمنصب الولاية المحمدية إنه لا يظهر أحد في ذلك المنصب بمثل الظهور الذي ظهر به فيه فهو خاتم لكمال الظهور في ذلك المنصب لا لنفس الظهور وذلك لما تقرر عند علماء الطريق أن الختم للمناصب العالية باعتبار من تختم عليه معنيان : أحدهما أن لا يظهر أحد بذلك المنصب بعد من ختم عليه ، وذلك كمنصب النبوة والرسالة فإنهما ختما على نبينا ﷺ ومعنى الختم في هذا المقام لا يظهر أحد أصلا بذلك المنصبين الشريفين بعده عليه الصلاة والسلام . والثاني ألا يظهر بكمال الظهور في ذلك المنصب بعد من ختم عليه ، وذلك كما في منصب الولاية المحمدية ، فإنه ختم على سيدنا الشيخ رضي الله عنه ، حسب ما أخبرنيه بذلك عن نفسه ، وليس المراد بالختم في هذا المقام أن لا يظهر أحد بمنصب الولاية بعده ، وإنما المراد أن لا يظهر أحد بعده بمثل كمال الظهور الذي ظهر به هو في ذلك المنصب . وفيه أيضا ما نصه : قد ذكر هذا الختم غير واحد من الأئمة الكبار رضي الله عنهم . وأول من ذكره تصريحا فيما وقفنا عليه علم الأعلام المشهود له من كمل العارفين كالحاتمي والشاذلي رضي الله عنهما بالذوق التام الشيخ الإمام المحدث الصوفي أبو عبد الله سيدي محمد بن علي الترمذي الحكيم رضي الله عنه فقد ذكر الشيخ عبد الوهاب الشعراني رضي الله عنه في غير ما كتاب من كتبه إنهم أنكروا عليه بسبب تأليفه في الختم وفي علل الشريعة وشنعوا عليه في هذين الكتابين وقالوا فضلت الأولياء على الأنبياء وأغلظوا عليه فألقى الكتابين في البحر فابتلعتهما سمكة ثم لفظتهما وانتفع بهما .

وأما الشيخ محي الدين رضي الله عنه ، فقد ذكره في عدة مواضع من كتابه (الفتوحات المكية) وألف فيه بالخصوص كتابه الذي سماه : (عنقاء مغرب في شمس الأولياء وختم المغرب) وقد طالعته فإذا هو كاسمه غريب ، وله فيه الرمز المعمى واللسان العجيب . إلا أنه كثير ما يلتبس الكلام في الختم الأكبر بالكلام في ختم الولاية الظاهرة ، وخصوصا في كلام صاحب (الفتوحات) بحيث يشكل إلا على من يفرق بين المقامين ، ويميز بين الحقيقتين أهـ ثم قال بعد كلام : وبالجملة فقد أجمع على إثبات هذا المقام لشيخنا رضي الله عنه ، ولم يختلف منهم اثنان فيه

حتى استفاض ذلك على ألسنة الخاص والعام من الأصحاب والإخوان في سائر البلدان ، فلا يلتفت لنفي من نفاه كائنا من كان . وقد ذكر العلماء في فن الأصول من وجوه الترجيح أن المثبت مقدم على النافي لأن معه زيادة علم . وقد تقدم أن معنى الختمية في هذا المقام هو أن لا يظهر فيه أحد بالكمال الذي ظهر به فيه هذا الختم رضي الله عنه . وليس المراد أنه لا ولي بعده ، لا . وذلك إنما هو معنى الختمية في المقام النبوة والرسالة ، فإنه ختم على نبينا ﷺ فلا نبي ولا رسول بعده . ومعنى الختمية فيه هو أن لا يظهر أحد في ذلك المقام بعده أصلا .

وأما معنى الختمية في مقام الولاية الظاهرة والباطنة بقسميها فهو ما ذكرناه من أن مقامه أن لا يظهر أحد في ذلك المقام قبله ولا بعده بالظهور الذي ظهر به فيه من الكمال ، فافهم .

ومما يدل المحب المنصف على أن سيدنا رضي الله عنه هو صاحب هذا المقام الأعظم بلا ريب : الصلاة التي هي إحدى الأذكار التي قامت عليها وظيفته اللازمة في طريقته ، وهي الصلاة المسماة (بجوهرة الكمال) لأنها ظاهرة الدلالة عند من خصه الله تعالى بذوق أسرارها ومعانيها ، ولا لاح له شيء مما في طي رمز مبانيها على أن لسيدنا رضي الله عنه في الحقيقة المحمدية المشرب الخاص الذي لم يحك مثله عن أحد من كمل أهل الاختصاص ، ومن ثم استعد له لما استعد له من تلقى الإمداد الفائضة من ذوات المرسلين ، واستحق النيابة الكاملة عن سيد الخلائق أجمعين ﷺ وعلى آله الطيبين ، وصحابته الأكرمين .

وقد أشار إلى هذا أخونا وسيدنا العارف بالله سيدي عبيدة بن سيدى محمد الصغير في شرحه الصلاة المذكورة الذي أبدى فيه بعض أسرارها المكنونة وخفاياها المستورة جزاه الله خيرا ونفعنا ببركاته آمين .

وقد كنت فاوضت في هذا المقام بعض الأصحاب الموفقين فقال لي ما معناه : إن في رجوع الشيخ رضي الله عنه بإذن من النبي ﷺ إلى صلاة الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق .. عن غيرها من صيغ الصلوات ، وجعلها بخصوصها أحد الأذكار القائم منها ورده اللازم لطريقته مع الإمكان إشارة إلى أن صاحب هذا الطريق هو الختم المحمدي على التحقيق ، فوقع كلام هذا الصاحب من قلبى موقع القبول .

فلما وقفت على كلام السيد المتقدم الذكر في شرحه على الجوهرة زاد موقفه ، أعني كلام ذلك الصاحب ، من قلبي وتأيدت به إشارته السنية لديّ ، ولا سيما وقد كنت أسمع بعض أصحاب سيدنا وخاصته رضي الله عنه كثيرا ما يقول في الصلاة الفاتح لما أغلق هذه الصلاة فيها سر الطريق. أهـ . فافهم .

فتح الله بصائرنا ، ونور بأنوار معرفته سرائرنا ، وأرانا الحق حقا ، وألهمنا في متابعته رشدا وصدقا . آمين ولمعرفة هذا ومثله مما خص به سيدنا رضي الله عنه في مقام القطبانية يظهر لك مصداق قول شيخه الشيخ محمود الكردي رضي الله عنه لك أكثر منها يعني القطبانية أ هـ . وفيها قيل هذا ما نصه : قال شيخنا الختم الأكبر ، وهو القطب المكتوم الأشهر ، سيدنا ومولانا أبو العباس التيجاني رضي الله عنه عند كلامه على الصفات الجليلة المقدسة جلة وعلة بعض كلام في ذلك ما نصه : ولهذا قال الشيخ الكامل مولانا عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه : من ألف البهاء من الله تعالى ولم يطالع إلا صفات الجمال لا يثبت لبدو العظمة والكبرياء . أهـ

ثم قال شيخنا رضي الله عنه ما معناه : لا يثبت لذلك إلى أكابر الرجال العارفون ، فإن أكملهم وهو القطب الكامل لا يتجلى له حقيقة الكبرياء إلا بعد بلوغه للمرتبة العليا من القطبانية ، وذلك المقام يسمونه ختم المقام ولم يرتقه من الأقطاب إلا القليل لبعد مرامه ، فإذا ارتقاه القطب ووصله : فهنالك يتجلى له الحق بالكبرياء الذاتي ، ولا يزال مرتقيا فيه إلى الأبد ، ولو تجلى بذلك الكبرياء بمقدار ذرة منه لجميع العارفين والصديقين لصاروا هباء منثورا في أسرع من طرفة العين ، ولا يقدر عليه إلا القطب الجامع . لكن بعد بلوغه لمقام الختم وقبل بلوغه لا قدرة له عليه ، قال مولانا علي كرم الله وجهه : المعرفة كشف سبحات الجلال وغايتها الدهش في كبرياء الله تعالى أهـ .

أراد بغايتها مقام الختم في القطبانية فهو غاية الغايات . أهـ كلام شيخنا رضي الله عنه ونفعنا بعلومه وأسراره . وهذا المقام أعني مقام الختم في القطبانية لم يكن إلا بحكم الإرث من النبي ﷺ بعده لمن اختصه الله بذلك من الأقطاب المحمديين المتخلقين بالأخلاق الثلاثمائة التي من تخلق بواحد منها دخل الجنة وهم أكابر

أقطاب أهل الولاية الباطنة الخاصة . إذا الولاية من حيث هي على قسمين : ظاهرة وباطنة . فالظاهرة لأهل الأمر والتصريف وهي معروفة ، وهذه الولاية تختم على الإمام العدل المسمى المنتظر الذي يظهره الله آخر هذه الأمة حسبما هو مشهور من خبره . والباطنة لأهل التصريف الباطن .

وهذه الباطنة تنقسم إلى قسمين أيضا : عامة وخاصة . فالعامة من آدم إلى سيدنا عيسى عليه السلام ، وعليه تختم حين ينزل في آخر الزمان .

والخاصة هي من النبي عليه الصلاة والسلام إلى الختم الأكبر الذي يختم عليه مقامها ، وينتهي إليه مرامها . والأقطاب المخصوصون بإدراك مقام ختم القطبانية هم أهل الولاية الباطنة الخاصة حسبما سبقت الإشارة إليه ، ويسمى كل واحد ممن بلغ مقام الختمية بمعنى من المعاني المتقدم بالختم والخاتم كذلك أيضا . والختم بالمعنى الأول الذي هو من بلغ الرتبة العليا من القطبانية واحد ، لكن في زمانه خاصة ، لأن القطب من حيث هو واحد في زمانه ، وعلى هذا فلا إشكال في قول من قال أن لكل زمن ختما إلا أنه ليس المراد أنه لا يخلو زمان عنه وإلا لزم أن يدرك كل واحد من الأقطاب هذه الدرجة بل المراد إنه يتعدد وجود من يبلغ هذه الدرجة في الأقطاب بمعنى أنه يأتي على رأس كل مائة سنة ، فيصح أن يقال لكل زمن مجدد لا باعتبار أنه لا يخلو منه زمان فاهم ذلك

- والختم بالمعنى الثاني الذي هو الإمام الذي يبعثه الله في آخر الزمان حكما عدلا واحد في الزمان بلا شك عند القائل به ، وعليه أهل الكشف رضي الله عنهم .

- والختم بالمعنى الثالث هو الذي تختم عليه الولاية العامة فهو واحد كذلك أيضا وهو سيدنا عيسى عليه السلام .

- وأما الختم الأكبر الذي هو ختم الولاية المحمدية فهو واحد أيضا في الزمان لا يكون منه إلا واحد من عصر النبي ﷺ يختم الله به الولاية المحمدية أعني الباطنة وقد تقدم لنا في الكلام على البيت الثاني من هذه المنظومة أن معنى هذا المقام عليه أنه لا يظهر بكمال الظهور الذي ظهر به فيه أحد قبله ولا بعده ، وهو أعني الختم الأكبر على قلب خاتم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

- ومن علاماته أنه يحقق مواجيد الأنبياء كلهم ويختص عنهم بوجده كما حقق خاتم الأنبياء مواجيد كلهم واختص عنهم بخصوصيته فافهم .

نقله الشعراني رضي الله عنه في طبقاته عن الأستاذ الكبير سيدي محمد وفا رضي الله عنه .

تنبيه : يقول المعاند : إن الحكيم الترمذي الذي هو أول من ذكر وجود خاتم الأولياء جرد أسئلة وقال إنه لا يعرف الجواب عنها إلا الختم مع أن شيخنا التجاني لم يتعرض للجواب عن الأسئلة المائة والخمس والخمسين . فالجواب في ذلك .. والله أعلم من وجهين :

أحدهما : إن الحكيم الترمذي لم يقل إن الختم يجيب عنها إنما قال لا يعرف الجواب عنها إلا الختم ، والختم غير مكلف بالإخبار بجميع ما لم يعلم .

والثاني : إن الشيخ الأكبر تكلم في الأسئلة فلم يتكلم الختم التجاني بما يوافقه ويخالفه أدبا مع صفوة الحق ، مع إنه إنما تلقى ما تبقى من مشكلات الختم التجاني ، فلسانه في ذلك لسان نيابة ، وكثيرا ما يرد على وارد يقتضي مني التعرض للأسئلة نيابة عن الشيخ فيمنعني الأدب ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . ومنكر ختميته ينكر حسدا فقط لا غير . ولسان حال الختم ينشد :

إن يحسدوني فإني غير لائمهم ... قبلي من الناس أهل الفضل قد حسدوا
فدام لي ما بي وما بهم ... ومات أكثرنا غيظا بما يجد

وينشد :

إني نشأت وحسادي ذوو عدد ... يا ذا المعارج لا تنقص لهم عددا
إن يحسدوني على ما بي وما بهم ... فمثل ما بي يجلب الحسدا

ولولا خشية الإطالة لعقدت بابا يحتوي على أجوبة ماذا عسى أن ينكره قصير الباع المحروم نور التصديق من بعض كلام هذا القطب المكتوم والبرزخ المختوم . وقد تصدى لإنكار بعض كلامه ابن مايابا الجكني ، وقد رد عليه أخي الخليفة الحاج محمد ابن والدي بنظمه الذي سماه (المرهفات القطع) ولم يترك مقالا لذي جدل .

وقد شرح عدة شروح منها شرح الناظم ومنها شرح الخليفة الحاج محمد الأمين ابن سيدي أحمد العلوي . ومنها شرحي أنا ، فطالعها تجد ما يروي الغليل ويشفي منك العليل . وقد أثنى على شيخنا الختم التجاني الأجلة من العلماء والمشايخ الذين يستحيل تواطؤهم على الكذب من كل أقطار البلاد ، وكلهم وصفوه بالعلم والولاية والعرفان فممن أثنى عليه من المغاربة العلامة سيدي حمدون بن الحاج ، فقد ذكر ولده في كتابه الإشراق إنه كان يثنى على هذا الشيخ في العلم والمعرفة ، ويقول إنه من الكمل وأنه مدحه بقصيدة منها قوله :

فعليك بالبدر المنير سنا أبي الـ   عباس أعني أحمد التجاني
شمس السيادة قطب دائرة الهدى   بدر السعادة كوكب الإحسان
بحر الندى مبد لنا حكما سمت   كفرائد في العقد والتيجان
حبر إمام قد سما بمعارج   في الصالحات ولم يكن متوان

ومنهم الشيخ الطالب ابن الحاج فقد قال في حاشيته على المرشد عند قوله : (يجب للرسل الكرام الصدق) ما نصه : وقال الشيخ العارف بالله سيدي أحمد التجاني أعاد الله علينا من بركاته .

ومنهم العلامة الكامل ، والشريف الفاضل ، سيدي جعفر بن إدريس الكتاني ، فقد قال في عدد من كتبه : (الشرب المحتضر ، والسر المنتظر من معين بعض أهل القرن الثالث عشر) ما نصه : ومنهم الولي الشهير ، والقطب الواضح الكبير ، الغوث الرباني أبو العباس سيدي أحمد التجاني . ثم قال : والحاصل إن أوصافه عظيمة ، وأحواله عجيبة ، ومقامه في الولاية حال كبير .

ومنهم العالم الأثري سيدي محمد بن جعفر الفاسي ، ثم المدني الحسني الكتابيي فإنه في عدد 80 من الجزء الأول من كتابه (سلوة الأنفاس) من نصه : الشيخ الواصل ، القدوة الكامل ، الطود الشامخ ، العارف الراسخ جبل السنة والدين ، وعلم المتقين والمهتد العلامة الدراكة المشارك الفهامة ، الجامع بين الشريعة والحقيقة .

ومنهم العلامة المشارك المحقق أبو عبد الله محمد فتحا القادري ، فإنه وصف الشيخ المذكور بقوله : العارف بالله مولاي أحمد التجاني . وهذا مذكور في عدد

53 من كتابه (رفع العتاب والملام عمن قال العمل بالضعيف اختيارا حرام) كما ذكر في حاشيته على البردة عند قول الإمام البوصيري : من لي برد جماح الخ ، إن والده أوصاه بمحبة الشيخ التجاني ، ثم إنه لقي شيخه وشيخ والده أبا العباس سيدي أحمد بناني رحمه الله .. وأشهد أنه يحب الشيخ المذكور أهـ . وهؤلاء من علماء فاس ، ومن علماء المغاربة أيضا العلامة الشهير المؤرخ النسابة الكبير أبو العباس سيدي أحمد الناصري السلاوي رحمه الله في مواضع من كتابه الاستقصاء فقد ذكر في عدد 138 من الجزء الرابع من كتابه المذكور : أن أبا العباس التجاني كان ذا سمت ومشاركة في العلوم . أهـ .

وقال في عدد 149 من الجزء المذكور ما نصه : وأما الأولياء فالقول بمنع زيارتهم سدا للذريعة مع بيان العلة وإشهارها بين الناس حتى لا يلتبس عليهم المقصود ، قول وجيه لا تأباه قواعد الشريعة بل تقتضيه ، والله أعلم . أهـ .

وهذا القول هو الذي رآه الشيخ الفقيه الصوفي أبو العباس أحمد التجاني رحمه الله حتى نهى أصحابه عن زيارة الأولياء . أهـ

وقال في عدد 150 من الجزء المذكور ما نصه : الشيخ العالم العارف الإمام أبو العباس أحمد التجاني شيخ الطائفة التجانية .

ومن أهل تونس الشيخ محمد بيرم الخامس التونسي ثم المصري فإنه وصف أبا العباس التجاني بما نصه : القطب الصالح سيدي أحمد التجاني رضي الله عنه ، وذلك في عدد 33 من كتابه (صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار) وذكر هنالك قضية لبعض العلماء استغاث بها الشيخ أبا العباس التجاني لما أدركت المضرات حذاق القطر التونسي . وترجمة محمد هذا مفردة لتأليف - توفي بمصر وبها دفن سنة 1307 هـ ومن أهل الشام الإمام الفاضل ، والمحب الكامل ، سيدي يوسف النبهاني ، فقد ذكر أبا العباس التجاني في عدد 349 من الجزء الأول من كتابه (جمع كرامات الأولياء) قائلا فيه ما نصه : إمام العارفين ، وأحد أفراد أكابر الأولياء المقربين . ذكر أيضا في كتابه : (سعادة الدارين) الشيخ التجاني رضي الله عنه ، ممن أخذ الأوراد والأذكار عن النبي ﷺ يقظة ، وذكر فيه أشياء من خواص جوهرة الكمال .

ومنهم السيد الولي الشهير والقدوة الكبير محمد فال بن محمد بن أحمد العاقل، المتقدم ذكره ، قال :

وأحمد المعروف بالتجاني ذي العلم والأسرار والعرفان

ومنهم سيدي عبد الله بن أحمد دام الملحو بالإعظام من أقر في تقدمه جميع معاصريه ، وأذعن له من أهل قطره حاضره وباديه . قال :

من كان في مذهب التجان ممتريا فإنني لكمال الشيخ معتقد
من ينظر الكتب التي أفاد بها ينظر كلام محق كله رشد
أما الذين تعاطوا ورده فلقد أعيا على العد حصرا منهم العدد
وليس يعدم في الإعراج غص بها فيح الفلا عرج في البعض أو حرد
إن يأت منتسب ينمى إليه بما يخالف الحق عق الوالد الولد
فاردد عليه بمضمون الثلاثة في قيد عن الشيخ لا يجمع بك الحسد
سم وحي فلا تذهب لتلعقه إن العقول عن أسباب الردى صفد

وكلهم أثنوا عليه خيرا .

والناس أكيس من أن يمدحوا رجلا من غير أن يجدوا آثار إحسان

وأما من أثنى عليه من أهل طريقته الذين صحبوه وعرفوه حقيقة ، فمنهم أبو إسحاق سيدي إبراهيم الرياحي ، قال في مدح هذا الختم :

يا ترى ممرضي دري بسقامي فهو إن يرضه أعز مرام
ما عدا هجره فأجناد صبري ما استطاعت لحملها من قيام
أي الهاجر وإن كنت أهلا أين حلم النهى وصفح الكرام
كيف يا سيدي وأنت مرادي وعلى من سواك ألف سلام
كيف أذللت بالجفاء محبا لك في قلبه أعز مقام
صار يهوي من بعد طول ائتلاف لك وصلا ولو بطيف منام
آه ألفا على ليال تقضت نظمت شملنا بأي انتظام
حيث فاس قرارنا وهي دار ما لدار في حسنها من خصام

ما لمصر ولا لبغداد معنى مشبه لا ولا عراق وشام
أي سر فيها وأي سرور قد قطفنا وأي شرب المدام
أي معنى وأي لطف وظرف وغرام يهاج بالأنغام
والإمام التجان أحمد فينا داعيا بالهدى لدار السلام
يسرج النور في القلوب ويمحو بمياه الغيوب كل ظلام
يكسب النور في سرائر قوم أصبحوا بالوصال سكرا غرام
ذاك فإن في الله حبا وهذا في جمال النبي بدر التمام
يا نفوسا دكت لقهر التجلي يا عقولا خرت للطف الكلام
مدد مدهم به الشيخ جودا إن جود التجان في الكون هام
كيف لا والإمام أحمد قطب ما له في المقام قطب مسام
خاتم خصه الإله بفضل وعطايا من المزايا عظام
دونها تنتهي النهى لعلو وارتقاء عن مدرك الأفهام
هكذا أنبأ النبي فصدق أو تهيأ لرشقة من سهام
إن تقل كيف ذاك وهو أخي أيفوق المأموم قدر الإمام
قلت فاق النبي وهو أخير كل ذي رتبة سمت في الأنام
ليس للقدرة القديمة عجز وكذلك الفضل لم يزل في انسجام
خلت نعت النبي فهو محال والسوى جائز بغير ملام
ليس من حقك الجدال ولكن أن يكون الجفون منك دوام
حيث تكتحل بنور اهتداء كي ترى الشمس ما لها من غمام
لا تجادل في الأولياء وسلم قبل توثير قوس أيد رام
بشر الخائضين منهم بحرب من قوي في بطشه ذي انتقام
رب إني صدقت كل ولي راعيا حقهم بعين احترام
غير أن ابن سالم هو شيخي وملاذي وعبدتي وإمامي
في هواه المطاع طاوعت غيي وعلى بابه ضربت خيامي
وإن يكن راضيا فذلك فوزي بجميع المنى وحسن الختام

فيه :

صاح اركب العزم لا تخلد إلى البأس ... واصحب أخا العزم ذا جد إلى فاس
واشرح متون صباباتي لجيرتها ... وحي حيا بهم قد كان إيناسي
واقر السلام على تلك المعاهد من ... حيران تلفظه ناس إلى ناس
وقل لهم ذلك المضنى وحقهم ... باق على العهد ذو وجد بكم راس
لا يبصر الحسن إلا في وجوهكم ... وليس يجنح في حب لوسواس
وعج إلى حيث من عيني لفرقته ... تبكي وتزفر بالأشواق أنفاسي
ومن أنا فيه حيران يغلبني ... دهري بأنواع تهيام وأتناس
ومن فؤادي به مضني يحملني ... ما بعضه دك منه الشامخ الراس
ذاك الذي نال ما لم يحوه بشر ... من العطايا ولم يعرف بمقياس
غوث البرايا أبو العباس أحمد ... من معناه أعظم أن يجلى بقرطاس
روح الوجود وقطب الكون مركزه ... ممده سره الساري إلى الناس
رمز الوجود وسر الحق طلسمه ... مكنون كنزه المخفي بحراس
حقيقة الكون معنى السر مجمعه ... فيض الإله بلا لبس ولا باس
أعني التجاني تاج العارفين ومن ... بسابغ الفضل من عرفانه كاسي
ومن محبته ديني وخلته ... عقلي وروحي وجلاسي وأتراسي
ومسمعي وفؤادي وانبساط يدي ... ومقلتي ولساني بين جلاسي
يا سامعي إن تكن للسر ذا ظمأ ... فجئ لأحمد ساقي السر بالكاس
رد ورده العذب واستنشق روائحه ... تظفر بأعطار ذاك الورد والآس
واستعمل الجد في تحصيل واجبه ... إن لم تكن في بساط القرب ذا ياس
واهرع إليه إذا ما كنت ذا ظمأ ... وسر إلى الله مشاء على الراس
وانهض فقد لاح للإسعاد طالعه ... وقم ولاتك للإسعاد بالناسي
واخلع ظلاما على قلب منعت به ... أن تستضيء إلى المعنى بنبراس
وما ظنونك بالورد الذي نظمت ... يد النبوة هل يمنى بلا ساس ؟
وما تظن بمنهاج لسالكه ... أمن من أهوال نيران وأرماس
يا رب أدعوك بالأسما وأعظمها ... وأعظم الرسل ذي الإحسان والباس

وحمزة وعلي وابنه حسن مع الحسين وزهراء وعباس
اجعل قلادة جيدك في أصابعه وارحم به قلبي المضني به القاس
وابعث له عند سمع النظم مرحمة تنفي عليّ شقاواتي وإفلاسي
وعم مثواه تسليما فليس سوى تسليم ذاتك كفؤ القطب في الناس

وقال حسان الطريق سيدنا محمد الملقب ببد ابن سيدين :

حي دارًا لدى أبي سمغون وأسقها من مصون ماء الشئون
واسق دارا تبوأت عين ماض بمعين من الدموع سخين
شغف القلب حبها لا ربوع عند أهل الغنات من حيرون
قف بتلك الديار وابك وعفر بينها الخد قبل ريب المنون
تلك أرض الجريد يا لك أرضا ذات جد وطائر ميمون
تلك كانت للقطب مأوى ومثوى ومحطا لكل سر المصون
سار فيها بسيرة القوم سيرا لم يكن قبله لذي تمكين
قام فيها يجدد الدين حتى أشرقت أرضه بنور اليقين
سار عنها إذا ويمم فاسا فأضاءت له دياج الدجون
حق في أهل فاس إذ ذاك بيت وقليل له سواد العيون
يا لفاس وجندا أرض فاس وبفاس تشوقي وحنيني
قام فيها أزكى المقام يهدي بهدى المصطفى الرسول الأمين
نفث الدر واليواقيت فيه من فيوضات بحره المشحون
بحر علم تقاصر البحر عنه لا تعاني أمواجه بالسفين
مدد من عين المعارف مفتا ح الفتوحات ثمرة التكوين
نال قربا من النبي عزيزا لم ينله من ذي مقام مكين
ولكم خصه بعلق نفيس من علوم وجوهر مكنون
وحبانا منا بمن ضل فيها شقوة كل جاهل مفتون
فغدا وارثا له الإذن منه برشاد المريد والتلقين
فعلا صيته وعم هداه ساكن القدس والصفا والحجون
ولكم طالب أتى بنحاس فغدا بعده بدر ثمين

همة ينهض المريد وحال   قائد من أتى بفتح مبين
همة ردت الغواة إلى الرحـ   ـمن حتى انتهت إلى زعنون
من يريني من العباد وليا   صيته مثل صيت شمس الدين ؟
قد علمناه صاحب الختم حقا   ليس ذا من مرجمات الظنون
عاش ما عاش ثم لما تولى   وله الأجر غير ما ممنون
غبط القلب تربة ضمنته   يا لشيخ بأرض فاس دفين
خلف القطب إذ تحمل عنها   من تلقى لواءها باليمين
ذاك شيخي محمد إن سألتم   وارث الشيخ والكتاب المبين
حامل عبء هديه فهو منه   كالمصلي من سائق مستبين
متحل بخلقه مترد   بكمالاته بعلم ودين
حافظ العصر مسند القطر مبدي   سمة العارفين محي الدين
حل في ذروة الكمال فلا مر   ية فيه إلا لقلب رعين
فغدا من بعد المقام غريبا   ما له بعد شيخه من قرين
ستر الكمل الرجال كمال   شابه النقص عند أهل الريون
رب إن لم أكن من القوم إني   عدت من جاههم بحصين حصين
لذت من جاههم بركن شديد   أسندته إلى القوي المتين
رب إني أحبهم وحبيب الـ   ـقوم منهم لعلهم يرحموني
إنهم أهل ذمة ووفاء   لا أخاف العداة أن يسلموني
رب حسن بهم الخواتم عمري   وأجرني من العذاب المهين
وأذقني بهم معارف تترى   أترقى بنورها كل حين
رب واسبل علي منك العوافي   وقني شر كل داء دفين
لا تكلني لا طرفة عين   واقض حاجي بهم وقو يقيني
ربنا هب لنا بهم من بنينا   ومن الأهل قرة للعيون
واجعلنا للمتقين إماما   واهدني واهد بي وأنت معيني
وعلى صفوة الأنام صلاة   وسلام على ممر السنين
وعلى آله السراة جميعا   وعلى صحبه وباقي القرون

وعلى شيخنا من الله سحب ... برضاه تسير سير المنون

وله أيضا من قصيدة :

ما زال في سفر المعارف راحلا ... يرمي أقاصيها بطرف طامح
حتى أبيح له لقي المصطفى ... كم دونه من شقة وصحاصح
فأمده خير الأنام برتبة ... أزرت بمرتبة السماك الرامح
إن لم تعاين فضله وكماله ... وغدوت عنه في محل نازح
طالع لتعْرفه جواهر فيضه ... تظفر بنور كالمجرة لائح
وإذا تكلم في الحقيقة مرة ... بهر العقول كلام عبد صالح
وإذا تأمل ذو البصيرة هديه ... من سنة وسيلة ومصالح
يعلم قرابة عهده بالمصطفى ... ما شذ عن سنن الطرق الواضح
ألقى عصا التسيار عند لقيه ... والفتح يشرقه مقام الفاتح

وقال أوحد زمانه ، وفذ أوانه محمد فال بن بابا في شأنه أيضا :

ألا حي الطلول لدى بليدا ... ولا أطلال ميّ ولا زبيدا
وبحر بليد حيث تغوص فيه ... فلا تبغي السرى ولا الجنيدا
ولم يك ذا عجيبا بل عجيب ... غريق يبتغي في البحر زيدا
إذا ما كنت ذا ظمأ فرده ... فلا صدا ولا ركَكا وفيدا
ومن فاض الفرات لدى فناه ... فما يدنيه حفر الأرض فيدا
فحسبي أحمد لا عمر أبغي ... به شيخا ولست أريد زيدا
له أرض الفؤاد اجعل مهادا ... يكن وتدا بها لم يخش ميدا
إذا بلد به قصر لقلب ... فقصر القلب مني في بليدا
فإن تك طالب الزلفى فجاهر ... بحبكه من القلب السويدا
ولا تطع العواذل في هواه ... ولا تسمع ولا هما وكيدا
فتلك سرية من سار فيها ... يؤب بمغانم لم يلق كيدا
ولم يك فارط يشتد عدوا ... ليدرك شأوه يمشي رويدا
فأنت بأمن إن تحلل حماه ... وحر إن غدوت له عبيدا
عزيز العلم قد حلى بتقوى ... كمشط لآلئ في جيد جيدا

إذا ما شاردات منه فاتت ... وعزت نائل القناص صيدا
لها من فهمه فاركب جودا ... تجده للأوائد شد قيدا
وكم متعالم يسطو بجهل ... يرى أن يسبق النقاد أيدا
على العلماء ينقد وهو غمر ... فلا يدري قبيلا من بعيدا
كقنفذ إذ يتيه على الأراني ... بلين المس منفردا ببيدا
ومن يخذل يظن البحر ألا ... ويحجو كاملا عقلا فريدا

ولمحمد بن الطلب أيضا :

أبد الإله من الصفا وقد اصطفى ... أصفى صفي مصطفى من مصطفى
شيخي أبا العباس أحمد أحمد ... قطب الوجود المصطفى بن المصطفى
نفس الولاية ختمها مختومها ... سر الإله أجله أن يوصفا
إنسان عين الكون هو وعينها ... ومعينها الجاري الذي ما أخلفا
شرفت به أبناء آدم صورة ... خصوا بها حسنها ما أشرفا
وبه نظام الكون كان ولم يكن ... لولاه لا فيه بدا وتألفا
روح الوجود وذاته وضميره ... شمس الحقيقة حقه لن يعرفا
لكن تظاهر مصطفى من مصطفى ... من مصطفى من مصطفى من مصطفى
ما لا اصطفاه نهاية من واصف ... إذا ما لما عند المهيمن من وفا
ما زال يظهر من بطون بطونه ... حتى بدا متنكرا متعرفا
إن كنت راء لا ترى إلا حلا ... ما لم يكن منه الظهور تعرفا
فإذا تراه ولا تراه تحققا ... ببطونه حال التظاهر بالصفا
ولكم خفي ولكم خفي مما اختفا ... وكم اختفى وكم اختفى مما خفا
فيه التحير والضلال هداية ... ويرى الهداية حيرة وتوقفا
ما نلت حثوا في ارتقاء مديحه ... إلا وكان وراء ما نلت اصطفا
ولقد هممت بأن أقول ولم أقل ... إذ ليس يمكن أن أقول فأنصفا
ما إن تجول به بصيرة قائل ... إلا وحار لما رأى وتوقفا
يا سيدي حقا وغاية رغبتي ... أنت المعد لكل أمر أجحفا
ولك السيادة سيدا من سيد ... رتب علوت تحققا وتشرفا

جمع بفرد من سيادة واحد … ما نالها إلا الأجل المصطفى
لو لم يكن فردا وجمعا لا ترى … فردا ولا جمعا ولا متألفا
أنت السبيل إلى النبي وربنا … ولحبذا ذاك السبيل المقتفى
وبنو السبيل إليك نحن ومالنا … إلا كمؤمل ملجأ وبكم كفى
حق النبوة والسبيل لنا عليـ … ـكم والوفاء بحقنا ولك الوفا
والسائلون إذا نحن ببابكم … لا نبرحوه أو نخص ونتحفا
والضيف نحن لدنكم ولديكم … حق الضيافة والسبيل والإعتفا
متكففين ببابكم لنوالكم … ولكم حبوتم من أتى متكففا
مستعطفين لديكم وعليكم … أن لا يخيب من اعتقى مستعطفا
باب الإله لأنتم ولأنتم … عين الإفاضة والمفاض المعتفى
ولحبذا جمعي بكم في جمعكم … فبجمعكم يسمو العلى ويصطفى
طوبى لمن أودعتموه أمانة … حققتموه بها أمينا منصفا
متحليا بحليكم متتبعا … إثر الهداة بما استفادوا من صفا
أوصلتموه وصلتموه فلم يكن … أبدا يرى عن نهجكم مستنكفا
لا تنكروا الإلحاد والإلحاق لا … مني عليه ولم أعز وأسعفا
فسؤاله طلب الإله وما على … داع الإله إذا ألح وألحفا
ولكم كفى ولكم كفى في زائر … أو جائر ولكم كفى ولكم كفى
أزكى السلام عليكم من واله … ما حن للقيا بكم وتشوفا
ثم الصلاة على النبي محمد … ما ضاق عن توصافكم ألف وفا

الشيخ إبراهيم بن الحاج عبد الله :

صاح قف فيه للمعاني … استبن دور الغواني
فتقف هل تراها … وتأمل غير وان
بعد لأي قد تراءت … قد عفاها الملوان
قد غدا الدور خوالي … عجب صرف الزمان
نسجتها من جنوب … وشمال كل آن
فهي كالخط سوادا … ولقد هد المبان

رسمها ويك تلاشى ... من تصاريف الأوان
ربعها صار يبابا ... وكذا ملهى المغاني
بعد ما كان رياض الـ ... ـلهو تعطوها بناني
في ظلال مورقات الـ ... ـغصن في أشهى المجان
من شباب وفراغ ... ورخاء ذي تدان
قد سقتها وابل اليسـ ... ـر بوقت العنفوان
فبها من صفو عيش ... ما تشا وفق الأمان
تلك أيام تقضت ... ومضت دون توان
أقبلت أيام نحس ... وسراء السعد وان
فاسقها غرب دموع ... دائما في الهطلان
ليتما شرخ شبابي ... دام عند المغان
في أغاريد الأغاني ... ومصافاة الغواني
ومساقاة الدنان ... ومناجاة الكران
كل ذا شبه ظلال ... أو سراب الصحصان
جردن منك عزيما ... ما يوازي الهندواني
واستفق ثم يبصر ... فهي قوت مذ زمان
خلها ويك تراءت ... دار محبوبي التجاني
قد تبدت ويك وازدا ... نت بمبهاه المدان
إن خلت دار وشطت ... هذه ذات التداني
أو تناءى وصل أحبا ... ب فوصل الشيخ داني
ذاك رب الختم ذاك الـ ... ـمرتضى روح المعاني
ذاك سبط المصطفى ذا ... إرث ذي سبع المثاني
ذلك البرزخ ذاك الـ ... ـسر والفيض حباني
ذاك شأن من شئون الـ ... ـحق يبدو للعيان
عين سر قد تبدى ... هيكلا مغواث جاني
قطب أقطاب رئيسا ... مفردا لا من يداني

وهو مفتاح إلهي حبه فتح الجناني
حبه فتح مريد خير ما يجنبه جاني
قد تبدى القطب فردا ما له في الكون ثان
وله قبل وصول في ذرى عز التداني
فشريف من شريف كل آن وزمان
حشد العلم صغيرا وترقى غير وان
صار كهفا للبرايا موصلا أهل التداني
كل فحل صار نجلا من تهام أو يمان
كل سر في البرايا مده سر التجاني
كم لشيخي من كمال وقامات حسان
كم له في الغيب أسرا ر ثوت حلو المجان
كم له من ساريات دائما في الهطلان
كم أرى من مشكلات فات أرباب المعاني
من أحاديث وآيا ت وألغاز متان
وغدت مثل رياض حين تجلى للعيان
وله صوغ كلام فاعجبوا تلك المباني
من كلام الشيخ عمري تلتقي سر البيان
وله أعلى خصال ما تشا من علو شأن
وله ترتيب أورا د من الجد حسان
وكرامات توالي عن مدى البعض لسان
إن ما لي من فنون وقواف ومبان
وقلام وطروس وبديع وبيان
وتفاعيل عروض في تصاريف المعاني
ما أتى معشار عشر الـ عشر دهري وأواني
ليته حرق قلبي حبه دون تواني
وساقني كأس أسرا ر لأرقى عن مكاني

وأفاض العلم حتى　　أورث العلم جناني
سيدي جد لعبيد　　بمرام وأمان
وقليل الحظ شيخي　　ما كفاني ما كفاني
وأن صادق حب　　لا أرى غير التجاني
ما عدا شيخي إمامي　　كسراب الصحصحان
فأنا من نكث عهد　　ووداد في أمان
قبح الله أناسا　　قد رأوا غيرك ثان
ما تراءى من جمال　　غير محبوبي التجاني
إن تصب قلب محب　　أسهم العين الرواني
لم تصبني أسهم الغيـ　　ـد ولا وقع السنان
بل مصيبات سهام　　من لحاظات التجاني
لم يكن وجه سليمى　　مستهامي ومهاني
لا ولا من طرف سعدى　　لا ولا اسما الحصان
بل جمال للمضوي　　ما دعاني مسباني
فعذابي فيه عذب　　وفخاري من هواني
وحياتي لو تبدى　　ما لحاني من لحاني
همت في حسن إمامي　　عاذلا الحب دعاني
إن تنم عين سواءي　　فنعاسي قد جفاني
لاشتياق واحتراق　　وهيام وحنان
لست أصحو من غرام　　أبدا أو هيمان
إن غدا صب ضعيف الـ　　ـوجد فالوجد براني
حل في الختم مقام　　ليس للغير يدان
وله أيضا مقام الـ　　ـكتم في سر الصيان
أوصل الجم غفيرا　　همه تخليص عاني
ألف آلالف ألوف الـ　　ـألف من أهل الضمان
ولصوص قد ترقوا　　من لحاظات التجاني

وخديم صار قطبا مفردا عالي المكان
غاص في البحر إمام طالبا در المعاني
جوهرا يسبك عمري منه تيجان الغواني
وإمام جامع رو ض محب فيه فاني
وزعيم حافظ الـ ـسر تبدى للعيان
قف تأمل صحب شيخي كل وقت ومكان
يا إمامي ذا عبيد في توان ومجان
أو ثقته من ذنوب فهو في قيد يعاني
لا له زاد سوى شو ق لأبي الفيض التجاني
ثم تزيين مديح يزدري عقد الجمان
أرتجي درك مرامي سرعة دون توان
كن معي حين مماتي كن معي في حيوان
إن أنل منك مرامي فهو حسبي وكفاني
وصلاة وسلام ضعف أفراد الزمان
من إله الخلق تترى دون قيد من زمان
صادرا منه على المخـ ـتار مفتاح الجنان
وصحاب ثم آل ثم محبوبي التجاني
ما شدى شاد بقولي صاح قف بي للمغاني

وقلت أيضا :

معاني أبي العباس أفنى المعانيا وأفنى معاني شوقه ذا المعانيا
أبى الشوق إلا أن يكون ملازما وأطنب حتى سرت سكران صاحيا
فقد غصت سر الغيب في بحر سره ولم أك وان لا ولا متوانيا
إلى أن رأيت القطب أحمد أحمد وقصر وجود الكون شيد بانيا
حقيقة سر الكون ثاني مكون وخاتمة الأفراد فردا مساميا
تنورته في حضرة قدسية مديرا لكاسيات المعارف ساقيا
لعمري هذا الشيخ عين ولاية تفجر من عين النبوة صافيا

وثم وراء العقل ما لو ذكرته يريق دمائي من إخال مواليا
فذا الشيخ سبط المصطفى عين مصطفى ووارث ماح كان من قبل ماحيا
علمت بأن الله أولاه خطة تذبذب عنها العارفون توانيا
علمت أن الله أولاه خطة تسكت أشعار تحوز المعانيا
لعمري وحق الشيخ تكفي إشارة فأسكت عن هذا ولم أك وافيا
عليه صلاة الله مقدار قدره مدى الدهر ما أحيا الورى والمغانيا

وقلت أيضا :

إني بمدحك أشدو إنه النسك فإنك الختم والمكتوم والملك
كتمت في حضرات الحق ليس سوى الـ ـمختار يدريه لا إنس ولا ملك
لكن تجليت للأكوان جملتها إذا أنت ومنك الفلك والفلك

وفي هذا القدر كفاية إذا ليس للكلام فيما يتعلق بالخاتم عليه ، ولم يتعرض باستيفاء بعض من مناقبه رضي الله عنه ، ولا استطراد عن ما نطقت به ألسنة العوالم من مدحه والثناء عليه ، وإنما الغرض تحصيل نبذة تثبت المقام المقرر للشيخ رضي الله عنه بحكاية أقوال الفحول الأجلاء ، إذ الحكاية كما قالوا جند من جنود الله يؤيد بها قلوب عباده ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ .

اللهم إنا نسألك بخاتم أنبيائك ، وبخاتم أوليائك أن ترزقنا الصدق في عبوديتك ، والقيام بحقوق ربوبيتك ، والعطف بنا فيما جرت به المقادير ، والازدياد حسا ومعنى ، فلا غنى لعبدك عن فضلك ، فإنك كريم وهاب .

اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم . ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ .

وكان الفراغ من تسويده أوائل رجب سنة 1353 هـ في مدينة كولخ عمرها الله برجال حضرته أهل اصطفائه وقربه إلى قيام الساعة ، آمين يا رب العالمين أهـ .

رسالة التوبة

لصاحب الفيضة شيخ الإسلام الحاج إبراهيم نياس

في 8/1395 هـ الموافق 18/6/1975 م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء وإمام المرسلين وعلى آله وصحابته أجمعين .

إلى أحبابنا في الله بنيجيريا وغيرها : حفظكم الله بالإيمان .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد : فإني أجدد لكم الوصية الخالصة التي ما برحت أتعهدكم بها على مر الأيام وهي أن تجتهدوا في رعاية ودائع الله تعالى وحفظ ما استودعنا من شرائعه ، مخلصين له الدين حنفاء ، وأن تعكفوا على القرآن الكريم تلاوة ومدارسة وتأمل ، كل حسب طاقته ، فإنه حبل الله المتين ونوره المبين فيه نبأ من قبلكم وخبر من بعدكم وحكم ما بينكم وكل الصيد في جوف القرآن قال تعالى : ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ وقال : ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ واجتهدوا في الاقتباس من أنوار السنة المطهرة فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار . وعمّروا أوقاتكم بالصالحات ، ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ ، ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ .

واتقوا الله حق التقوى وراقبوه مراقبة من يعلم أنه يسمع ويرى واستمسكوا بأوراد الطريقة التجانية فإنها نعم الزاد للسالكين ونعم الرفيق في طريق الحق المبين ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ﴾ .

هذا وقد بلغني أن منكم من يريد أن يعرف شيئا عن « أرجوزة التوبة والإنابة » ومدى صحة نسبتها إليّ ، وأن في بلادكم شخصا يحاول استغلال تلك الأرجوزة

لإذايتكم وللتقوّل عليكم وعلى قائلها ، وأن ذلك شخص قد تمادى إلى حد بعيد ، وأوغل في التعسّف حتى زعم أن الأرجوزة إعلان عن تخلى قائلها عن الورد التجاني ، وعن القبض والرفع في الصلاة ، وهما سنتان ثابتتان عن رسول الله ﷺ . وأنا أعرف أنه « في كل حي بنو سعد » وأن الإفراط في إذاية المسلمين أصبح شعارا معروفا لبعض من ابتلاهم الله بالجرأة عليه والقسوة على عباده المؤمنين ، ولكنني مع ذلك أستغرب وجود شخص في بلادكم ينتمي إلى العلم وهو على هذا المستوى من البلادة وسوء الفهم أو الجحود والعناد والمكابرة . وقد وقفت على نسخة مصورة من الأرجوزة المذكورة وعليها صورة لي ، وليس فيها تاريخ ، وفيها بعض الأخطاء الإملائية الطفيفة ، وأقرر أنها ثابتة عني ، فهي مناجاة بيني وبين ربي بلسان ذل العبودية وعلى بساط الخضوع والافتقار الكلي إلى الله تعالى . وقد قلتها ذات سنة وأنا في الطائرة عائدا من حجتي السادسة . وقد حججت وأعمرت بعدها مرار وتكرارا والحمد لله ، ومنه أرجو لي ولكم القبول على الدوام .

وتتكون الأرجوزة من تسعة عشر بيتا فاضت وانتسجت بلا تعمل ولا تكلف . واستفتحتها باسم الله هكذا :

باسم الإله تبت إني تبت   تبت لما فعلت أو ما قلت

وختمتها بالصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه هكذا :

ثم الصلاة والسلام سرمدا   على النبي المصطفى محمدا
وآله صحبه الأخيار   ما كور الليل على النهار

وقد تكررت كلمة (تبت) فيها خمس عشرة مرة ، وهو تكرار متعمد مقصود . وتجدون فيها تسعة من أسماء الله الحسنى مع ياء النداء وهي هذه على التالي : الرحمان الرحيم الغفار الحنان الرب المنان العليم العفو الكريم ، وإلى جانب ذلك مطالب ومشارب ولطائف ورقائق لا تخفى على المتوسمين وأرجو من الله لي ولكم الإجابة بمنه وكرمه .

تلكم هي أرجوزة توبة ، وكم للعبيد من أقوال وأفعال وأحوال في التوبة والمناجاة . فاقرؤوها وأعيدوا قراءتها هل ترون فيها من قريب أو من بعيد ما يبرر

مواقف ذلك الشخص الذي نسب إليه أنه يحاول استغلال الأرجوزة للإذاية والتقول .

إن الأمر في غاية البساطة ، ولولا فرط عداوة بعض الناس لما سمعتم أذى من أحد بسبب هذه الأرجوزة : عبد من عباد الله وفقه الله للحج والعمرة إيمانا واحتسابا ، وفي طريق العودة إلى بلاده رقت مشاعره ، وطالت تأملاته ولذت مناجاته ، فقال أرجوزة ضمنها بعض ما في نفسه بحب ورجاء وخضوع وإنابة ، وقد أوشك أن يذوب من جلال الحق سبحانه !!

فأين قصة التخلي عن الورد والذكر والتسبيح ؟ وأين حديث القبض والرفع في هذا كله ؟ ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ . وإن اهتمامكم بمثل هذا الموضوع ، وتأثركم بمواقف ذلك الشخص المعروف بالعداء والعناد يدل على مدى اعتزازكم بدينكم ، وغيرتكم على تعاليمه ، ويقظتكم الدائمة ، فهنيئا لكم التوفيق والسداد . والحذر الحذر من مخططات العدو وقد يريد أن يلهيكم بها عن معالي الأمور ، وينحرف بكم عن الصراط السوي ، ويضيع أوقاتكم الثمينة بالجدال والمحال والمهاترة والمشاجرة ، والعياذ بالله . بدلا من استمرار سيركم ، وازدياد مكاسبكم وتعمير أوقاتكم بالإيمان والعمل الصالح والتعاون على البر والتقوى ، وقد يريد أن يجمد موقفكم ، ويضطركم للاكتفاء بالدفاع ونفي التهم . ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ وعليكم بتجديد توبتكم إلى الله في كل الأوقات ولا تكونوا كمن يستنكف عن المتاب ، وينزعج من نجوى التوابين ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.
إن التوبة عمل صالح ، وهي عبادة أمر الله بها في الكتاب العزيز ، وحث عليها الرسول المصطفى صلوات الله عليه في السنة المطهرة ، قال تعالى في سورة النور : ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [سورة النور : 31] . وقال في سورة التحريم : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحريم : 8] ، فأنتم – حفظكم الله –

ترون أن الأمر بالتوبة يشمل المؤمنين جميعا وأن تجدد المتاب إلى الله من مقتضيات الإيمان ومن ثمرات الاستقامة على الطريقة المثلى . والتوبة من صفات المؤمنين الذين اشترى الله منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة .. إذا هم التائبون العابدون الحامدون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله .

والإصرار على التوبة ، والاستعلان بالافتقار إلى الله تعالى الغني الحميد دليل السعادة وعنوان محبة الحق للعبد قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة الآية : 222] . وإن كانت التوبة هي بداية الطريقة إلى الله . وأول منازل السالكين الموفقين ، فإن عبيرها يفوح في مختلف المنازل والمقامات والمشاهد ، ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ اقرؤوا هذه الآيات الكريمة من سورة غافر ، وتأملوا أسلوبها الجميل الرقيق وكيف أن ملائكة الرحمان يدعون للتائبين قال تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝٧ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٨ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [الآيات 7 - 9] وقال تعالى مخاطبا سيد الخلائق ، وكامل الكمل وقاسم العطايا والمواهب : ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾ وفي صحيح البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « والله لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة » (1) . وروى مسلم بسنده عن الأغر بن يسار المزني رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه ، فإني أتوب في اليوم مائة مرة » (2) ومعلوم قطعا أن الرسول ﷺ أكمل

(1) تقدم تخريجه .

(2) تقدم تخريجه .

خلق الله على الإطلاق ، وأنه السراج المنير ، فلا يتوب عن ذنب لأنه المعصوم يقينا ، ولا يتوب عن غفلة حاشاه ﷺ ، وهذا بإجماع جمهور العلماء رضوان الله عليهم . فالشيخ محمد بن علان الصديقي الشافعي الأشعري المكي يعلق على هذين الحديثين فيقول : (قوله ﷺ : « أستغفر » أي أطلب منه مغفرة تليق بمقامي المبرأ من كل وصمة أو ذنب أو مخالفة ولو سهوا ، وقوله : « وأتوب إليه » : أي أرجع إليه متنقلا من شهود فرق إلى شهود جمع . وقوله : « أكثر من سبعين مرة » ... إنما لم يحدده بعدد مخصوص لما علمت أن موجب الاستغفار والتوبة اللائقين لا ينحصر ، ولأنهما يتكرران بحسب الشهود والترقي .

ثم هذا تحريض للأمة على التوبة والاستغفار فإنه ﷺ مع كونه معصوما ، وكونه خير الخلائق يستغفر ويتوب سبعين مرة .

واستغفاره ﷺ ليس من الذنب . بل من اعتقاده أن نفسه قاصرة في العبودية عما يليق بحضرة ذي الجلال والإكرام . فهو ﷺ يتوب أي : يرجع رجوعا يليق به إلى شهود الحق ، أو إلى سؤاله أو الحضور والصغار بين يديه) راجع دليل الفالحين للمؤلف المذكور ، وناهيك لحضوره ﷺ من حضور . قال تعالى : ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ وقد سئل الشيخ أبو الحسن النوري رحمه الله عن التوبة فقال : التوبة أن تتوب من كل شيء سوى الله تعالى .

وفي هذا المجال يقول الشيخ الطوسي في اللمع : فشتان بين تائب وتائب ، فتائب يتوب من السيئات ، وتائب يتوب من الزلل والعلات ، وتائب يتوب من رؤية الحسنات والطاعات . وأقرر لكم ما يلي :

أولا : أن القبض والرفع في الصلاة من جملة السنن الثابتة عن رسول الله ﷺ كما بينت ذلك في كتابي « **رفع الملام ، عمن قبض ورفع اقتداء بسيد الأنام** » . وقد طبع عدة مرات ، وبارك الله فيه فأحيا به هاتين السنتين وغيرهما في بلاد كثيرة والحمد لله . وسوف نظل متشبثين بهما عاضين عليهما بالنواجذ ، ونرجو أن نجد ثوابهما عند الله ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ

أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ .

ثانيا : أن الطريقة التجانية كما قلت غير ما مرة ، إنما هي الأذكار الثلاثة : الاستغفار ، والصلاة على النبي ، (ﷺ) وكلمة التوحيد : لا إله إلا الله يلتزم بها المسلم إيمانا واحتسابا ، وقد أمرنا الله تعالى بكل ذلك في القرآن الكريم ، وحثنا عليه رسول الله ﷺ في السنة المطهرة كما تعرفون ، ونحن بحمد الله – على بصيرة من أمر ديننا الذي درسناه وتحققناه في كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله ﷺ وفي آثار سلفنا الصالح رضوان الله عليهم أجمعين .

وليشهد الثقلان أننا بحبل السنة المحمدية مستمسكون ، وإلى نهج سيد الأولين والآخرين منتسبون ، وعلى ضوء تعاليمه سائرون ، وفي هديه العاصم من القواصم متنافسون . والطريقة إنما هي مدرسة من مدارس التزكية والتربية والتهذيب . والحمد لله الذي وفقني بالتمسك بها ، والتأدب بآدابها . والاقتباس من أنوارها ، والاستفادة من بركاتها وأسرارها ، والتعارف مع المسلمين في ظلالها ، والتعاون مع رجالها وأبطالها ، ففيها أحيا ، وعليها أموت وأبعث مع سيدي أبي العباس أحمد بن محمد التجاني الحسني رضي الله عنه ، وأرضاه ، وعنا به آمين .

ويا ليت شعري لماذا يصر (بعض الناس) على معاندة الحق وعلى التطاول والجحود ، ولمصلحة من يريد « بعض الناس » إسكات أصوات الذاكرين الله كثيرا والذاكرات ، والتآمر دواما ضد المتحابين في الله ، المتزاورين في الله ، المتجالسين في الله المتباذلين في الله . فهل هؤلاء الصفوة الأبرار هم العدو ؟ وهل من البر حقا – بغضهم وكيدهم والسعي في تدميرهم ؟ ألا إن مشكلة إفريقيا ليست في وجود ملايين، من مسلميها الذين أسلموا وجوههم لله ، وأخلصوا دينهم لله ، وتمذهبوا فقهيا بمذهب إمام دار الهجرة ، واعتقدوا عقيدة أهل السنة والجماعة وعرفوا بحب رسول الله ، والإكثار من الصلاة عليه ، ومن ذكر الله آناء الليل وأطراف النهار ، محسنين الظن بالله وبعباده ، موزعين بين شتى الأعمال والمهن والتخصصات في حياتهم طلبا للحلال ، وتعرضا لنفحات الرب جل وعلا فبارك الله فيهم ، ووقاهم مكائد عدوهم وحفظهم بما حفظ به ذكره الحكيم ، وما ذلك على الله بعزيز .

ثالثا : ألفت أنظاركم إلى رسالة كنت بعثت بها أخيرا إلى نيامي عاصمة النجير ، جوابا وإيضاحا لبعض جوانب هذا الموضوع ، فعليكم بدراسة تلك الرسالة ونشرها ما استطعتم ، فالأمر جد « لا هزل » . ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم بإذن الله . وأختم رسالتي بقولي :

عكفت على باب النبي محمد ... ومن فاتني لم ألف من ذلك آسف
إذا ما صفا لي المنح منا فإني ... كقاصد كافور بل أعلى وأشرف
خريفي شتائي الدهر ذكر محمد ... وأمداحه ربعي وفيها أصيف
ونومي وبعثي في شهود نبينا ... سواء فللأغيار لا أتشوف
على كل حال لا أرى غير أحمد ... جميلا كريما يجزل النيل يعطف
وعيد عدوي لم يخفني ووعده ... سراب بقيعان مدى الدهر يخلف
قلوني وكادوا بل جفوا وتقولوا ... ولا ضير : إني أقرأ الذكر أعرف
على غير ذنب غير أن محمدا ... وأتباعه سهمي ولا أتعسف
رضيت بربي والحنيفة مسلكي ... إمامي رسول الله لا أتخلف
دليلي كتاب الله والبيت قبلتي ... نصوم وبالبيت الحرام نطوف
نصلي سجودا راكعين وإننا ... على ذا درجنا مدة الدهر نعكف
ولسنا نبالي بالصليب فلا نرى ... سوى خالق الأكوان يعطي ويتحف
ونذكر مولانا الجليل تعرضا ... لآلئه شكرا ولا نتقشف
يموت بغيظ من يغظه فإنه ... لوا الدين يعلوا سرمدا ويرفرف
فيا رب فاسالك بي صراط محمد ... وصحبي وأولادي ومن يتحنف
وتغفر لي والوالدين وهب لنا ... دخول جنان عوض لا نتخوف
وهب لي مرادي في إقامة دين من ... نفى ما سوى الإسلام وهو المصرف

هذا والله الموفق . والسلام . إبراهيم نياس الكولخي لطف الله به آمين

هذه هي أرجوزة التوبة :

الحمد لله ...

نظم العبد الحقير المعترف رحلته السادسة إلى الحرمين الشريفين عام 1377 هـ

باسم الإله تبت إني تبت تبت لما فعلت أو ما قلت
تبت أيا رحمان يا رحيم لم ترني في حالة تليم
تبت أيا غفار يا حنان تبت أيا ربي ويا منان
تبت حقيقة وكم نكثت لي توبة واليوم حقا تبت
تبت لدى البيت وبين الجبلين والخيف والمشعر بين العلمين
تبت لدى الوقوف يا عليم ويا عفو رب يا كريم
أنا ضعيف حارب الجبارا أنبت يومي أقتفي الأبرار
تبت وكم ضيعت حق الله وحق خلقه بلا تناه
تغفر لي ولتتحمل عني فاغفر خطيئتي أزلها مني
تبت من الأقوال والأفعال والحركات بل من الأحوال
جئت إلى البيت وما استقمت وجئته وجئته وجئت
وجئته وجئت سادسا وقد أخلصت توبتي وأنحو للرشد
تبت لدى النبي بالنبي ترفعني لخلق سني
تبت ولا أعود لا أعود ولا يكون غير ما تريد
طال اشتياقي للمتاب تبت فإنني يومي له أنبت
قد تاب سمعي ولساني والبصر وتاب كل طرف عما شجر
رجعت للإله دهري لم أزل ببابه من أبد إلى الأزل
ثم الصلاة والسلام سرمدا على النبي المصطفى محمدا
وآله وصحبه الأبرار ما كور الليل على النهار

وكتب إبراهيم بن الحاج عبد الله نياس الكولخي لطف الله به آمين عام جاء خيرنا وسرنا . 1377 هـ

فهرس أحاديث كتاب

سعادة الأنام

فهرس سعادة الأنام